

للحافظ الإمام جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه

إدارة الطباعة المنيرية

بمساعدة بعض علماء الأزهر الشريف

إدارة الطباعة المنيرية — شارع الشيخ محمد عبده درب الأتراك نمرة ١



للحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ



عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه
إدارة الطباعة المنيرية
بمساعدة بعض علماء الأزهر الشريف

إدارة الطباعة المنيرية ــ شارع الشيخ محمد عبده درب الأتراك نمرة ١

بســـــــم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سلم ميزان العدل إلى أكف ذوى الألباب . وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب . وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب . وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب[1] . أحمده حمد من يعلم أنه مسبب الأسباب ، وأشهد بواحدنيته شهادة مخلص فى نيته غير مرتاب . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله ، وقد سدل الكفر على وجه الإيمان الحجاب . فنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب . وبين للناس ما نزل إليهم ، وأوضح مشكلات الكتاب . وتركهم على المحجة البيضاء لا سرب فيها[2] ولا سراب . فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الأصحاب . وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب . وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد ، فإن أعظم النعم على الإنسان العقل ، لأنه الآلة فى معرفة الإله سبحانه والسبب الذى يتوصل به إلى تصديق الرسل ، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد ، بعثت الرسل وأنزلت الكتب ، فمثال الشرع الشمس ، ومثال العقل العين ، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس . ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة ، سلم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم .

ولما أنعم الله على هذا العالم الإنسى بالعقل افتتحه الله بنبوة أبيهم آدم عليه السلام . فكان يعلمهم عن وحى الله عز وجل فكانوا على الصواب إلى أن انفرد

---

(١) عاب عيبا فهو عائب والاسم عاب كما هنا

(٢) السرب بفتحتين الوكر والسراب الذى تراه نصف النهار كأنه ماء ولا ماء يشير المصنف إلى مارواه ابن ماجه فى سننه عن أبى الدرداء مطولا من قوله صلى الله عليه وسلم « وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » .

ابيل بهواه فقتل أخاه ثم تشعبت الأهواء بالناس فشردتهم فى بيداء الضـــلال حتى عبدوا الأصنام واختلفوا فى العقائد والأفعال اختلافاً خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعاً لأهوائهم ، وميلا إلى عاداتهم ، وتقليداً لكبرائهم ، فصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين .

﴿ فصل ﴾ واعلم أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكافى ، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافى ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف . فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهاً ، وبالدواء سما ، وبالسبيل الواضح جرداً[1] مضلا ، ومازال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية فى مذاهب سخيفة ، وبدع قبيحة ، فأصبحوا يعبدون الأصنام فى البيت الحرام ، ويحرمون السائبة[2] والبحيرة والوصيلة والحام ، ويرون وأد البنـات ، ويمنعونهن الميراث ، إلى غير ذلك من الضلال الذى سوله لهم إبليس[3] فابتعث الله سبحانه

(١) يقال مكان جرد أى لا نبات فيه ، ويقال أيضا : جرد بالمعجمة .

(٢) هى الناقة المنذورة تسيب فترعى حيث شاءت فلا يمسها أحد بسوء والبحيرة بنتها تبحر أذنها أى تشق وتخلى مع أمها . والوصيلة هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين أى اثنين ، فإن ولدت فى الثامنة جديا ذبحوه لآلهتهم ، وإن ولدت جـــديا وعناقا قالوا وصلت أخاها فلا يذبحونه من أجلها ، ولا تشرب لبنها النساء وكان للرجال ، وجرت مجرى السائبة . والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود ، فإذا قضاه تركوه للطواغيت وأعفوه من الحمل .

(٣) اعلم أن الشرع جاء هادما لهذه العادات القبيحة محذراً من كل سوء . ناهيا عن كل شرك ، محببا فى كل جميل ، فاعتنقه الكثير ودخله الناس أزواجا وأفذاذا وانتشر فى جميع الأرض فى أقرب وقت انتشاراً لم يعهد له نظير من قبل ومن بعد . واستمر على ذلك والنـاس تعتنقه طوعا لا كرها إلى أن دخل فيه أفراد من اليهود والمجوس وانتسبوا إليه ظاهراً وهم فى الواقع يعملون على هدمه وتقويض دعائمه . فأخـــذوا يوقدون نار الفتنة بين أهله ويدخلون فيه أشيـاء من التى كان ينهى عنها يحسنونها لعامة الناس حتى شوهوا معالمه واتخذها من جاء بعدهم ممن لا يميزون بين الصحيح والسقيم والحق والباطل دينا يتقربون بها إلى ربهم والله تعالى أعز شأنا من أن يتعبد الناس بمثل هذه الضلالات .

وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ، فرفع المقابح ، وشرع المصالح . فسار أصحابه معه وبعده فى ضوء نوره ، سالمين من العدو وغروره . فلما انسلخ نهار وجودهم . أقبلت أغباش الظلمات ، فعادت الأهواء تنشىء بدعاً ، وتضيق سبيلا مازال متسعاً ، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً ، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف وإنما يصح له التلصص فى ليل الجهل . فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح .

فرأيت أن أحذر من مكايده ، وأدل على مصايده . فان فى تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه . ففى الصحيحين من حديث حذيفة قال كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر . مخافة أن يدركنى وقد أخبرنا أبو البركات سعد الله بن على البزاز قال أخبرنا أحمد بن على الطريثيثى قال أخبرنا هبة الله بن حسن الطبرى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل قال ثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا عبيد بن يعيش قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا محمد بن إسحق عن الحسن أو الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : والله ماأظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكا منى . فقيل وكيف ؟ فقال : والله إنه ليحدث البدعة فى مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلى فاذا انتهت إلى قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها .

﴿ فصل ﴾ وقد وضعت هذا الكتاب محذراً من فتنه ، ومخوفا من محنه ، وكاشفاً عن مستوره ، وفاضحا له فى خفى غروره . والله المعين بجوده ، كل صادق فى مقصوده .

= ومن ذلك نذر الغنم والبقر وغيرها للأولياء يتركونها ترعى حيث شاءت لا يمسها أحد بسوء ظنا منه بل اعتقاداً أنها محسوبة لذلك الولى مكلوءة بعينه أنى ذهبت . فلو منعها من زرعه لانتقم منه ذلك الولى بما شاء وهذا بعينه ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى ، قال الله تعالى : « ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون » . اللهم وفق علماءنا وأمراءنا إلى رد هذه العقائد الفاسدة التى شوهت وجه الدين وجعلت عليه غشاء من ظلماتها حجبت نوره الساطع الذى هو هدى ورحمة وبشرى لقوم يؤمنون .

وقد قسمته ثلاثة عشر باباً ينكشف بمجموعها تلبيسه ، ويتبين للفطن بفهمها تدليسه ، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضج منه إبليسه . والله موفقي فيما قصدت ، وملهمي للصواب فيما أردت .

﴿ ذكر تراجم الأبواب ﴾

﴿ الباب الأول ﴾

الأمر بلزوم السنة والجماعة

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التيمى نا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى عن ابن إسحاق نا المبارك ثنا محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما خطب بالجابية فقال : قام فينا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من أراد منكم بحبوحة الجنة[١] فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » أخبرنا أحمد وحدثنا جرير عن عبد الملك ابن عمير عن جابر بن سمرة . قال : خطب عمر الناس بالجابية ، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فى مثل مقامى هذا ، فقال « من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة . فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحيى بن على المدينى نا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان ثنا أبو محمد بن صاعد ثنا سعيد بن يحيى الأموى ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود عن زر عن عمر بن الخطاب . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » حدثنا عبد الأول ابن عيسى نا أبو القصار بن يحيى ثنا أبو الحسن على بن عبد العزيز أنبأنا أبو عبيد نا النضر بن إسماعيل عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن عمر ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » أخبرنا عبد الأول نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسى نا عبد الرحمن بن أبى شريح ثنا ابن صاعد ثنا إبراهيم بن سعد الجوهرى ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردانبه عن زياد بن علاقة عن عرفجة ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من يخالف الجماعة ، أخبرنا محمد بن عمر الأرموى والحسين بن على المقرى نا عبد الصمد بن المأمون نا على بن عمر الدارقطنى ثنا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول حدثنى أبى ثنا محمد بن يعلى ثنا سليمان العامرى عن الشيبانى عن زياد بن علاقة عن أسامة ابن شريك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يد الله على الجماعة ، فاذا شـذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى أنبأنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله ، قال : خط

(١) بحبوحة الدار وسطها يقال تبحبح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام .

رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ، ثم قال هذا سبيل الله مستقيما . قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » . وبالإسناد قال أحمد وثنا روح ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا العلاء بن زيادة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والناحية ، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد . حدثنا أحمد ثنا أبو اليمان ثنا ابن عياش عن أبي البحتري بن عبيد ابن سليمان عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة . فعليكم بالجماعة فإن الله عز وجل لم يجمع أمتي إلا على الهدى .

أخبرنا عبد الملك بن القاسم الكروخي قال أخبرنا أبو عامر الأزدي وأبو بكر الغورجي قالا أخبرنا الجراحي قال أخبرنا المحبوبي ثنا الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن عبدالرحمن بن زياد الإفريقي عن عبدالله بن يزيد عن ابن عمر . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي كما أتى على بني إسرائيل ، حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية ، لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت[1] على ثنتين وسبعين ملة ، تفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي . قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه . وروى أبو داود في سننه من حديث معاوية بن أبي سفيان ، أنه قام فقال : ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال : ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين . ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة وهي الجماعة وإنه سيخرج من

---

(١) قال أبو منصور البغدادي للحديث الوارد في افتراق الأمة أسانيد كثيرة وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة كأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وجابر ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي أمامة وغيرهم .

أمتي أقوام تجارى[١] بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه .

أخبرنا أبو البركات بن على البزاز نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله بن الحسين الحافظ نا محمد بن الحسين الفارسى نا يوسف بن يعقوب بن إسحاق ثنا العلاء بن سالم ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش بن مالك بن الحارث عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ، قال : الاقتصادى فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة . أخبرنا عبدالوهاب ابن المبارك نا أحمد بن الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن الحسين ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد ثنا ابن المبارك عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب ، قال : عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار . وإن اقتصاداً فى سبيل وسنة ، خير من اجتهاد فى إخلاف . أخبرنا سعد الله ابن على نا الطريثيثى نا هبة الله الحسين نا عبد الواحد بن عبد العزيز نا محمد ابن أحمد الشرقى ثنا عثمان بن أيوب نا إسحاق بن إبراهيم المروزى . قال ثنا أبو إسحاق الأقراع قال سمعت الحسن بن أبى جعفر يذكر عن أبى الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة . أخبرنا محمد بن أبى القاسم قال نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الأصبهانى ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدى قال أنبأنا سفيان ابن عيينة ، قال : سمعت عاصما الأحول يحدث عن أبى العالية ، قال : عليكم بالأمر الأول الذى كانوا عليه قبل أن يفترقوا ـ قال عاصم فحدثت به الحسن ، فقال : قد نصحك والله وصدقك . أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا أحمد بن احمد قال نا احمد بن عبد الله الحافظ انبأنا محمد بن أحمد بن الحسن أنبأنا بشر بن موسى نا معاوية بن عمرو نا أبو إسحاق الفزارى . قال: قال الأوزاعى : اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ما وسعهم .

---

(١) بحذف إحدى التاءين أى تدخل وتسرى تلك الأهواء أى البدع والكلب بفتح الكاف واللام داء يعرض للانسان من عض الكلب الكلب ، وهو داء يصيب الكلب فيصيبه شبه جنون فلا يعض أحداً إلا كلب . نسأل الله السلامة .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد ابن عبد الله بن أسلم أنبأنا محمد بن منصور الهروى ثنـــا عبد الله بن عروة ، قال : سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث عن الأوزاعى ، قال : رأيت رب العزة فى المنام فقال لى يا عبد الرحمن ، أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فقلت : بفضلك يا رب . وقلت يا رب أمتى على السلام ، فقال : وعلى السنة . أخبرنا محمد ابن أبى القاسم أنبأنا أحمد ابن أحمد نا أحمـــد بن عبد الله الحافظ ثنا إبرهيم بن أبى عبد الله ثنا محمد بن إسحاق سمعت أبا همام السكونى يقول : حدثنى أبى قال سمعت سفيان يقول : لايقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة . أخبرنا محمد نا أحمد نا أبو نعيم أنبأنا محمد بن على ثنا عمرو ابن عبدويه ثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الرحمن بن عفان قال ثنا يوسف ابن أسباط ، قال قال سفيان : يا يوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة . أخبرنا سعد الله بن على نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله بن الحسين الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى نا محمـــد ابن زياد البلدى ثنا أبو أسامة عن حماد بن زيد قال أيوب : إنى لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنى أفقد بعض أعضائى . وبه قال الطبرى وأخبرنا الحسين بن أحمد ثنا عبد الله اليزدجردى ثنا عبد الله بن وهب ثنا إسماعيل بن أبى خالد قال ثنا أيوب ابن سويد عن عبد الله بن شوذب عن أيوب . قال قال : إن من سعادة الحدث والأعجمى أن يوفقهما الله تعالى لعالم من أهل السنة .

قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن محمد بن حنون ثنا جعفر بن محمد بن نضير ثنـا أحمد بن محمد بن مسروق ثنا محمد بن هارون أبو نشيط ثنا أبو عمير بن النحاس ثنا ضمرة عن ابن شوذب . قال : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك ، أن يؤاخى صاحب سنة يحمله عليها . قال الطبرى وأخبرنا عيسى بن على ثنا البغوى ثنا محمد بن هارون ثنا سعيد بن شيب ، قال : سمعت يوسف بن أسباط ، يقول : كان أبى قدريا وأخوالى روافض فأنقذنى الله بسفيان . قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن محمد

ابن حفص نا عبد الله بن عدى ثنى أحمد بن العباس الهاشمى ثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : سمعت معتمر بن سليمان يقول : دخلت على أبى وأنا منكسر فقال لى مالك ؟ قلت مات صديق لى فقال مات على السنة ؟ قلت : نعم ؟! قال تحزن عليه : قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن عبد الله نا محمد بن الحسين ثنا أحمد بن زهير ثنا يعقوب ابن كعب ثنا عبدة ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى . قال : استوصوا بأهل السنة خيراً ، فإنهم غرباء . أخبرنا أبو منصور ابن حيرون نا إسماعيل بن أبى الفضل الإسماعيلى نا حمزة بن يوسف السهمى نا عبد الله بن على الحافظ نا أبو عوانة ثنا جعفر بن عبد الواحد قال : قال لنا ابن أبى بكر بن عياش : السنة فى الإسلام ، أعز من الإسلام فى سائر الأديان .

سمعت أبا عبد الله الحسين بن على المقرى يقول . سمعت أبا محمد عبد الله ابن عطاء يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسكندرانى يقول : سمعت أبا منصور محمد الأزدى يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن فراشه يقول : سمعت أحمد بن منصور يقول : سمعت الحسن بن محمد الطبرى يقول : سمعت محمد ابن المغيرة يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : سمعت الشافعى يقول : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنى رأيت رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أبو أحمد نا أبو نعيم الحافظ فى كتابه ، قال سمعت الجنيد يقول : الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه . أخبرنا محمد بن ظفر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن على نا عبد الله بن جهضم نا محمد بن شاذان قال : سمعت أبا بكر بن إبراهيم يقول : الطريق إلى الله مسدود على خلق الله تعالى ، إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لسنته . كما قال الله عز وجل : لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة . .

﴿ الباب الثانى ﴾

فى ذم البدع والمبتدعين

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيبانى قال : أخبرنا أبو على الحسن بن على بن المذهب نا أبو بكر أحمد بن حمدان نا أبو عبد الله بن حنبل قال : أخبرنى أبى ثنا يزيد عن إبراهيم بن سعد أخبرنى أبى وأخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردى وأبو سعد البغدادى قالا نا المطهر بن عبد الواحد نا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزبان نا محمد بن إبراهيم الحروزى، ثنا لوين ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحدث فى أمرنا ما ليس فيه فهو رد . أخبرنا موهوب بن احمد نا على بن احمد البسرى ثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص ثنا عبد الله بن محمد البغوى ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلى وإسحاق بن إبراهيم المروزى قالا نا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد . قال البغوى، وحدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد العزيز عن عبد الواحد بن ابى عون عن سعد بن إبراهيم عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من فعل أمراً ليس عليه أمرنا فهو رد اخرجاه فى الصحيحين . اخبرنا هبة الله ابن محمد نا الحسن ابن على نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنى ابى ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبى عن مجاهد عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : من رغب عن سنتى فليس منى . انفرد بإخراجه البخارى . اخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله ابن احمد حدثنى أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا ثور بن يزيد ثنا خالد بن معدان حدثنى عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر . قالا : أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه » . فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين . فقال عرباض : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم

ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يارسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ، فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعيش بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الله بن الوليد ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل وعن ابن مسعود ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا فرطكم على الحوض ، وليختلجن رجال دونى ، فأقول يارب أصحابى فيقال إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك — اخرجاه فى الصحيحين . اخبرنا محمد بن ابى القاسم نا احمد ابن محمد نا ابو نعيم ثنا احمد بن إسحاق ثنا عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عبد الله ابن محرز قال : يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة ، أخبرنا إسماعيل ابن أحمد نا عمر بن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشران ثنا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا حنبل قال : حدثنى ابو عبد الله يعنى أحمد بن حنبل ثنا عبد الرزاق ثنا معمر . قال : كان طاوس جالساً وعنده ابنه . فجاء رجل من المعتزلة فتكلم فى شىء فأدخل طاوس أصبعيه فى أذنيه . وقال : يابنى ادخل أصبعيك فى أذنيك حتى لاتسمع من قوله شيئاً فإن هذا القلب ضعيف . ثم قال : أى بنى أسدد — فما زال يقول أسدد حتى قام الآخر . قال حنبل وحدثنا محمد بن داود ثنا عيسى بن على الضبى . قال : كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم . فبلغ إبراهيم انه قد دخل فى الإرجاء فقال له إبراهيم إذا قمت من عندنا فلا تعد . قال حنبل وحدثنا محمد بن داود الحدانى ، قال : قلت لسفيان بن عيينة : إن هذا يتكلم فى القدر — يعنى إبراهيم بن أبى يحيى ، فقال سفيان عرفوا الناس أمره وسلوا الله لى العافية . قال حنبل وحدثنا سعدويه ثنا صالح المرى . قال : دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد ، ففتح بابا من أبواب القدر فتكلم فيه . فقال ابن سيرين : إما أن تقوم وإما أن نقوم . أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن

عبد الباقى قالا نا أحمد بن أحمد أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا أبو بكر بن راشد ثنا إبراهيم بن عامر عن سلام بن أبى مطيع . قال : قال رجل من أهل الأهواء لأيوب أكلمك بكلمة ؟ قال : لا ولا نصف كلمة . قال ابن راشد وحدثنا أبو سعيد الأشج ثنا يحيى بن يمان عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن أيوب السختيانى قال : ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله عز وجل بعداً . اخبرنا ابو البركات بن على البزاز نا الطريثيثى نا هبة الله بن الحصين نا عيسى ابن على نا البغوى نا أبو سعيد الأشج نا يحيى بن اليمان قال سمعت سفيان الثورى قال البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، المعصية يتاب منها والبدعة لايتاب منها(١) اخبرنا ابن ابى القاسم نا احمد بن احمد نا ابو نعيم الحافظ ثنا الحسين بن على ثنا محمود بن غيلان ثنا مؤمل بن إسماعيل . قال : مات عبد العزيز بن ابى داود وكنت فى جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثورى . فقال الناس : جاء الثورى — فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه فجاوز الجنازة ولم يصل عليه لأنه كان يرى بالإرجاء . اخبرنا المبارك بن احمد الأنصارى نا عبد الله ابن احمد السمرقندى نا احمد بن ثابت نا احمد بن روح النهروانى ثنا طلحة بن أحمد الصوفى ثنا محمد بن أحمد بن أبى مهزول قال سمعت أحمد بن عبد الله يقول : سمعت شعيب بن حرب يقول : سمعت سفيان الثورى يقول : من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة . أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الأصفهانى ثنا إسماعيل بن أحمد نا عبد الله بن محمد ثنا سعيد الكريرى . قال : مرض سليمان التيمى فبكى فى مرضه بكاء شديداً فقيل له ما يبكيك ؟ أتجزع من الموت . قال : لا ولكنى مررت على قدرى فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبنى ربى عليه . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالا : أخبرنا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن الحسين البائع ثنى أبى ثنا محمد بن بكر قال سمعت فضيل بن عياض يقول : من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه . أخبرنا ابن عبد الباقى نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا سليمان

---

(١) أثاب الرجل وثاب رجع .

ابن أحمد ثنا محمد بن النصر ثنا عبد الصمد بن يزيد ، قال : سمعت فضيل بن يقول : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه . أخبرنا محمد ابن عبد الباقى نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا محمد بن على ثنا عبد الصمد . قال سمعت الفضيل يقول : إذا رأيت مبتدعا فى طريق فخذ فى طريق آخر ، ولا يرفع لصاحب البدعة إلى الله عز وجل عمل ، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . وسمعت رجلا يقول للفضيل من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها . فقال له الفضيل : من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيآته .

قال المصنف : وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعا وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . وقال محمد بن النضر الحارثى : من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه . وقال إبراهيم سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله القابى يقول : سمعت على بن عاسى يقول : سمعت محمد بن اسحاق يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : قال صاحبنا — يعنى الليث بن سعد — لو رأيت صاحب بدعة يمشى على الماء ما قبلته . فقال الشافعى : إنه ما قصر لو رأيته يمشى على الهواء ما قبلته . وعن بشر بن الحارث أنه قال : جاء موت هذا الذى يقال له المريسى [1] وأنا فى السوق فلولاان الموضع ليس موضع سجود

(١) « المريسى » هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث قال ابن خلكان فى ترجمته اشتغل بالكلام وجدد القول بخلق القرآن وحكى عنه فى ذلك أقوال شنيعة وكان مرجئا وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة وكان يقول إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة عليه والمريسى بفتح الميم وكسر الراء نسبة إلى مريس قيل قرية بمصر وقيل جنس من السودان وقال بعض المحققين إن المريسى كان يسكن فى بغداد بدرب المريس فنسب إليه انتهى ببعض تصرف ، ومعنى كلام بشر بن الحارث أن الخبر بموت المريسى أتاه وهو فى السوق فلو لم يكن فى السوق لسجد شكراً لله تعالى على موته والسوق غير

لسجدت شكراً ـ الحمد لله الذى اماته . هكذا قولوا .

قال المصنف : حدثت عن أبى بكر الخلال عن المروزى عن محمد بن سهل البخارى قال : كنا عند القربانى فجعل يذكر اهل البدع فقال له رجل لو حدثتنا كان أعجب إلينا فغضب وقال كلامى فى أهل البدع أحب إلى من عبادة ستين سنة .

(فصل) فان قال قائل قد مدحت السنة وذممت البدعة فما السنة وما البدعة فانا نرى أن كل مبتدع فى زعمنا يزعم انه من اهل السنة[2] (فالجواب) أن

موضع سجود لورود النهى عن الصلاة فى الأسواق والسجود بعض الصلاة وهذه عادة السلف الصالح رضى الله عنهم .

(تنبيه) فى الأصل « فلولا أنه كان فى موضع تهيؤ لكان موضع شكر وسجود الحمد لله » . الخ . وما صححناه من لسان الميزان .

(٢) اعلم انه لم يقع خلاف بين الصحابة رضى الله عنهم فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لوجود نور النبوة بين ظهرانيهم وتأثير المواهب الحسنة فيهم والحكم البالغة من النبي صلى الله [عليه] وسلم فلما توفاه الله وقع الخلاف بينهم فأول خلاف كان فى موته صلى الله عليه وسلم فزعم قوم أنه لم يمت بل رفعه الله إليه [illegible] عليه الصلاة والسلام فأراد أهل مكة رده إلى مكة وأهل المدينة دفنه بها . وفى الإمامة فاذعنت الانصار لسعد بالبيعة وقريش قالت إن الإمامة لا تكون إلا فى قريش . وفى فدك (قرية بخيبر) . وتوريث الكلالة وما نعى الزكاة وهكذا وقد ازال هذا الخلاف كله أبو بكر الصديق رضى الله عنه بحجته القوية وعزمه الثابت وبرهانه الساطع ولم تؤثر هذه الاختلافات فى الهيئة الاجتماعية والقوة الرابطة بينهم [illegible] إلا أنها فتحت بابا ولجه المبتدعون والزنادقة وأدخلوا [illegible] [illegible] باقاويل كاذبة وحجج واهية ودعوا الناس إليها [illegible] من اهل الحديث والسنة يدحضون حججهم ويبينون للناس [illegible] وينصحون من تبعهم بأدلة [illegible] من الكتاب والسنة وهم الطائفة التى أخبر عنها النبى صلى الله عليه وسلم أنها لا تزال قائمة بأمر الله [illegible] ولم تزل قائمة كذلك إلى زمننا [illegible] والملوك اللهم وفقنا للعمل بالكتاب والسنة [illegible] لنا يا ارحم الراحمين .

السنة فى اللغة الطريق ، ولا ريب فى ان اهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التى لم يحدث فيها حادث : وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

والبدعة : عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والأغلب فى المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطى عليها بزيادة أو نقصان . فان ابتدع شىء لايخالف الشريعة ولا يوجب التعاطى عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزاً حفظاً للأصل وهو الاتباع . وقد قال زيد بن ثابت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، حين قالا له اجمع القرآن : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأخبرنا محمد بن على بن أبى عمر قال أخبرنا على بن الحسين نا ابن شاذان نا أبو سهل نا أحمد البرقى ثنا أبوحذيفة ثنا سفيان عن ابن عجلان عن عبدالله ابن أبى سلمة ، أن سعد بن مالك سمع رجلا يقول : لبيك ذا المعارج . فقال : ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخبرنا محمد بن أبى القاسم باسناد يرفعه إلى أبى البخترى . قال : أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوما يجلسون فى المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا . وسبحوا الله كذا وكذا . واحمدوا الله كذا وكذا قال عبد الله : فاذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتنى فأخبرنى بمجلسهم فأتاهم فجلس فلما سمع مايقولون قام فأتى ابن مسعود فجاء . وكان رجلا حديداً ، فقال : أنا عبد الله بن مسعود والله الذى لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماً ولقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علماً . فقال عمرو بن عتبة : أستغفر الله . فقال : عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يميناً وشمالا لتضلن ضلالا بعيداً . أنبأنا أبو بكر بن أبى طاهر عن أبى محمد الجوهرى عن أبى عمر بن أبى حياة ثنا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن فهم ثنا محمد بن سعد ثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ثنا ابن عوف قال : كنا عند إبراهيم النخعى فجاء رجل فقال : يا أبا عمران ادع الله أن يشفينى فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك فى وجهه ، وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدثه الناس فكرهه . وقال فيه : أخبرنا المحمدان : ابن ناصر ، وابن عبد الباقى نا أحمد نا أبو نعيم سمعت محمد بن إبراهيم يقول : سمعت محمد بن ربان يقول : سمعت ذا النون ــ وجاءه

أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس — فقال : أنا لا أتكلم فى شىء من هذا فان هذا محدث ، سلونى عن شىء فى الصلاة أو الحديث . ورأى ذو النون علىّ خفا أحمر ، فقال : انزع هذا يابنى فانه شهرة ، ما لبسه رسول الله ﷺ إنما لبس خفين أسودين ساذجين .

﴿ فصل ﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله . قد بينا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وإن لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا ما لم يكن وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا يتحاطى عليها فلم يروا بفعلها بأساً كما روى ان الناس كانوا يصلون فى رمضان وحدانا وكان الرجل يصلى فيصلى بصلاته الجماعة فجمعهم عمر بن الخطاب على أبىّ بن كعب رضى الله عنهما فلما خرج فرآهم قال : نعمت البدعة هذه — لأن صلاة الجماعة مشروعة . وإنما قال الحسن فى القصص : نعمت البدعة ، كم من أخ يستفاد ، ودعوة مستجابة . لأن الوعظ مشروع ومتى أسند المحدث إلى أصل مشرع لم يذم . فأما إذا كانت البدعة كالمتمم فقد اعتقد نقص الشريعة . وإن كانت مضادة فهى أعظم. فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له ولهذا استتروا ببدعتهم . ولم يكتم أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور والعاقبة لهم . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا أحمد ابن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبى ثنا يعلى بن عبيد ثنا إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال ناس من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون — فى الصحيحين : أخبرنا هبة الله الحسن ابن على نا ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى قال ثنا يوسف ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك انفرد به مسلم . وقد روى هذا المعنى عن النبى ﷺ معاوية وجابر بن عبد الله وقرة أخبرنا الكروخى نا النورجى والأزدى قالا نا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى قال: قال محمد بن إسماعيل ، قال على بن المدينى : هم من أصحاب الحديث .

(فصل) فى بيان انقسام أهل البدع أخبرنا عبد الملك الكروخى نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر الغورجى قالا نا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا الحسين بن حريث ثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين ، والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة - قال الترمذى : هذا حديث صحيح .

قال المصنف : وقد ذكرنا هذا الحديث فى الباب الذى قبله وفيه : كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هى يارسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى . أخبرنا ابن الحسين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد قال : ثنى أبى ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا خالد بن زيد عن سعيد بن هلال عن أنس ابن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة ، وإن أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة ، يهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة . قالوا يارسول الله ، ماتلك الفرقة ؟ قال الجماعة ، قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فإن قيل ، وهل هذه الفرق معروفة ؟ فالجواب ، إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق(١) وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط

---

(١) اعلم أن العلماء اختلفوا فى أصول هذه الفرق وتعيينها على أقوال : الأول أن أصولها أربعة : وهى الخوارج والقدرية والروافض والمرجئة ، ثم تشعبت كل فرقة إلى ثمانى عشرة فرقة والثالثة والسبعون الناجية : الثانى أنها ثمانية : المعتزلة والخوارج والمرجئة ، والنجارية ، والجبرية ، والمشبهة والشيعة والناجية فافترقت المعتزلة عشرين فرقة ، والخوارج عشرين أيضا ، والمرجئة خمسا ، والنجارية ثلاثا ، والجبرية واحدة وكذلك ، المشبهة والشيعة ثنتين وعشرين فرقة ، والقول الثالث ماذهب إليه المصنف من أنها ست ، ومن أراد تفاصيل ذلك فعليه بالاعتصام والمواقف . وهذا التقسيم بحسب الظن والتكلف فى مطابقة ماذكر للحديث الصحيح ، إذ ليس هناك دليل شرعى يفيد ذلك ولادل العقل على انحصار ماذكر فى ذلك العدد من غير زيادة ولانقصان ، وبذلك تعلم مافى كلام المصنف من المخالفة لغيره فى عد الفرق وتسميتها بأسماء لم توجد فى كتاب

بأسماء تلك الفرق ومذاهبها ، وقد ظهرلنا من أصول الفرق الحرورية(١) والقدرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة ، والجبرية . وقد قال بعض أهل العلم : أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست ، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنى عشرة فرقة ، فصارت اثنتين وسبعين فرقة .

وانقسمت الحرورية ، اثنى عشرة فرقة : فأولهم الأزرقية(٢) قالوا : لا نعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم والأباضية(٣)قالوا : من أخذ بقولنا فهو مؤمن ، ومن أعرض عنه فهو منافق والثعلبية(٤)قالوا : إن الله لم يقض ولم يقدر ، والحازمية(٥) قالوا : ماندرى ما الإيمان ، والخلق كلهم معـــذورن ، والخلفية(٦) زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر وأنثى فقد كفر . والمكرمية(٧) قالوا : ليس لأحد أن يمس أحداً لأنه لا يعرف الطاهر من النجس ، ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل، والكنزية قالوا : لا ينبغى لأحد أن يعطى ماله لأحد لأنه ربما لم يكن مستحقاً بل يكنزه فى الأرض حتى يظهر أهل الحق ، والشمراخية قالوا : لا بأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين ، والأخنسية(٨) قالوا : لايلحق الميت بعد موته خير ولا شر والمحكمية قالوا : إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر والمعتزلة من الحرورية قالوا : اشتبه علينا أمر على ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين ، والميمونية(٩) قالوا : لاإمام إلا برضا أهل محبتنا .

---

(١) هم الذين خرجوا على على ، وانحازوا إلى حروراء وهم يومئـــذ اثنا عشر ألفا وعبد الله بن كوا حينئذ زعيمهم .

(٢) نسبة إلى أبى راشد نافع بن الأزرق ولم يكن للخوارج قط فرقة أكثر عددا ولاأشد شوكة منهم وبدعهم ثمانية

(٣) نسبة إلى عبد الله بن أباض

(٤) نسبة إلى ثعلبة بن مشكان

(٥) وهم أصحاب حازم ابن على

(٦) وهم أصحاب خلف الخارجى الذى قاتل حمزة الخارجى .

(٧) وهم أتباع مكرم بن عبد الله العجلى ويقول تارك الصلاة كافر لامن أجل ترك الصلاة ولكن لجهله بالله تعالى ، وطرد هذا فى كل كبيرة يرتكبها الإنسان .

(٨) أتباع رجل منهم كان يعرف بالأخنس

(٩) وهم أتباع ميمون بن خالد يجيزون =

(وانقسمت القدرية) اثنتى عشرة فرقة : الأحمرية وهى التى زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم ، والثنوية وهى التى زعمت أن الخير من الله والشر من إبليس ، والمعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية ، والكيسانية(١) هم الذين قالوا لا ندرى هذه الأفعال من الله أم من العباد ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون ، والشيطانية(٢) قالوا إن الله لم يخلق شيطاناً ، والشريكية قالوا إن السيئات كلها مقدرة إلا الكفر ، والوهمية قالوا : ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات ، والراوندية قالوا : كل كتاب أنزل من الله فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً ، والبترية(٣) زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته ، والناكثية زعموا أن من نكث بيعة رسول الله ﷺ فلا إثم عليه والقاسطية فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها ، والنظامية تبعوا إبراهيم النظام فى قوله من زعم أن الله شىء فهو كافر .

وانقسمت الجهمية(٤) اثنتى عشرة فرقة : المعطلة زعموا أن كل ما يقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق ، ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر ، والمريسية(٥) قالوا : أكثر صفات الله مخلوقة ، والملتزمة جعلوا البارى سبحانه وتعالى فى كل مكان ، والواردية قالوا : لا يدخل النار من عرف ربه ومن دخلها لم يخرج منها أبداً ، والزنادقة قالوا : ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربا لأن الإثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس وما يدرك فليس بإله وما لا يدرك ، لا يثبت والحرقية زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقاً أبداً لا يجد حر النار ، والمخلوقية زعموا أن القرآن مخلوق ، والفانية زعموا أن الجنة والنار تفنيان ، ومنهم من قال : إنهما ما لم تخلقا والمغيرية(٦)

---

(١) أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقيل تلميذ ابن الحنفية (٢) هم أتباع محمد بن النعمان الرافضى الملقب بشيطان الطاق (٣) هم أتباع رجلين الحسن بن صالح بن حى وكثير النوى الملقب بالأبتر . نكاح بنات البنات وبنات أولاد الأخوة

(٤) هم أتباع جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم المازنى بمرو .

(٥) هم أتباع بشر المريسى (٦) وفى نسخة العبدية

جحدوا الرسول فقالوا : إنما هم حكام ، والواقفية قالوا : لا نقول إن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق . والقبرية ينكرون عذاب القبر والشفاعة ، واللفظية قالوا : لفظنا بالقرآن مخلوق .

(وانقسمت المرجئة) اثنتى عشرة فرقة : التاركية قالوا : ليس لله عز وجل على خلقه فريضة سوى الإيمان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ما شاء ، والسائبية قالوا : إن الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ما شاءوا ، والراجية قالوا : لا نسمى الطائع طائعاً ولا العاصى عاصياً لأنا لا ندرى ماله عند الله ، والشاكية قالوا : إن الطاعات ليست من الإيمان ، والبيهسية(١) قالوا : الإيمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر ، والمنقوصية قالوا الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، والمستثنية نفوا الاستثناء فى الإيمان ، والمشبهة يقولون لله بصر كبصرى ويد كيدى ، والحشوية جعلوا حكم الأحاديث كلها واحداً فعندهم إن تارك النفل كتارك الفرض ، والظاهرية(٢) وهم الذين نفوا القياس ، والبدعية أول من ابتدع الأحداث فى هذه الأمة .

(وانقسمت الرافضة) اثنتى عشرة فرقة، العلوية قالوا : إن الرسالة كانت إلى على وإن جبريل أخطأ ، والأمرية قالوا : إن علياً شريك محمد ﷺ فى أمره ، والشيعة قالوا : إن علياً رضى الله عنه وصى رسول الله ﷺ ووليه من بعده وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره ، والإسحاقية قالوا : إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبى ، والناووسية قالوا : إن علياً أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر ، والإمامية قالوا : لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعلمه جبرائيل فإذا مات بدل مكانه مثله ، واليزيدية قالوا : إن ولد الحسين كلهم أئمة فى الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم ، والعباسية زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره ، والمتناسخة قالوا : إن الأرواح تتناسخ

---

(١) نسبة إلى بيهس بن الهيصم

(٢) أصحاب الإمام المجتهد داود بن على الظاهرى ولد بالكوفة سنة مائتين ونشأ ببغداد وتوفى بها سنة سبعين ومائتين وهو من أئمة أهل السنة والجماعة ، ولعل عد هذه من المرجئة سبق قلم حمانا الله من الزلل .

فتى كان محسناً خرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه ، ومن كل مسيئاً دخلت روحه فى خلق تشق بعيشه ، والرجعية زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم ، واللاعنية الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم ، والمتربصة تشبهوا بزى النساك ونصبوا فى كل عصر رجلا ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدى هذه الأمة فإذا مات نصبوا رجلا آخر .

(وانقسمت الجبرية) اثنى عشرة فرقة فنهم : المضطربة قالوا : لا فعل للآدمى بل الله عز وجل يفعل الكل ، والأفعالية قالوا : لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وإنما نحن كالبهائم نقاد بالحبل، والمفروغية قالوا : كل الأشياء قد خلقت والآن لا يخلق شىء، والنجارية(١) زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لاعلى فعلهم ، والمتانية قالوا : عليك بما خطر بقلبك فافعل ما توسمت به الخير ، والكسبية قالوا : لا يكسب العبد ثوابا ولا عقابا ، والسابقية قالوا : من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل فإن السعيد لاتضره ذنوبه والشق لاينفعه بره ، والحبية قالوا : من شرب كأس محبة الله عز وجل سقطت عنه الأركان والقيام بها ، والخوفية قالوا : إن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لا يخاف حبيبه ، والفكرية قالوا : إن من ازداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة ، والخسية قالوا : الدنيا بين العباد سواء لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم ، والمعية قالوا : منا الفعل ولنا الاستطاعة .

﴿ الباب الثالث ﴾

(فى التحذير من فتن إبليس ومكايده)

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه : اعلم أن الآدمى لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه . ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه . وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب ، وخلق الشيطان محرضاً له على الإسراف فى اجتلابه واجتنابه ، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو

(١) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار وأكثر معتزلة الرى وحواليها على مذهبه

الذى قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه فى فساد أحوال بنى آدم . وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى : (لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وقال تعالى : (ويريد الشيطان أن يضلكم ضلالا بعيداً) وقال : (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) وقال تعالى : (إنه عدو مضل مبين) وقال : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى : (ولا يغرنكم بالله الغرور) وقال تعالى : (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) وفى القرآن من هذا كثير .

﴿ فصل ﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وينبغى أن تعلم أن إبليس الذى شغله التلبيس أول ما التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال : (خلقتنى من نار وخلقته من طين) ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم ، فقال : (أرأيتك هذا الذى كرمت علىّ) والمعنى أخبرنى لم كرمته على ، غرر ذلك الاعتراض أن الذى فعلته ليس بحكمة ثم أتبع ذلك بالكبر فقال : (أنا خير منه) . ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التى أراد تعظيمها باللعنة والعقاب .

فتى سول للإنسان أمراً فينبغى أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين أمره إياه بالسوء إنما تريد بما تأمر به نصحى ببلوغى شهوتى . وكيف يتضح صواب النصح للغير لمن لا ينصح نفسه ثم كيف أثق بنصيحة عدو فانصرف فما فى لقولك منفذ فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس لأنه يحث على هواها فليستحضر العقل إلى بيت الفكر فى عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهزم عسكر الهوى والنفس .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا عاصم بن الحسن نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين ابن إسماعيل ثنا زكريا بن يحيى ثنا شامة بن سوار ثنى المغيرة عن مطرف ابن الشخير عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله ﷺ يا أيها الناس إن الله تعالى أمرنى أن

أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا إن كل مال نحلته عبدي فهو له حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وأمرتهم أن لايشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب .

أخبرنا ابن الحصين قال : أخبرنا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن أحمد ثني أبي ثنا يحيي بن سعيد ثنا هشام ثنا قتادة عن مطرف عن عياض ابن حمار . أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته : إن ربي — إلى آخر الحديث المتقدم .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيئاً ، قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال فيدنيه منه أو قال فيلتزمه ويقول نعم أنت . وبه قال أحمد وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه يرفعه قال : إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش[1] بينهم قال المصنف : انفرد به البخاري والذي قبله مسلم وفي لفظ حديثه قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب .

أنبأنا إسماعيل السمرقندي نا عاصم بن الحسن نا ابن بشران نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثني الحسين بن السكن ثنا المعلي بن أسد ثني عدي بن أبي عمارة ثنا زياد النميري عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه ، قال إن الشيطان واضع خطمه[2] على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس . وإن نسي الله التقم قلبه .

أخبرنا محمد بن أبي منصور نا عبدالقادر نا الحسن بن علي التميمي نا أبو بكر ابن ملك

---

(١) أي يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن .

(٢) الخطم وزان فلس من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم الأنف والفم فاستعير للشيطان

ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا عبد الرحمن عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : إن الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم ، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا . قال عبد الله وحدثنى على بن مسلم ثنا سيار ثنا حبان الحريرى ثنا سويد القناوى عن قتادة رضى الله عنه قال : إن لإبليس شيطاناً يقال له قبقب يجمه[1] أربعين سنة فإذا دخل الغلام فى هذا الطريق قال له : دونك إنما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه وأفتنه .

قال سيار : وحدثنا جعفر ثنا ثابت البنانى رضى الله عنه قال : بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء ، فقال يحيى : يا إبليس ما هذه المعاليق التى أرى عليك ، قال : هذه الشهوات التى أصيد بهن ابن آدم ، قال : فهل لى فيها من شيء ، قال : ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر ، قال : فهل غير ذلك قال لا والله قال لله على أن لا أملأ بطنى من طعام أبداً ، قال إبليس : ولله على أن لا أنصح مسلماً أبداً . قال عبد الله ابن أحمد ثنا أبى ثنا وكيع ثنا الأعمش عن خيثمة عن الحارث بن قيس رضى الله عنه . قال : إذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال إنك ترائى فزدها طولا .

أنبأ إسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد نا أبو على بن صفوان نا أبو بكر بن عبيد نا عبد الرحمن بن يونس نا سفيان بن عيينة . قال : سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر سمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبى ﷺ يقول : كان راهب فى بنى إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب ، فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها فمازالوا به حتى قبلها فكانت عنده فأتاه الشيطان فسول له إيقاع الفعل بها فأحبلها ـ ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن أتوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها يسألونه عنها ، فقال : ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان .

(١) أى يتركه بدون عمل ليقوى .

فقال : أنا الذى ضربتها وخنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها وأنا الذى أوقعتك فى هذا فأطعنى تنسج ، اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين ، فهو الذى قال عز وجل (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منــــك إنى أخاف الله رب العالمين) وقد روى هـذا الحديث على صفـة أخرى عن وهب بن منبه رضى الله عنـه : أن عابداً كان فى بنى إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه ، وكان فى زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها . فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عنـد من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها . قال : فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عنـــد عابد بنى إسرائيل . وكان ثقـة فى أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره إلى أن يرجعوا[1] من غزاتهم ، فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال : أنزلوها فى بيت حذاء صومعتى ، قال : فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت فى جوار ذلك العابد زمانا ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد إلى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه فى الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها ، قال : فلبث على هذه الحالة زماناً . ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير والأجر وحضه عليه ، وقال : لو كنت تمشى إليها بطعامها حتى تضعه فى بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثم وضعه فى بيتها، فلبث على ذلك زمانا ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير وحضه عليه ، فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة ، قال : فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع إليها من فوق صومعته . قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال : لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هى على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها ، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج

(١) وفى نسخة « يقفلوا » .

الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها ، قال : فلبثا زماناً يتحدثان . ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير والثواب فيما يصنع بها وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها ، فلم يزل به حتى فعل ، قال فلبثا زماناً ، ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها ، وقال له : لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها ، فلبثا على ذلك حيناً . ثم جاءه إبليس ، فقال : لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته ، قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها . فلم يزل به إبليس يحسنها فى عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها ، فولدت له غلاما فجاء إبليس فقال : أرأيت إن جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فانها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ماصنعت بها ففعل فقال له أتراها تكتم إخوتها ماصنعت بها وقتلت ابنها ، قال : خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل إخوتها من الغزو، فجاءوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها ، وقال : كانت خير امرأه وهذا قبرها فانظروا إليه ، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم . فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان ، وقال : لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فزعاً منكم وألقاهما فى حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فانطلقوا فأدخلوا البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فانكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً ، وأتى الأوسط فى منامه فقال له مثل ذلك ، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك ، فلما استيقظ

القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى ، فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم قال أصغرهم والله لا أمضي حتى آتي إلى هذا المكان فأنظر فيه ، قال : فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وصف لهم فى منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين فى الحفيرة كما قيل لهم ، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما ، فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له قد علمت أنى صاحبك الذى فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فان أنت أطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك وصورك خلصت مما أنت فيه ، قال: فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه . قال : ففيه نزلت هذه الآية (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك) إلى قوله (جزاء الظالمين) وقد تقدم ذكرها .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم نا أبو بكر الاجرى ثنا عبد الله بن محمد العطيني ثنا إبراهيم بن الجنيد ثنى محمد بن الحسين ثنا بشر بن محمد بن أبان ثنى الحسن بن عبد الله بن مسلم القرشى عن وهب بن منبه رضى الله عنه . قال : كان راهب فى صومعته فى زمن المسيح عليه السلام فأراده إبليس فلم يقدر عليه فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه . فأتاه متشبهاً بالمسيح . فناداه : أيها الراهب اشرف على أكلمك ، قال : انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمرى فقال : أشرف على فأنا المسيح فقال إن كنت المسيح فمالى إليك حاجة ألست قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك فانطلق اللعين عنه وتركه .

أنبأنا إسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد بن بشران نا أبو على البردعى ثنا أبو بكر القرشى ثنا أبو عبد الله محمد بن موسى الحرشى ثنا جعفر بن سليمان ثنا عمرو بن دينار ثنا سالم بن عبد الله رضى الله عنه عن أبيه قال : لما ركب نوح عليه السلام فى السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك ، قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك ، فقال له نوح عليه السلام اخرج

ياعدو الله ، فقال إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح عليه الصلاة والسلام أنه لاحاجة لك إلا الثلاث ، مرة يحدثك بالاثنتين فقال بهما أهلك النـــاس وهما لايكذبان : الحسد[1] والحرص[2] فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما ، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه فأخرج من الجنة . قال ولقي إبليس موسى عليه السلام ، فقال : ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما ، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي عز وجل أن يتوب علي ، فدعا موسى ربه فقيل ياموسى قد قضيت حاجتك ، فلقي موسى إبليس فقال له قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك ، فاستكبر وغضب وقال : لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ، ثم قال إبليس : ياموسى إن لك حقا بما شفعت إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلك فيهن أذكرنى حين تغضب فأنا وحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم واذكرنى حين تلقى الزحف فإنى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولى . وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإنى رسولها إليك ورسولك إليها . قال القرشى وحدثنا أبو حفص الصفار ثنا جعفر ابن سليمان ثنـــا شعبة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال ما بعث الله نبيا إلا لم يأمن إبليس أن يهلكه بالنساء : قال القرشى وثنى القاسم بن هاشم عن إبراهيم بن الأشعث عن فضل بن عياض : قال حدثنى بعض أشياخنا أن ابليس لعنه الله جاء إلى موسى عليه الصلاة والسلام وهو يناجى ربه تعالى فقال له الملك : ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجى ربه ، قال : أرجو منـــه مارجوت من أبيه آدم وهو فى الجنة . قال القرشى وثنا أحمد بن

(١) الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه والغبطة أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه والأول مذموم والثانى محمود وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لاحسد إلا فى اثنتين .

(٢) الحرص شدة الإرادة والشره إلى المطلوب وهو نوعان : حرص فاجع وحرص نافع فالأول حرص المرء على الدنيا وهو مشغول معذب بها فلا يفرغ من محبتها والثانى حرصه على طاعة الله تعالى خوف أن تفوت .

عبد الأعلى الشيبانى ثنا فرج بن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد رضى الله عنه قال : بينا موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه إذ أقبل إبليس عليه برنس(١) له يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له السلام عليك ياموسى : فقال موسى عليه السلام ، من أنت : قال أنا إبليس ، قال فلا حياك الله ماجاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه قال : فما الذى رأيته عليك ، قال : به أختطف قلوب بنى آدم ، قال : فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه ، قال إذا أعجبته نفسه . واستكثر عمله . ونسى ذنوبه . وأحذرك ثلاثاً :

لاتخلون بامرأة لاتحل لك قط ، فإنه ماخلا رجل بامرأة لاتحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها .

ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به ، فإنه ماعاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء به .

ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين إخراجها . ثم ولى وهو يقول : ياويله ثلاثاً علم موسى مايحذر به بنى آدم .

قال القرشى : وحدثنى محمد بن إدريس ثنا أحمد بن يونس ثنا حسن بن صالح قال : سمعت أن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به ، فلا أخطىء وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى .

قال القرشى : وحدثنا إسحق بن إبراهيم ثنى هشام بن يوسف بن عقيل بن معقل ابن أخى وهب بن منبه قال : سمعت وهباً يقول : قال راهب للشيطان وقد بدا له أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم ، قال الحدة(٢) إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ،

---

(١) البرنس هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أو جبة أو غيرهما ، وقد شاع استعماله فى المغرب .

(٢) الحدة ما يعترى الإنسان من الغضب .

قال القرشي : وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطي عن سليمان بن المغيرة عن ثابت رضي الله عنه قال : لما بعث النبي صلّى الله عليه وسلم جعل إبليس لعنه الله يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيجيئون إليه بصحفهم ليس فيها شيء فيقول لهم مالكم لا تصيبون منهم شيئا ، فقالوا : ما صحبنا قوما مثل هؤلاء فقال رويداً بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا ، هنالك تصيبون حاجتكم منهم .

قال القرشي : وأخبرنا أحمد بن جميل المروزي نا ابن المبارك نا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى قال : إذا أصبح إبليس بث جنوده في الأرض فيقول من أضل مسلما ألبسته التاج . فيقول له القائل لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، قال يوشك أن يتزوج ، ويقول آخر لم أزل بفلان حتى عق ، قال يوشك أن يبر . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى زنى ، قال أنت ، ويقول آخر لم أزل بفلان حتى شرب الخمر ، قال أنت ، قال ويقول آخر لم أزل بفلان حتى قتل ، فيقول : أنت أنت .

قال القرشي : وسمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال لأقطعن هذه الشجرة ، فجاء ليقطعها غضبا لله فلقيه إبليس في صورة إنسان ، فقال : ما تريد ؟ قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله . قال : إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟ قال : لأقطعنها . فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك قال فمن أين لي ذلك قال أنا لك ، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئا ، فقام غضبا ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته وقال ما تريد ؟ قال أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى قال كذبت مالك إلى ذلك من سبيل : فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال أتدري من أنا ، أنا الشيطان ، جئت أول مرة غضبا فلم يكن لي عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتهما فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك .

قال القرشي : وحدثنا بشر بن الوليد الكندي ثنا محمد بن طلحة عن زيد ابن مجاهد قال : لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره ، ثم سماهم ،

فذكر ثبر، والأعور، ومسوط. وداسم، وزكنبور، فأما ثبر، فهو صاحب المصيبات الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية، وأما الأعور، فهو صاحب الزنا الذى يأمر به ويزينه، وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذى يسمع فيلق الرجل فيخبره بالخبر، فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم: قد رأيت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه حدثنى بكذا وكذا، وأما داسم، فهو الذى يدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم، وأما زكنبور، فهو صاحب السوق الذى يركز رايته فى السوق.

أخبرنا محمد بن القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد ابن إسحاق ثنا إسماعيل بن أبى الحارث ثنا سنيد عن مخلد بن الحسين قال: ما ندب الله العباد إلى شىء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالى بأيهما ظفر: إما غلو فيه، وإما تقصير عنه. وبالإسناد قال محمد بن إسحاق وثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبى قبيل سمعت حياة بن شراحيل يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: إن إبليس موثق فى الأرض السفلى، فإذا هو تحرك كان كل شر فى الأرض بين اثنين فصاعداً من تحركه.

قال الشيخ: أبو الفرج رحمه الله. قلت: وفتن الشيطان ومكايده كثيرة فى غضون هذا الكتاب منها ما يليق بكل موضع منه إن شاء الله تعالى: والكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة. فإن من يدع إلى ما يحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدرة فيا سرعة انحدارها، ولما ركب فى هاروت وماروت لم يستمسكا، فإذا رأت الملائكة مؤمناً قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته.

وأخبرنا محمد بن أبى منصور نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى ثنا أبو بكر ابن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنى ابن سريج قال: ثنا عتبة بن عبد الواحد عن مالك ابن مغول عن عبدالعزيز بن رفيع قال: إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة سبحان الله الذى نجى هذا العبد من الشيطان، ياويحه كيف نجا.

﴿ ذكر الإعلام بأن مع كل إنسان شيطانا ﴾

أخبرنا أبو الحصين الشيبانى نا أبو على المذهب نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل ثنى أبى ثنا هرون ثنا عبد الله بن وهب أخبرنى أبو صخر عن ابن قسيط أنه حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : مالك ياعائشة أغرت(١) ، فقلت : ومالى لا يغار مثلى على مثلك؟ فقال : أو قد جاءك شيطانك؟ قالت : يارسول الله أو معى شيطان ! قال : نعم ، قلت : ومع كل إنسان؟ قال نعم ، قلت : ومعك يا رسول الله؟ قال نعم ، ولكن ربى عز وجل أعاننى عليه حتى أسلم . انفرد به مسلم وفى لفظ آخر : أعانى عليه فأسلم . قال الخطابى . عامة الرواة يقولون : فأسلم على مذهب الفعل الماضى إلا سفيان بن عيينة فإنه يقول فأسلم من شره وكان يقول الشيطان لا يسلم . قال الشيخ : وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان إلا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة ، وهو ما أخبرنا به بن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن ابن مسعود يرفعه ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا وإياك يارسول الله قال : وإياى ، ولكن الله عز وجل أعاننى عليه فلا يأمرنى إلا بحق : وفى رواية فلا يأمرنى إلا بخير . قال الشيخ : انفرد به مسلم . واسم أبى الجعد رافع وظاهره إسلام الشيطان ، ويحتمل القول الآخر .

﴿ بيان أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ﴾

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنى عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن صفية

(١) من الغيرة والأنفة ، يقال رجل غيور ، وامرأة غيور .

بنت حي زوج النبي ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه و. لم معتكفاً فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معي ليقلبني(١) وكان مسكنها في دار أسامة ابن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلكما إنها صفية بنت حيي ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! قال : إن الشيطان(٢) يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً - أو قال شيئاً - الحديث في الصحيحين . قال الخطابي : وفي هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجرى به الظنون ، ويخطر بالقلوب ، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب ، ويحكى في هذا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : خاف النبي صلى الله عليه وسلم أن يقع في قلوبهما شيء من أمر فيكفرا ، وإنما قاله صلى الله عليه وسلم شفقة منه عليهما لا على نفسه .

﴿ ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم(٣) ﴾

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وعند السحر فقال : (قل أعوذ برب الفلق) إلى آخر السورة . فإذا أمر بالتحرز من شره في هذين الأمرين فكيف في غيرهما .

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر نا عبدالله بن أحمد ثنا أبي ثنا سيار ثنا جعفر ثنا أبو التياح ، قال : قلت لعبد الرحمن بن حنيش : أدركت النبي صلى الله

---

(١) ليقلبني بفتح الياء أي ليردني إلى منزلي .

(٢) ظاهر الحديث أن الله تعالى جعل للشيطان قوة وقدره على الجرى في باطن الإنسان في مجاري دمه ، ويحتمل أنه من قبيل الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه ، وقيل : إنه يلقى وسوسته مسام لطيفة من البدن فتصل إلى القلب .

(٣) التعوذ التحصن والاعتصام والالتجاء ، والمعوذتان عوذتا قارآهما أي عصمتاه من كل سوء .

عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قلت كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فقال : إن الشياطين تحدرت(١) تلك الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدوية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهبط إليه جبريل عليه السلام ، فقال : يامحمد قل ، قال : ما أقول ؟ قال : قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر مايعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ، قال : فطفئت نارهم ، وهزمهم الله تعالى .

أنبأنا إسماعيل بن أحمد السمرقندى نا عا[illegible] نا أبو الحسين بن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى حدثنى أبو [illegible] ثنا ابن أبي فديك عن الضحاك ابن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الشيطان يأتى أحدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول الله تبارك وتعالى ، فيقول : فمن خلق الله ، فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل : آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه . قال القرشى : ثنا هناد بن السرى ثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمذانى عن ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه ، قال : إن للشيطان لمة(٢) بابن آدم ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم انه من الله فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) الآية .

قال الشيخ رحمه الله : وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبدالرازق نا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

---

(١) من الحدور أى نزلت .

(٢) اللمة الهمة والخطرة تقع فى القلب فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان .

رضى الله عنهما ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول : أعيذكما بكلمات الله التامة . من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . ثم يقول هكذا كان أبى إبراهيم صلى الله عليه وآله[1] وسلم يعوذ إسماعيل وإسحاق أخرجاه فى الصحيحين . قال أبو بكر بن الأنبارى الهامة واحد الهوام ، ويقال : هى كل نسبة تهم بسوء واللامة الملمة وإنما قال : لامة ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على اللسان .

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم بن عمر البرمكى نا أبو الحسن عبد الله بن إبراهيم الزينبى ثنا محمد بن خلف ثنا عبد الله بن محمد ثنا فضيل بن عبد الوهاب ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال : قال مطرف ، نظرت فإذا ابن ادم ملق بين يدى الله عز وجل وبين إبليس فمن شاء أن يعصمه عصمه وإن تركه ذهب به إبليس (وحكى) عن بعض السلف أنه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا . قال ؟ أجاهده ، قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده قال : فان عاد ؟ قال أجاهده . قال هذا يطول أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ماتصنع ؟ قال : أكابده وأرده جهدى . قال هذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك .

قال الشيخ رحمه الله : واعلم أن مثل إبليس مع المتقى والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام ، فمر به كلب فقال له اخسأ فذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أخساه لم يبرح ، فالأول مثل المتقى يمر به الشيطان فيكفيه فى طرده الذكر ، والثانى مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه ، نعوذ بالله من الشيطان .

﴿ الباب الرابع ـ فى معنى التلبيس والغرور ﴾

قال المصنف : التلبيس إظهار الباطل فى صورة الحق ، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والردىء جيداً : وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم . واعلم أن القلب كالحصن ، وعلى ذلك الحصن سور ، وللسور أبواب ،

(١) هكذا فى النسخ التى بأيدينا ، ولعل « بآله » زيادة من النساخ .

وفيه ثلم(١) وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض(٢) فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم. فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وكل بحفظه وجميع الثلم، وأن لايفتر عن الحراسة لحظة. فان العدو مايفتر. قال رجل للحسن البصرى: أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة، وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل مايمر به، فأول مايفعل الشيطان فى الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن، وتصدأ المرآة وكال الفكر يرد الدخان وصقل الذكر يجلو المرآة، وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكر عليه الحارس فيخرج، وربما دخل فعاث(٣) وربما أقام لغفلة الحارس، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدرى به، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل فى موافقة الهوى ومساعدته، وربما صار كالفقيه فى الشر، قال بعض السلف: رأيت الشيطان فقال لى قد كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم. وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأسره، وأقوى القيد الذى يوثق به الأسرى الجهل، وأوسطه فى القوة الهوى، وأضعفه الغفلة، ومادام درع الإيمان على المؤمن، فان نبل العدو لا يقع فى مقتل.

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا أبو محمد بن حيان ثنا أحمد بن محمد بن يعقوب ثنا محمد بن يوسف الجوهرى ثنا أبو غسان النهدى قال: سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول: إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به باباً من الشر. أنبأنا على بن عبد الله نا محمد بن محمد النديم نا عمى

---

(١) الثلم جمع ثلمة كغرفة وغرف، وهى فى الأصل موضع الكسر من القدح.

(٢) الربض بفتحتين المكان الذى يؤوى ليه.

(٣) عاث يعيث عيثاً أفسد.

عبد الواحد بن أحمد ثنى أبى أحمد بن الحسين العدل ثنا أبو جعفر محمد بن صالح ثنا حيان ابن الفلس الجانى ثنا حماد بن شعيب عن الأعمش قال : حدثنا رجل كان يكلم الجن ، قالوا : ليس علينا أشد ممن يتبع السنة ، وأما أصحاب الأهواء فإنا نلعب بهم لعباً .

﴿ الباب الخامس ﴾

(فى ذكر تلبيسه فى العقائد والديانات)

ذكر تلبيسه على السوفسطائية(١)

قال الشيخ : هؤلاء قوم ينسبون إلى رجل يقال له سوفسطا : زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها وأن مايستبعده يجوز أن يكون على مانشاهده ، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده . وقد أورد العلماء عليهم ، بأن قالوا لمقالتكم هذه حقيقة أم لا ؟ فإن قلتم لاحقيقة لها وجوزتم عليها البطلان فكيف يجوز أن تدعوا إلى مالا حقيقة له ؟ فكأنكم تقرون بهذا القول أنه لايحل قبول قولكم ، وإن قلتم لها حقيقة ، فقد تركتم مذهبكم . وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن ابن موسى النوبختى فى كتاب الآراء والديانات ، فقال : رأيت كثيراً من المتكلمين قد غلطوا فى أمر هؤلاء غلطا بيناً . لأنهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليهم وهم لم يثبتوا حقيقة ولا أقروا بمشاهدة ، فكيف تكلم من يقول : لا أدرى أيكلمنى أم لا ؟ وكيف تناظر من يزعم أنه لايدرى أموجود هو أم معدوم ؟ ! وكيف تخاطب من يرى أن المخاطبة بمنزلة السكوت فى الإبانة وأن الصحيح بمنزلة الفاسد ؟ قال : ثم إنه إنما يناظر من يقر بضرورة أو يعترف بأمر ، فيجعل ما يقر سبباً إلى تصحيح ما يجحده . فأما من لايقر بذلك فجادلته مطروحة . قال الشيخ : وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء بن عقيل فقال :

---

(١) اعلم أن السوفسطائية انقسمت ثلاثة مذاهب : الأول ينكر حقائق الأشياء ويزعم أنها أوهام وهم العنادية ، والثانى ينكر العلم بثبوت الشىء ولا بعدم ثبوته ، ولا ينكر نفس الحقائق ولا يثبتها ويزعم أنه شاك وشاك فى أنه شاك وهم اللاأدرية ، والثالث يزعم أن الحقائق تابعة للاعتقادات مع كونه ينكر ثبوتها وهم العندية وهى ، مذكورة فى كلام المصنف على هذا الترتيب .

إن أقواماً قالوا كيف نكلم هؤلاء وغاية ما يمكن المجادل أن يقرب المعقول إلى المحسوس ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب ، وهؤلاء لا يقولون بالمحسوسات فبم يكلمون؟ قال : وهذا كلام ضيق العطن ، ولا ينبغي أن يؤنس من معالجة هؤلاء فإن ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس ولا ينبغي أن يضيق عطننا عن معالجتهم فإنهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج وما مثلنا ومثلهم إلا كرجل رزق ولداً أحول فلا يزال يرى القمر بصورة قرين ، حتى إنه لم يشك أن فى السماء قرين : فقال له أبوه القمر واحد ، وإنما السوء فى عينيك ، غض عينك الحولاء وانظر ، فلما فعل قال : أرى قمراً واحداً لأنى عصبت إحدى عينى فغاب أحدهما فجاء من هذا القول شبهة ثانية ، فقال له أبوه : إن كان ذلك كما ذكرت فغض الصحيحة ففعل فرأى قرين ، فعلم صحة ما قال أبوه .

أنبأنا محمد بن ناصر نا الحسن بن أحمد بن البنا ثنا ابن دودان نا أبو عبدالله المرزبانى ثنى أبو عبد الله الحكيمى ثنى يموت بن المزرع ثنى محمد بن عيسى النظام قال : مات ابن لصالح بن عبد الله القدوس فمضى إليه أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له ، فرآه منحرفاً فقال له أبو الهذيل : لا أعرف لجزعك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزرع . فقال له صالح يا أبا الهذيل . إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال له أبو الهذيل : وما كتاب الشكوك . قال هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان ، فقال له النظام : فشك أنت فى موت ابنك واعمل على أنه لم يمت ، وإن كان قد مات فشك أيضاً في أنه قد قرأ الكتاب وإن كان لم يقرأه . وحكى أبو القاسم البلخى أن رجلا من السوفسطائية كان يختلف إلى بعض المتكلمين فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم يرها فرجع فقال سرقت دابتى ، فقال ويحك لعلك لم تأت راكباً ، قال بلى ، قال تفكر ، قال : هذا أمر أتيقنه ، فجعل يقول له : تذكر ، فقال : ويحك ويحك ما هذا موضع تذكر ، أنا لا أشك أنى جئت راكبا ، قال فكيف تدعى أنه لا حقيقة لشيء وأن حال اليقظان كحال النائم ؟ فوجم السوفسطائى ورجع عن مذهبه .

﴿ فصل ﴾ : قال النوبختى قد زعمت فرقة من المتجاهلين أنه ليس للأشياء حقيقة واحدة فى نفسها ، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها ، فإن العسل يجده

صاحب المرة الصفراء مرآ . ويجده غيره حلوا . قالوا وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه ، محدث عند من اعتقد حدوثه . واللون جسم عند من اعتقده جسما ، وعرض عند من اعتقده عرضا . قالوا : فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الأمر على وجود من يعتقد . وهؤلاء من جنس السوفسطائية فيقال لهم أقولكم صحيح؟ فسيقولون هو صحيح عندنا ، باطل عند خصمنا . قلنا دعواكم صحة قولكم مردودة وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ومن شهد على قولهم بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه . ربما يقال لهم : أتثبتون للمشاهدة حقيقة ؟ فان قالوا لا ، لحقوا بالأولين ، وإن قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة فى نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الأولين .

﴿ فصل ﴾ قال النوبختى : ومن هؤلاء من قال : إن العالم ذوب وسيلان قالوا : ولا يمكن الإنسان أن يتفكر فى الشىء الواحد مرتين ، لتغير الأشياء دائماً فيقال لهم : كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم ، وربما كان أحدكم الذى يجيبه الآن غير الذى كلمه .

﴿ ذكر تلبيسه على الدهرية ﴾

قال المصنف : قد أوهم إبليس خلقا كثيراً أنه لا إله ولا صانع ، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون ، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا فى معرفته العقل جحدوه ، وهل يشك ذو عقل فى وجود صانع فان الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطا مبنيا علم أنه لابد له من بان بناه ، فهذا المهاد الموضوع ، وهذا السقف المرفوع ، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة ، أما تدل على صانع ، وما أحسن ما قال بعض العرب : إن البعرة تدل على البعير ، فهيكل علوى بهذه اللطافة ، ومركز سفلى بهذه الكثافة . أما يدلان على اللطيف الخبير ، ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلا ، ولشفت غليلا فإن فى هذا الجسد من الحكم مالا يسع ذكره فى كتاب ، ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع ، وتعريض الأضراس لتطحن . واللسان يقلب الممضوغ وتسليط الكبد على الطعام ينضجه ، ثم ينفذ إلى كل جارحة

قدر ما تحتاج إليه من الغذاء ، وهذه الأصابع التى هيئت فيها العقد لتطوى وتنفتح ، فيمكن العمل بها ، ولم تجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوى فكسرها وجعل بعضها أطول من بعض لتستوى إذا ضمت ، وأخفى فى البدن مافيه قوامه ، وهى النفس التى إذا ذهبت فسد العقل الذى يرشد إلى المصالح ، وكل شيء من هذه الأشياء ينادى أفى الله شك ؟ وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحسن ، ومن الناس من جحده . لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود ، ولو أعمل هذا فكره لعلم أن لنا أشياء لا تدرك إلا جملة كالنفس والعقل . ولم يمتنع أحد من إثبات وجودهما ، وهل الغاية إلا إثبات الخلق جملة ، وكيف يقال كيف هو أوما هو ولا كيفية له ولا ماهية . ومن الأدلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنه لا يخلو من الحوادث وكل مالا ينفك عن الحوادث حادث ولابد لحدوث هذا الحادث من مسبب وهو الخالق سبحانه . وللملحدين اعتراض يتطاولون به على قولنا : لابد للصنعة من صانع فيقولون إنما تعلقتم فى هذا بالشاهد وإليه نقاضيكم فنقول كما أنه لابد للصنعة من صانع فلابد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفأس . قالوا فدليلكم الذى تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم . فالجواب أنه لا حاجة بنا إلى مادة بل نقول إن الصانع اخترع الأشياء اختراعا فإنا نعلم أن الصور والأشكال المتجددة فى الجسم كصورة الدولاب ليس لها مادة ، وقد اخترعها ولابد لها من مصور فقد أريناكم صورة وهى شيء جاءت لا من شيء ولا يمكنكم أن ترونا صنعة جاءت لا من صانع .

﴿ ذكر تلبيسه على الطبائعيين(١) ﴾

قال المصنف : لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لابد للمصنوع من صانع حسن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة وقال مامن شيء يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه فدل على أنها الفاعلة ، وجواب هذا ،

(١) الطبائعيين نسبة إلى الطبائع الأربعة وهى : التراب ، والماء ، والنار ، والهواء على مذهبهم هداهم الله إلى صراطه المستقيم ، ويعتقدون أنها أصول كل شيء .

نقول اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها . وذلك يخالف طبيعتها ، فدل على أنها مقهورة . وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة ومعلوم أن الفعل المتسق المنتظم لا يكون إلا من عالم حكيم ، فكيف يفعل من ليس عالماً وليس قادراً ، فإن قالوا ولو كان الفاعل حكيما لم يقع فى بنائه خلل . ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة فعلم أنه بالطبع . قلنا ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التى لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع . فأما الخلل المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة ، أو فى طيه منافع لا نعلمها ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع فى نيسان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم والخلالة وتنشف البرة ونيبشها ولو فعلت طبعاً لأيبست الكل أو رطبته فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة فى يبس هذه للادخار ، والنضج فى هذه للتناول ، والعجب أن الذى أوصل إليها اليبس فى أكنة(١) لا يلق جرمها والذى رطبها يلق جرمها ، ثم إنها تبيض ورد الخشخاش وتحمر الشقائق وتحمض الرمان وتحلى العنب ، والماء واحد ، وقد أشار المولى إلى هذا بقوله : (تسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) .

﴿ ذكر تلبيسه على الثنوية ﴾

وهم قوم قالوا : صانع العالم اثنان : ففاعل الخير نور ، وفاعل الشر ظلمة ، وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين ، سميعين بصيرين ، وهما مختلفان فى النفس والصورة ، متضادان فى الفعل والتدبير ، فجوهر النور فاضل حسن نير صاف نقى طيب الريح حسن المنظر ، ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعة منها الخير واللذة والسرور والصلاح وليس فيها شىء من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ونفسه نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنة ضرارة

---

(١) الأكنة الأغطية واحد الأكنان ، قال تعالى : (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أى أغطية .

منها الشر والفساد(١) . كذا حكاه النوبختى عنهم ، قال : وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة . وقال بعضهم : بل كل واحد إلى جانب الآخر . وقال أكثرهم : النور لم يزل مرتفعاً فى ناحية الشمال ، والظلمة منحطة فى ناحية الجنوب . ولم يزل كل واحد منهما مباينا لصاحبه ، قال النوبختى : وزعموا أن كل واحد منهما له أجناس خمسة ، أربعة منها أبدان وخامس هو الروح ، وأبدان النور أربعة : النار والريح ، والتراب ، والماء ، وروحه الشبح ، ولم تزل تتحرك فى هذه الأبدان ، وأبدان الظلمة أربعة : الحريق ، والظلمة ، والسموم ، والضباب ، وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة ، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت ، وبعضهم يقول الظلمة تتوالد شياطين والنور يتوالد ملائكة . وأن النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه ، والظلمة لا تقدر على الخير ولا تجوز منه . وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة . ومذاهب سخيفة . فمنها أنه فرض عليهم الا يدخرون إلا قوت يوم ، وقال بعضهم : على الإنسان صوم سبع العمر ، وترك الكذب والبخل والسحر ، وعبادة الأوثان والزنى والسرقة ، وأن لا يؤذى ذا روح ، فى مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة . وذكر يحيى ابن بشر النهاوندى أن قوماً منهم يقال لهم : (الديصانية) زعموا أن طبيعة العالم(٢) كانت طينة خشنة وكانت تحاكى جسم البارى الذى هو النور زمانا ، فتأذى بها . فلما طال عليه ذلك قصد تنحيتها عنه فتوحل فيها واختلط بها فتركب منها هذا العالم النورى والظلمى . فما كان من جهة الصلاح فمن النور ، وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة ، وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم ويزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة ، مذاهب سخيفة ، والذى حملهم على هذا أنهم رأوا فى العالم شراً واختلافاً ، فقالوا : لا يكون من أصل واحد شيئان مختلفان : كما لا يكون من النار التبريد والتسخين . وقد رد العلماء عليهم فى قولهم إن الصانع اثنان ، فقالوا : لو كان اثنين لم يخل أن يكونا قادرين ، أو عاجزين ، أو أحدهما قادر والثانى عاجز ، لا يجوز أن يكونا عاجزين

---

(١) انظر أهداف سورة الكهف ص ٩٨ وما بعدها .

(٢) وفى نسخة طينة العالم .

فى العالم فهى من جوهر اللاهوتية قال الشيخ رحمه الله : هذا الذى ذكره النهاوندى نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة . ولولا أنه قد قيل ونقل فى ذكره بيان ما قد فعل إبليس فى تلبيسه ، لكان الأولى الإضراب عن ذكره تعظيما لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا ، ولكن قد بينا وجه الفائدة فى ذكره .

﴿ فصل ﴾ وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً ، وإنما يعلم نفسه وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه، فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق.

قال المصنف : وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه . فانظر إلى ما زينه إبليس لهؤلاء الحمقاء مع ادعائهم كمال العقل ، وقد خالفهم أبو على ابن سيناء فى هذا فقال : بل يعلم نفسه . ويعلم الأشياء الكلية ولا يعلم الجزئيات ، وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة ، وكأنهم استكثروا المعلومات ، فالحمد لله الذى جعلنا ممن ينفى عن الله الجهل والنقص ، ونؤمن بقوله : (ألا يعلم من خلق) وقوله : (ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) وذهبوا إلى أن علم الله وقدرته هو ذاته ، فراراً من أن يثبتوا قديمين وجوابهم أن يقال إنما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات الكمال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد ، ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود جنة ونار جسمانيين وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين ، وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمدياً أبداً ، إما فى لذة لا توصف وهى الأنفس الكاملة ، أو ألم لا يوصف وهى النفوس المتلوثة ، وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس ، وقد ينمحى عن بعضها الألم ويزول ، فيقال لهم نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت ، ولذلك سمى عودها إعادة ولا أن لها نعيما وشقاء ، ولكن ما المانع من حشر الأجسام ؟ ولم تنكر اللذات والآلام الجسمانية فى الجنة والنار ، وقد جاء الشرع بذلك فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين ، وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية ، وأما الحقائق فى مقام الأمثال فتحكم بلا دليل ، فان قالوا الأبدان تنحل وتؤكل وتستحيل . قلنا : القدرة لا يقف بين يديها شىء ، على أن الإنسان إنسان بنفسه . فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذى خلق منه لم يخرج عن كونه هو هو ، كما أنه تتبدل أجزاؤه من الصغر إلى الكبر ، بالهزال والسمن فان قالوا

لم يكن البدن بدناً حتى يرقى من حالة إلى حالة إلى أن صار لحماً وعروقاً ، قلنا : قدرة الله سبحانه وتعالى لا تقف على المفهوم المشاهد ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ : أن الأجسام تنبت فى القبور قبل البعث ، وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى البزار نا أبو محمد الجوهرى نا عمر بن محمد بن الزيات ثنا قاسم بن زكريا المطرز ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون (١) قالوا يا أباهريرة أربعون يوما ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون شهراً ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون سنة قال أبيت ، قال ثم ينزل الله ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل ، قال : وليس من الإنسان شىء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب (٢) الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة ، أخرجاه فى الصحيحين .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أموراً خفية إلا أنهم لما تكلموا فى الإلهيات خلطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا فى الحسيات والهندسيات وقد ذكرنا جنس تخليطهم فى معتقداتهم . وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم إلا جملة والرجوع فيها إلى الشرائع (وقد حكى) لهؤلاء المتأخرين فى أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلا فصدقوا فيما حكى لهم عنهم ورفضوا شعار الدين وأهملوا الصلوات ولابسوا المحذورات واستهانوا بحدود الشرع

(١) هذه رواية مسلم ، ورواية البخارى المسئول فيها هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومعنى أبيت امتنعت عن الإخبار بما لا أعلم وقد جاءت مفسرة من رواية غيره فى غير مسلم أربعون سنة .

(٢) هو بفتح العين وإسكان الجيم العظم اللطيف الذى فى أسفل الصلب ، وهو رأس العصعص .

وخلعوا ربقة الإسلام فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات ، والمبتدعة فى الدين أعذر منهم لأنهم يدعون النظر فى الأدلة وهؤلاء لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء آتراهم ماعلموا أن الأنبياء كانوا حكماء وزيادة (وماقد حكى) لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال : فان أكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات وإنما أهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرة وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلاهم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الإسلام بل فيهم من يصوم رمضان ويصلى ثم يأخذ فى الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم فى إنكار بعث الأجساد ولا يكاد يرى منهم أحد إلا ضربه الفقر فأضربه فهو عامة زمانه فى تسخط على الأقدار والاعتراض على المقدر حتى قال لى بعضهم : أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك وكان يقول أشعاراً كثيرة فى هذا المعنى فمنها قوله فى صفة الدنيا قال :

أتراها صنعة من غير صانع أم تراها رميـة من رام

وقوله

ياحيرتا من وجود ما تقدمه منا [1] اختيار ولا علم فيقتبس

كأنه فى عماء ما يحاصنا منه ذكاء ولا عقل ولاشرس [2]

ونحن فى ظلمة ما إن لها قمر فيها يضىء ولا شمس ولا قبس

مدلهين حيارى قد تكنفنا جهل يجهمنا [3] فى وجهه عبس

فالفعل فيه بلا ريب ولا عمل والقول فيه كلام كله هوس

﴿ فصل ﴾ ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك مد بعض أهل ملتنا يده إلى التمسك بهذه وبعضهم مد يده إلى التمسك بهذه ، فترى كثيراً من الحمق إذا نظروا فى باب الاعتقاد تفلسفوا وإذا نظروا فى باب الزهد ترهبنوا فنسأل الله ثباتاً على ملتنا وسلامة من عدونا أنه ولى الإجابة .

---

(١) وفى نسخة اختبار . (٢) أى سوء خلق .

(٣) أى يلقينا بالمساءة .

(ذكر تلبيسه على أصحاب الهياكل)

وهم قوم يقولون أن لكل روحانى من الروحانيات العلوية هيكلا أعنى جرماً من الاجرام السماوية هيكله ونسبته إلى الروحانى المختص به نسبة أبداننا إلى أرواحنا. فيكون هو مدبره والمتصرف فيه فمن حملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت ، قالوا : ولا سبيل لنا إلى الروحانى بعينه . فيتقرب إلى هيكله بكل عبادة وقربان . (وقال آخرون منهم) لكل هيكل سماوى شخص من الأشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الأصنام وبنوا لها بيوتا .

وقد ذكر يحي بن بشر النهاوندى : أن قوما قالوا الكواكب السبعة وهى زحل ، والمشترى ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر . هى المدبرات لهذا العالم وهى تصدر عن أمر الملأ الأعلى . ونصبوا لها الأصنام على صورتها ، وقربوا لكل واحد منها مايشبهه من الحيوان . فجعلوا الزحل جسما عظيما من الآنك(١) أعمى يقرب اليه بثور حسن يؤتى به إلى بيت تحته محفور وفوقه الدرابزين من حديد على تلك الحفرة فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشى على ذلك الدرابزين من الحديد فتغوص رجلاه ويداه هنالك ثم توقد تحته النار حتى يحترق . ويقول له المقربون مقدس أنت أيها الإله الأعمى المطبوع على الشر الذى لا يفعل خيراً قربنا لك ما يشبهك فتقبل منا وأكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة : ويقربون للمشترى صبياً طفلا وذلك أنهم يشترون جارية ليطأها السدنة(٢) للأصنام السبعة فتحمل وتترك حتى تضع ويأتون بها والصبى على يدها ابن ثمانية أيام فينخسونه بالمسل والإبر وهو يبكى على يد أمه فيقولون له أيها الرب الخير الذى لا يعرف الشر قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك فى الطبيعة فتقبل قرباننا وارزقنا خيرك وخير أرواحك الخيرة ويقربون للمريخ رجلا أشقر أنمش(٣) أبيض الرأس من الشقرة يأتون به فيدخلون فى حوض عظيم ويشدون قيوده

---

(١) الآنك الرصاص الخالص .

(٢) السدنة بالتحريك جمع سادن وهو خادم الكعبة وبيت الأصنام

(٣) النمش بفتحتين نقط بيض وسود

إلى أوتاد فى قعر الحوض ويملأون الحوض زيتاً حتى يبقى الرجل قائماً فيه إلى حلقه ويخلطون بالزيت الأدوية المقوية للعصب والمعفنة للحم حتى إذا دار عليه الحول بعد أن يغذى بالأغذية المعفنة للحم والجلد قبضوا على راسه فلخوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه وأتوا به إلى صنمهم الذى هو على صورة المريخ فقالوا : أيها الإله الشرير ذو الفتن والجوائح قربنا إليك ما يشبهك فتقبل قرباننا وأكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة . ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام وتكلمهم بعلم مايصيبهم تلك السنة من خير وشر ويقربون للشمس تلك المرأة التى قتلوا ولدها للمشـــترى ويطوفون بصورة الشمس ويقولون مسبحة مهللة : أنت أيتها الآلهة النوراية قربنا إليك ما يشبهك فتقبلى قرباننا وأرزقينا من خيرك وأعيذينا من شرك . ويقربون للزهرة عجوزاً شمطاء ماجنة(١) يقدمونها بين يديها وينادون حولها أيتها الآلهة الماجنة أتيناك بقربان بياضه كبياضك ومجانته كمجانتك وظرفه كظرفك فتقبليها منا . ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار إلى أن تحترق فيحثون رمادها فى وجه الصنم .

ويقربون لعطارد شاباً أسمر حاسباً كاتباً متأدباً يأتون به بحيلة وكذلك يفعلون بالكل يخدعونهم ويبنجونهم ويسقونهم أدوية تزيل العقل وتخرس الألسنة فيقدمون هذا الشاب إلى صنم عطارد ويقولون : أيهـا الرب الظريف أتيناك بشخص ظريف وبطبعك اهتدينا فتقبل منا ثم ينشر الشاب نصفين ويربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم كل خشبة النار حتى تحترق ويحترق الربع معها ويحثون رماده فى وجهه .

ويقربون للقمر رجلا آدم كبير الوجه ويقولون له : يا بريد الآلهة وخفيف الإجرام العلوية .

﴿ ذكر تلبيسه على عباد الأصنام ﴾

قال المصنف كل محنة لبس بها إبليس على الناس فسببها الميل إلى الحس والأعراض عن مقتضى العقل ولمـا كان الحس يأنس بالمثل(٢) دعا إبليس لعنه الله خلقاً كثيراً

---

(١) أى صفقة الوجه لا تستحى من قبح القول .　　(٢) فى نسخة بالميل .

إلى عبادة الصور وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة . فنهم من حسن له أنها الآلهة وحدها ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم أنه لا يوافقه على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق فقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .

﴿ ذكر بداية تلبيسه على عباد الأصنام ﴾

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو جعفر ابن أحمدبن السلم نا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهرى ثنا أبو على الحسن بن عليل العنزى : ثنا أبو الحسن على ابن الصباح ابن الفرات قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الحلبى قال أخبرنى أبى قال أول ما عبدت الأصنام كان آدم عليه السلام لما مات جعله بنوشيب بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ويقال للجبل بوذ وهو أخصب جبل فى الأرض . قال هشام فأخبرنى أبى عن أبى الصالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فكان بنو شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل : يا بنى قابيل إن لبنى شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء فنحت لهم صنما فكان أول من عملها قال : وأخبرنى أبى أنه كان ود . وسواع . ويغوث . ويعوق . ونسر . قوما صالحين فماتوا فى شهر فجزع عليهم أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل يا قوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أنى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا ، فقالوا : نعم ، فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول . وعملت على عهد يزذ بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول . ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا : ماعظم الأولون هؤلاء إلاوهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل ، فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم إدريس عليه الصلاة والسلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكاناً عليا ، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس : حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يو ش

ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فعملها وفرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنة . فكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة فلما نضبت الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها .

قال الكلبي : وكان عمرو بن لحي كاهناً وكان يكنى أبا ثمامة له رئي من الجن . فقال له عجل المسير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة ، ائت صفا جده ، تجد فيها أصناما معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها ورد بها تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة ، فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات فدفع إليه وداً فحمله فكان بوادي القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمي به . وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالإسلام .

قال الكلبي : حدثني مالك بن حارثة أنه رأى وداً قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه ويقول اسق إلهك فأشربه . قال ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذاً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره وقتل يومئذ رجلا من بني عبد ود يقال له : قطن بن سريج فأقبلت أمه وهو مقتول وهي تقول :

ألا تلك المـــودة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان عفر[1] له أم بشـــاهقة رؤوم

ثم قالت :

يا جامعاً جامع الأحشاء والكبد يا ليت أمك لم تولد ولم تلد

ثم أكبت عليه فشهقت وماتت .

قال الكلبي : فقلت لمالك بن حارثة صف لي وداً حتى كأني أنظر إليه . قال : كان

(١) العفر ـــ بكسر العين وضمها ذكر الخنازير

تمثال رجل أعظم ما يكون من الرجال قد دبر أى نفس ، عليه حلتان متزر بحلة مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده وتنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل يعنى جعبتها(١) .

قال : وأجابت عمرو بن لحى مضر بن نزار فدفع إلى رجل من هذيل يقال له : الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا ، وكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر . فقال رجل من العرب :

تراهم حول قبلتهم عكوفا ... كما عكفت هذيل على سواع
يظل حياته صرعى لديه ... غنائم من ذخائر كل راعى

وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادى يغوث ، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها .

واجابته همدان فدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم يعوق ، وكان بقرية يقال لها : جوان تعبده همدان ومن والاها من اليمن .

وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذى رعين يقال له معدى كرب نسراً وكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن ولاها . فلم يزالوا يعبدونه حتى هو دهم ذو نواس ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأمر بهدمها .

قال ابن هشام وحدثنا الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رفعت لى النار فرأيت عمرو ابن لحى قصيراً أحمر أزرق يجر قصبه فى النار قلت من هذا قيل هذا عمرو بن لحى أول من بحر البحيرة ووصل الوصلة وسيب السائبة وحمى الحام وغير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان . قال هشام وحدثنى أبى وغيره أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة وولد له فيها أولاد فكثروا حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعدوات فأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا فى البلاد والتمسوا

---

(٢) الوفضه الجعبة التى تجعل فيها السهام

المعاش فكان الذى حملهم على عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا أحتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصيانة لمكة فحيث ما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصيانة للحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على أثر(١) إبراهيم وإسماعيل ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة وكانت نزار تقول إذا ما أهلت (لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك) .

وكان أول من غير دين إسماعيل ونصب الأوثان وثيب السائبة ووصل الوصيلة عمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة وهو أبو خزاعة، وكانت أم عمرو بن لحى فهيرة بنت عامر بن الحارث وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة فلما بلغا عمرو بن لحى نازعه فى الولاية وقاتل جرهم بن إسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت من بعدهم ثم أنه مرض مرضاً شديداً فقيل له أن بالبلقاء من أرض الشام حمة إن أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه فقالوا نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الأصنام .

وكان أقدمها مناة وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المسلك بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظمه والأوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويذبحون له ويهدون له .

قال هشام : وحدثنا رجل من قريش عن أبى عبيدة بن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عامر بن ياسر قال : كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم

---

(١) وفى نسخة ارث

من العرب من أهـــل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فإذا نفروا أتوه فحلقوا عنـده رؤسهم وأقامو عنده لا يرون لحجهم تمـاما إلا بذلك وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه فهدمها عام الفتح .

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهى أحـــدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة[1] وكانت سدنتهـا من ثقيف وكانوا قـد بنوا عليها بناء وكانت قريش وجميع العرب تعظما وكانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار .

ثم اتخذوا العزى وهى أحدث من اللات اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بوادى نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتاً وكانوا يسمعون منه الصوت .

قال هشام : وحدثنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنها قال : كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة فلمـا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال ائت بطن نخلة فإنك تجـــد ثلاث سمرات فاعتضد الأولى فأتاها فعضدها فلما جاء إليه قال : هل رأيت شيئاً ؟ قال لا . قال فاعضد الثانية فأتاها فعضدها . ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال هل رأيت شيئاً قال لا قال فاعضد الثالثة فأتاها فإذا هو بحنية نافشة شعرها واضعة يديهـا على عاتقها تصر بأنيابهـا وخلفها دبية السلمى وكان سادنها . فقال خالد :

يا عز كفرانك لا سبحانك   أنى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربهـا ففلق رأسها فإذا هى حممة[2] ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب .

قال هشـام : وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها وأعظمها

---

(١) فى نسخة مربعة .

(٢) الحممة بضم الحاء وفتح الميمين جمعها حمم الرماد ، وكل ما احترق من النار .

عندهم هبل . وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب . وكان أول من نصبه خذيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان فى جوف الكعبة وكان قدامه سبعة أقداح مكتوب فى أحدها صريح وفى الآخر ملصق فإذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فإن خرج صريح الحقوه وإن خرج ملصقاً دفعوه . وكانوا إذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفراً أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده . وهو الذى قال له أبو سفيان يوم أحد : أعل هبل أى علا دينك . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه ألا تجيبونه فقالوا وما نقول . قال قولوا الله أعلى وأجل . وكان لهم أساف ونائلة قال هشام فحدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن أساف رجل من جرهم يقال له أساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها فى أرض اليمن فأقبلا حجاجاً فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فى البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب . قال هشام لما مسخا حجرين وضعا عند البيت ليقظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها . وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة والآخر فى موضع زمزم فنقلت قريش الذى كان ملصقا بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون وذبحون عندهما .

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة وكان مروة(١) بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة(٢) والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير رضى الله عنه : ألا تكفنى ذا الخلصة فوجهه إليه فسار بأحمس فقابلته خثعم وباهلة فظفر بهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار ، وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة .

---

(١) المروة — حجارة براقة تقدح منها النار جمعها مرو .

(٢) وفى نسخة اليمن : قال ابن الأثير فى النهاية تبالة بفتح التاء وتخفيف الباء بلد باليمن معروف .

وكان لدوس صنم يقال له ذوالكفين . فلما أسلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو فحرقه .

وكان لبنى الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الثرى .

وكان لقضاعة والخم وجذام وعاملة وغطفان صنم فى مشارف الشام يقال له الأقيصر .

وكان لمزينة صنم يقال له فهم وبه كانت تسمى عبد فهم .

وكان لعنزة صنم يقال له سعير .

وكان لطيء صنم يقال له الفلس . وكان لأهل كل وادمن مكة صنم فى دارهم يعبدونه فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به . ومنهم من اتخذ بيتاً ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجراً مما استحسن ثم طاف به وسموها الأنصاب . وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعله ثالثة الأثافى[1] لقدره فإذا ارتحل تركه . فإذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك ولما ظهر رسول الله ﷺ على مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بسية[2] قوسه فى عيونها ووجوهها ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم أخرجت من المسجد فحرقت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : فى زمان يزدبردعبدت الأصنام ورجع من رجع عن الإسلام .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا حنبل ثنا حسن بن الربيع ثنا مهدى بن ميمون . قال : سمعت أبا رجاء العطاردى يقول : لما بعث رسول الله ﷺ سمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب ، ولحقنا بالنار ، وكنا نعبد الحجر فى الجاهلية فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقى ذاك ونأخذه وإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به . أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله

(١) الأثافى جمع الأثفية ما يوضع عليه القدر .

(٢) سية القوس بكسر السين والياء ما عطف من طرفيها

ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا أبو عباس السراج ثنا أحمد بن الحسن بن خراش ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا عمارة المعولى . قال : سمعت أبا رجاء العطاردى يقول : كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه فنحلب عليه فنعبده . وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمانا ثم نلقيه . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا عبد العزيز بن علي الوراق نا أحمد ابن ابراهيم ثنا يوسف بن يعقوب النيسابورى نا أبو بكر ابن أبي شيبة ثنا يزيد بن هرون نا الحجاج بن أبي زينب . قال : سمعت أباعثمان النهدىقال : كنا فى الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا منادياً ينادى : يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا لكم رباً غيره . قال : فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن نطلب ، إذا نحن بمنادى ينادى : إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه قال : فجئنا فاذا حجر فنحرنا عليه الجزر . أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا أبو اسحاق البرمكى نا أبو عمر بن حيويه نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد ابن سعد نا محمد بن عمرو ثنى الحجاج بن صفوان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عنبسة قال : كنت امرءاً ممن يعبد الحجارة فينزل الحى ليس معهم آلهة فيخرج الحىمنهم فيأتى بأربعة أحجار . فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها إلهاً يعبد . ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره . أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الحسن العتيق نا عثمان بن عمرو بن الميثاب نا أبو محمد عبدالله بن سليمان الفامى ثنى أبوالفضل محمد بن أبي هرون الوراق ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروى عن شيخ من ساكنى مكة . قال : سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت العرب الحجارة والأصنام . فقال أصل عبادتهم الحجارة أنهم قالوا : البيت حجر فحيث ما نصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت . وقال أبو معشر : كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبية ويقرون بأن لله تعالى ملائكة إلا أنهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور والملائكة أجسام حسان وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء فاتخذوا أصناماً على صورة الله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة فعبدوها وقربوا لها الموضع المشابهة على زعمهم . وقيل لبعضهم : أن الملائكة والكواكب والأفلاك أقرب الأجسام إلى الخالق فعظموها وقربوا لها ثم عملوا الأصنام .

وبنى جماعة من القدماء بيوتاً كانت للأصنام فنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت فيه أصنام أخرجها كوشتاسب لما تمجس وجعله بيت نار . والبيت الثانى والثالث فى أرض الهند . والرابع بمدينة بلخ بناه بنوشهر فلما ظهر الإسلام خربه أهل بلخ . والخامس بيت بصنعاء بناه الضحاك على اسم الزهرة فخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه . والسادس بناه قاموس الملك اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم .

وذكر يحيى بن بشير بن عمير النهاوندى :أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمى ووضع لهم أصناماً وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتاً بالمليلتان . (وهى مدينة من مداين السند) وجعل فيه صنمهم الأعظم الذى هو كصورة الهيولى الأكبر . وهذه المدينة فتحت فى أيام الحجاج وأرادوا قلع الصنم فقيل لهم : إن تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من مال . فأمر عبد الملك بن مروان بتركه فالهند تحج إليه من ألفى فرسخ ولابد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه . فيلقيه فى صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم . فاذا ذهبوا قسم ذلك المال فثلثه للسلمين وثلثه لعمارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم فنحتوا أيديهم ما عبدوه وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال : « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها » . وكانت الإشارة إلى العباد أى أنتم تمشـــون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والأصنام عاجزة عن ذلك وهى جماد وهم حيوان فكيف عبد التام الناقص . ولو تفكروا لعلموا أن الإله يصنع الأشياء ولا يصنع ، ويجمع وليس بمجموع ، وتقوم الأشياء به ولا يقوم بها ، وإنما ينبغى للإنسان أن يعبد من صنعه لا ماصنعه . وما خيل إليهم أن الأصنام تشفع لخيال ليس فيه شبهة يتعلق بها .

﴿ ذكر تلبيسه على عابدى النار والشمس والقمر ﴾

قال المصنف : قد لبس إبليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقالوا هى الجوهر الذى لا يستغنى العالم عنه ومن ههنا زين عبادة الشمس .

وذكر أبو جعفر بن جرير الطبرى : أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه إبليس . فقال له : إن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها ، قال الجاحظ : وجاء زرادشت من بلخ وهو صاحب المجوس فادعى أن الوحى ينزل إليه على جبل سيلان فدعى أهل تلك النواحى الباردة الذين لا يعرفون إلا البرد وجعل الوعيــــد بتضاعف البرد ، وأقر بأنه لم يبعث ألا إلى الجبال فقط . وشرع لأصحابه التوضوء بالأبوال وغشيان الأمهات ، وتعظيم النيران ، مع أمور سمجة . قال ومن قول زرادشت كان الله وحده ، فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته إبليس فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه فلما رأى امتناعه ودعه إلى مدة .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة . فأول من رسم لها بيتاً أفريدون فاتخذ لها بيتاً بطرسوس وآخر ببخارى واتخذ لها بهمن بيتاً بسجستان . واتخذ لها أبو قباذ بيتاً بناحية بخارى . وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها . وقد كان زرادشت وضع ناراً زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم . وذلك أنه بنى بيتاً وجعل فى وسطه مرآة ولف القربان فى حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس فى كبد السماء قابلت كوة قد جعلها فى ذلك البيت فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار . فقال لا تطفؤا هذه النار .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد حسن إبليس لقوم لأقوام عبادة القمر ولآخرين عبادة النجوم . قال ابن قتيبة وكان قوم فى الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بها . وكان أبو كبشة الذى كان المشركون ينسبون إليه رسول الله ﷺ أول من عبدها . وقال : قطعت السماء عرضاً ولم يقطع السماء عرضاً غيرها وخالف قريشا فلما بعث

رسول الله ﷺ ودعا إلى عبادة الله وترك الأوثان قالوا : هذا ابن أبي كبشة أي شبهه مثله في الخلاف كما قالت بنو اسرائيل لمريم : يا أخت هارون . أي يا شبيهة هارون في الصلاح وهما شعريان إحداهما هذه والشعرى الأخرى هي الغميصاء وهي تقابلها وبينهما المجرة — والغميصاء من الذراع المبسوط في جبهة الأسد وتلك في الجوزاء .

وزين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة وقالوا : هي بنات الله تعالى . تعالى الله عن ذلك . وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر . وكان السامري من قوم يعبدون البقر فلهذا صاغ عجلا . وجاء في التعبير : أن فرعون كان يعبد تيساً وليس في هؤلاء من أعمل فكره ولا استعمل عقله في تدبير ما يفعل نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة .

﴿ ذكر تلبيسه على الجاهلية ﴾

قال المصنف : ذكرنا كيف لبس عليهم في عبادة الأصنام . ومن أقبح تلبيسه عليهم في ذلك تقليد الآباء من غير نظر في دليل كما قال الله عز وجل « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » المعنى أتتبعونهم ايضا .

وقد لبس إبليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث ، وهؤلاء الذين قال الله سبحانه فيهم : « ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا إلا الدهر » . وعلى آخرين منهم : فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث . وعلى اخرين منهم : فزعموا أن الملائكة بنات الله . وأمال آخرين منهم إلى مذهب اليهود وآخرين إلى مذهب المجوس ، وكان في بني تميم منهم زرارة ابن جديس التميمي وابنه حاجب .

ومن كان يقر بالخالق والابتداء والإعادة والثواب والعقاب عبد المطلب ابن هاشم وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وعامر بن الظرب — وكان عبد المطلب إذ رأى ظالما لم تصبه عقوبة . قال تالله أن وراء هذه الدار لداراً يجزى فيها المحسن والمسيء .

ومنهم زهير بن أبي سلمى وهو القائل :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر   ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم أسلم ومنهم زيد الفوارس بن حصن ، ومنهم القلمس بن أمية الكناني . كان يخطب بفناء الكعبة وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها فقال يوما : يا معشر العرب أطيعوني ترشدوا قالوا : وما ذاك . قال : إنكم تفردتم بآلهة شتى إني لأعلم ما الله بكل هذا راض وأن الله رب هذه الآلهة وأنه ليجب أن يعبد وحده . فتفرقت عنه العرب لذلك ولم يسمعوا مواعظه . وكان فيهم قوم يقولون من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها ومن لم يفعل ذلك حشر ماشيا وممن قاله عمرو بن زيد الكلبي .

قال المصنف : وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وإنما تمسك منهم بالتوحيد ورفض الأصنام القليل كقس بن ساعده وزيد وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة . فمنها النسيء وهو تحريم الشهر الحرام وتحليل الشهر الحرام وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بتحريم الأشهر الأربعة فإذا احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب أخروا تحريمه إلى صفر ثم يحتاجون إلى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة . وإذا حجوا قالوا : لبيك لاشريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . ومنها توريث الذكر دون الأنثى ومنها أن أحدهم كان إذا مات ورث نكاح زوجته أقرب الناس إليه ومنها البحيرة وهي الناقة تلد خمسة أبطن فإن كان الخامس أنثى شقوا أذنها وحرمت على النساء ، والسائبة من الأنعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهراً ولا يحلبون لها لبنا . والوصيلة الشاة تلد سبعة أبطن فإن كان السابع ذكراً أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النساء فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء . والحام الفحل ينتج من ظهره عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم ولا يحمل عليه . ثم يقولون أن الله عز وجل أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعالى : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب » ثم الله عز وجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وفيما أحلوه بقوله

«خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا» قال الله تعالى «قل آلذكرين حرم أم الانثيين» المعنى إن كان الله تعالى حرم الذكرين فكل الذكور حرام وإن كان حرم الانثيين فكل الاناث حرام وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين فإنها تشتمل على الذكور والاناث فيكون كل جنين حراماً . وزين لهم إبليس قتل أولادهم فالإنسان منهم يقتل ابنته ويغذو كلبه . ومن جملة مالبس عليهم إبليس أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا أى لو لم يرض شركنا الحال بيننا وبينه فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر ومشيئة الله تعم الكائنات وأمره لايعم مراداته فليس لأحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر ومذاهبهم السخيفة التى ابتدعوها كثيراً لايصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هى مما يحتاج إلى تكلف ردها .

(ذكر تلبيس ابليس على جاحدى النبوات)

قال المصنف : قد لبس إبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم فزين لهم جحد النبوات لسد طريق ما يصل من الإله . وقد اختلف أهل الهند فمنهم دهرية ومنهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط وقد حكى أبو محمد النوبختى فى كتاب الآراء والديانات أن قوما من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار وزعموا أن رسولهم ملك أتاه فى صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيد وإثنا عشر رأسا من ذلك رأس إنسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح إلا ماكان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم أن يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها .

قال المصنف : وقد ألقى إبليس إلى البراهمة ست شبهات .

(الشبهة الأولى) : استبعاد إطلاع بعضهم على ماخفى عن بعض فقالوا : (ما هذا إلا بشر مثلكم) والمعنى وكيف أطلع على ماخفى عنكم . وجواب هذه الشبهة أنهم

لو ناطقوا العقول لأجازت اختيار شخص بشخص لخصائص يعلو بها جنسه فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحي إذ ليس كل أحد يصلح لذلك وقد علم الكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الأمزجة متفاوتة وأخرج إلى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدنى فإذا أمد النبات والأحجار بخواص لإصلاح أبدان خلقت للفناء هينا وللبقاء فى دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصاً من خلقه بالحكمة البالغة والدعاية إليه إصلاحاً لمن يفسد فى العالم بسوء الأخلاق والأفعال ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة فكيف ينكرون امداد البارى سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم ويطيب أخلاقهم ويقيم بها سياستهم وقد أشار عز وجل إلى ذلك فى قوله « أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس » .

(الشبهة الثانية) قالوا هلا أرسل ملكا فإن الملائكة إليه أقرب ومن الشك فيهم والادميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع هذا شكا وجواب هذا من ثلاثة أوجه: أحدها أن فى قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم لأن المعجزة ما خرقت العادة وهذه العادة للملائكة وإنما المعجزات الظاهرة ماظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلا على صدقه . والثانى : أن الجنس إلى الجنس أميل فصح أن يرسل إليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنه ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه دليل على صدقه : والثالث أنه ليس فى قوى البشر رؤية الملك وإنما الله تعالى يقوى الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة ولهذا قال الله تعالى : « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » أى لينظروا إليه ويأنسوا به ويفهموا عنه ثم قال « وللبسنا عليهم ما يلبسون » أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمى .

(الشبهة الثالثة) قالوا نرى ما تدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى إليهم من الوحى يظهر جنسه على الكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح والفاسد . والجواب أن نقول : أن الله تبارك وتعالى بين الحجج ثم بث

الشبهة وكلف العقول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحي ميتاً ولا أن يخرج من عصا حيا وأما الكاهن فقد يصيب ويخطىء بخلاف النبوة التي لا خطأ فيها بوجه .

(الشبهة الرابعة) قالوا لا يخلو اما أن تجيء الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه فإن جاءوا بما يخالفه لم يقبل وإن جاءوا بما يوافقه فالعقل يغني عنه . والجواب أن نقول : قد ثبت أن كثيراً من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون إلى متمم كالحكماء والسلاطين فكيف بأمور الإلهية والأخروية .

(الشبهة الخامسة) قالوا قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل فكيف يجوز أن تكون صحيحة من ذلك إيلام الحيوان . والجواب أن العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى ، أنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفي عنه ومتى اشتبه علينا أمر في فرع لم يجز أن نحكم على الأصل بالبطلان ثم قد ظهرت حكمة ذلك فإنا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتي من الفهم والفطنة والقوى النظرية والعملية ، وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه ولا يقوم في إبقاء القوى مقام اللحم شيء ولا يستطرف تناول القوى الضعيف وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته . وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم فلو لم يذبح لكثر وضاق به المرعى ومات فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لايجاده فائدة . وأما ألم الذبح فانه يستر وقد قيل لا وجد أصلا لأن الحساس للألم أغشية الدماغ لأن فيه الأعضاء الحساسة ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الإنسان بألم فإذا قطعت الأوداج سريعا لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته » .

(الشبهة السادسة) قالوا ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب والجواب أن هذا كلام ينبغي أن يستحيى من إيراده فانه لم يبق شيء من

إلى [illegible] قتحته شجرة وعندها [illegible] كتاب يقرأ فيه [illegible] : [illegible]
لمن ارتقى هذا [illegible] أخرج أمعاءه بيده . ومنهم من يأخذ [illegible]
فيرض بها جسده حتى يموت : [illegible] يقولون طوبى لك وعندهم نهران فيخرج أقوام
من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب ويذبحونهم
فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين فى نهر والنصف الآخر فى نهر ويزعمون
أنهما يجريان إلى الجنة . ومنهم من يخرج إلى براح ومعه جماعة يدعون له ويهنئونه
بنيته فإذا أضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثم يمتد
والناس ينظرون إليه فتبتدره الطير فتأكله فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا
عظامه وأحرقوها وتبركوا بها ، فى أفعال طويلة فى ذكرها أبو محمد النوبختى يضيع
الزمان فى كتابتها والعجب أن الهند قوم تؤخذ الحكمة عنهم ويؤخذ عنهم دقائق الحكمة
وتلهم دقائق الأعمال فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم إبليس هذا المقادم قال وفيهم
من يزعم أن الجنة ثنتان وثلاثون مرتبة وأن مكث أهل الجنة فى أدنى مرتبة منها
أربع مائة ألف سنة وثلاثون ألف سنة وستمائة وعشرون سنة وكل مرتبة أضعاف
مادونها . وأن النار اثنتان وثلاثون مرتبة منها ست عشر مرتبة فيها الزمهرير وصنوف
عذابه وست عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه .

﴿ ذكر تلبيسه على اليهود ﴾

قال المصنف : قد لبس عليهم فى أشياء كثيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك ،
فمن ذلك تشبيههم الخالق بالخلق ولو كان تشبيههم حقاً لجاز عليه مايجوز عليهم ، وحكى
أبوعبد الله بن حامد من أصحابنا . أن اليهود تزعم أن الإله المعبود رجل من نور على
كرسى من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كما للآدميين . ومن ذلك قولهم عزيز
ابن الله ولوفهموا أن حقيقة البنوة لاتكون إلا بالتبعيض والخالق ليس بذى أبعاض
لأنه ليس بمؤلف لم يثبتوا بنوة . ثم ان الولد فى معنى الوالد وقد كان عزيز لا يقوم
إلا بالطعام والإله من قامت به الأشياء لا من قام بها والذى دعاهم إلى هذا مع جهلهم
بالحقائق أنهم رأوه قد عادبعد الموت وقرأ التوراة من حفظه فتكلموا بذلك من ظنونهم

الفاسدة ويدل على أن القوم كانوا فى بعد من الذهن انهم لما رأوا أثر القدرة فى فرق البحر لهم ثم مروا على أصنام طلبوا مثلها فقالوا : (أجعل لنا آلهة كما لهم آلهة) فلما زجرهم موسى عن ذلك بقى فى نفوسهم فظهر المستور بعبادتهم العجل والذى حملهم على هذا شيئان ، أحدهما : جهلهم بالخالق . والثانى : أنهم أرادوا مايسكن إليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود ما اجترأوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم : (أن الله فقير ونحن أغنياء) وقولهم : (يد الله مغلولة) تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا : لا يجوز نسخ الشرائع . وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الأخوات ، وذوات المحارم ، والعمل فى يوم السبت ، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى قالوا : إذا أمر الله عز وجل بشىء كان حكمه فلايجوز تغييره . قلت : قد يكون التغيير فى بعض الأوقات حكمة فإن تقلب الآدمى من صحة إلى مرض ومن مرض إلى موت كله حكمة وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الأحد ، وهذا من جنس ما أنكرتم ، وقد أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح إبنه ثم نهاه عن ذلك .

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » وهى الأيام التى عبد فيها العجل وفضائحهم كثيرة ثم حملهم إبليس على العناد المحض فجحدوا ما كان فى كتابهم من صفة نبينا ﷺ وغيروا ذلك وقد أمروا أن يؤمنوا به ورضوا بعذاب الآخرة : [illegible] عاندوا وجهالهم قلدوا [illegible] العجل [illegible] ما أمروا به وحرفوا [illegible] يدون فأين العبودية [illegible] ترك [illegible] الهوى ثم أنهم كانوا [illegible] يعتبرونه [illegible] قال [illegible] واتسوا داود [illegible]

[illegible]

أ [illegible] محمد بن عبد الباقى [illegible] الحسن بن على الجوهرى [illegible] حياة [illegible] ابن [illegible] ابى أسامة ثنا محمد بن [illegible] محمد عن على بن

---

(١) الآدر : منتفخ الخصية وهو عيب بالفحولية .

مجاهد عن محمد بن إسحاق عن مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس(١) فقال : اخرجوا إلىّ أعلمكم فخرج إليه عبد الله بن صوريا فخلا به فناشده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوى وظللهم به من الغمام أتعلمون أنى رسول الله ؟ . قال : اللهم نعم . وأن القوم ليعرفون ما أعرف وإن صفتك ونعتك لمبين فى التـــوراة ولـكنهم حسدوك قال : فما يمنعك أنت . قال : أكره خلاف قومى وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم .

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قال : أخبرنا الحسن بن على قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثنى أبى قال ثنا يعقوب قال ثنا أبى عن إسحاق قال : حدثنى صالح بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش . قال : كان لنا جار من اليهود فى بنى عبد الأشهل فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ حتى وقف على مجلس بنى عبد الأشهل قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيهم سنا علىّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلى فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائنا بعد الموت . فقال له ويحك يا فلان أترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال : نعم والذى يحلف به يود أحدهم أن له لحظة من تلك النار بأعظم تنور فى الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً . قال له : ويحك وما آية ذلك قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن ، قالوا : ومتى نراه ، قال : فنظر إلىّ وأنا من أحدثهم سنا أن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه . قال سلمة : فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حى بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسداً فقلنا له : ويلك يافلان ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت قال : بلى ولـكن ليس به .

---

(٢) المدارس : كنيسة اليهود وجمعه مداريس .

﴿ ذكر تلبيسه على النصارى ﴾

قال المصنف : تلبيسه عليهم كثير فن ذلك أن إبليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب والملكية أهل دين الملك والنسطورية أصحاب نسطورس : أن الله جوهر واحد أقانيم ثلاثة فهو واحد فى الجوهرية ثلاثة فى الأقنومية فأحد الأقانيم عندهم الأب والآخر الإبن والآخر روح القدس فبعضهم يقول : الأقانيم خواص . وبعضهم يقول . صفات وبعضهم يقول أشخاص وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الإله جوهراً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون والألوان ثم سول لبعضهم ان المسيح هو الله . قال أبو محمد النوبختى* زعمت الملكية واليعقوبية أن الذى ولدته مريم هو الإله وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله وقال بعضهم : المسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث ومع قولهم هذا فى المسيح يقرون بحاجته إلى الطعام ولا يختلفون فى هذا وفى أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه ويقولون : إنما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت . ثم لبس عليهم أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى جحدوه بعد ذكره فى الإنجيل ، ومن النصارى من يقول : عن نبينا أنه نبى إلا أنه مبعوث إلى العرب خاصة وهذا تلبيس [illegible] فيه لأنه متى ثبت أنه نبى فالنبى لا يكذب وقد قال : « بعثت إلى الناس كافة » وقد كتب إلى قيصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم .

﴿ ومن تلبيس إبليس على اليهود والنصارى ﴾

أنهم قالوا لا يعذبنا الله لأجل أسلافنا فنا الأولياء والأنبياء فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك : « نحن أبناء الله وأحباؤه » . أى منا ابنه عزير وعيسى . وكشف هذا التلبيس إن كان شخص مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه عنه ذو قرابته ولو تعدت الشبهة شخصاً إلى غيره لوضع القرابة لتعدى البعض وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم لإبنته فاطمة لا أغنى عنك من الله شيئاً وإنما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم الحب ثم أن محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الآدميين بعضهم بعضاً إذا لو كانت كذلك لكان الأمر محتمل .

﴿ ذكر تلبيسه على الصابئين ﴾

قال المصنف : أصل هذه الكلمة أعنى الصابئين من قولهم صبأت إذا خرجت من شيء إلى شيء وصبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ به إذا خرج والصابئون الخارجون من دين إلى دين وللعلماء فى مذاهبهم عشر أقوال : أحدها أنهم قوم بين النصارى والمجوس رواه سالم عن سعيد بن جبير وليث عن مجاهد ، والثانى أنهم بين اليهود والمجوس رواه ابن أبى نجيح عن مجاهد ، والثالث أنهم بين اليهود والنصارى . رواه القاسم بن أبى بزة عن مجاهد ، والرابع : أنهم صنف من النصارى ألين قولا منهم رواه أبو صالح عن ابن عباس . والخامس : أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم رواه القاسم أيضاً عن مجاهد . والسادس : أنهم كالمجوس قاله الحسن والسابع : أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور قاله أبو العالية . والثامن أنهم قوم يصلون إلى القبلة يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور قاله قتادة ومقاتل : والتاسع : أنهم طائفة من أهل الكتاب قاله السدى . والعاشر : أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبى إلا قول لا إله إلا الله قاله ابن زيد . قال المصنف : هذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم فأما المتكلمون فقالوا مذهب الصابئين مختلف فيه فمنهم من يقول أن هناك هيولى كان لم يزل ولم يزل يصنع العالم من ذلك الهيولى وقال أكثر العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب ملائكة وسماها قوم منهم آلهة وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت زحل وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل إلا بالنفى دون الإثبات ويقال ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز قالوا لئلا يقع تشبيه ولهم تعبدات فى شرائع منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات فى كل يوم أولها ثمان ركعات وثلاث سجدات فى كل ركعة وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس والثانى خمس ركعات والثالثة كذلك وعليهم صيام شهر أوله الثمان ليال يمضين من آذار وسبعة أيام أولها التسع يبقين من كانون الأول وسبعة أيام أولها الثمان ليال يمضين من شباط ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح وحرموا لحم الجزور فى خرافات

يضيع الزمان بذكرها وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الضياء وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظلمة . وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب فى التناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف فى ردها إذ هى دعاو بلا دليل وقد حسن إبليس لأقوام من الصابئين انهم رأوا الكمال فى تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات واشتغلوا بالتنجيم والتسخير وقالوا لا بد من متوسط بين الله وبين خلقه فى تعريف المعارف والإرشاد للمصالح إلا أن ذلك المتوسط ينبغى أن يكون روحانياً لا جسمانياً قالوا فنحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلة لنا إليه وهؤلاء لا ينكرون بعث الأجساد .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على المجوس ﴾

قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندى كان أول لموك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت وكانوا يقولون أن الله تعالى عن ذلك شخص روحانى ظهر فظهرت معه الأشياء روحانية تامة فقال لا يتهيأ لغيرى أن يبتدع مثل هذه التى ابتدعتها فتولد من فكرته هذه ظلمة إذ كان فيها جحود لقدرة غيره فقامت الظلمة تغالبه . وكان مماسنه زرادشت عبادة النار والصلاة إلى الشمس يتأولون فيها أنها ملكة العالم وهى التى تأتى بالنهار وتذهب بالليل وتحيى النبات والحيوانات وترد الحرارات إلى أجسادها . وكانوا لا يدفنون موتاهم فى الأرض تعظيما لها ويقولون أنها نشوء الحيوانات فلا نقذرها وكانوا لا يغتسلون بالماء تعظيما له وقالوا الآن به حياة كل شيء إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه ولا يبزقون فيه ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركا به وإذا كان عتيقاً كان أكثر بركة ويستحلون فروج الأمهات قالوا الإبن أحرى بتسكين شهوة أمه وإذا مات الزوج فإبنه أولى بالمرأة فإن لم يكن له إبن اكترى رجل من مال الميت ويجيزون للرجل أن يتزوج بمائة وألف وإذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت ديناراً إلى الموبذ ويحملها إلى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها

بسبابته وأظهر هذا الأمر مزدك فى أيام قباذ وأباح النساء لكل من شاء ونكح نساء قباذ لتقتدى به العامة فيفعلون فى النساء مثله فلما بلغ إلى أم أنو شروان قال لقباذ أخرجها إلى، فإنك إن منعتنى شهوتى لم يتم إيمانك فهم بإخراجها فجعل أنو شروان يبكى بين يدى مزدك ويقبل رجله بين يدى أبيه قباذ ويسأله أن يهب له أمه فقال قباذ لمزدك ألست تزعم أن المؤمن لا ينبغى أن يرد عن شهوته قال بلى قال فلم ترد أنو شروان عن شهوته قال قد وهبتها له ثم أطلق للناس فى أكل الميتة فلما ولى أنو شروان أفنى المزدكية هو ومن أقوال المجوس أن الأرض لا نهاية لها من أسفلها وأن السماء جلد من جلود الشياطين والرعد إنما هو حركة خرخرة العفاريت المحبوسة فى الأفلاك المأسورة فى حرب والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم (ونبغ للمجوس) رجل فى زمان انتقال دولة بنى أمية إلى بنى العباس واستغوى خلقاً وجرت له قصص يطول الأمر بذكرها فهو آخر من ظهر للمجوس وذكر بعض العلماء أنه كان للمجوس كتب يدرسونها وأنهم أحدثوا دينا فرفعت كتبهم.

ومن أظرف تلبيس إبليس عليهم أنهم رأوا فى الأفعال خيراً وشراً فسول لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر فأثبتوا إلهين وقالوا أحدهما نور حكيم لا يفعل إلا الخير والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلا الشر على نحو ما ذكرنا عن الثنوية.

قال المصنف: وقد سبق ذكر شبههم وجوابها وقال بعضهم. البارى قديم فلا يكون منه إلا الخير والشيطان محدث فلا يكون منه إلا الشر فيقال لهم إذا أقررتم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر وزعم بعضهم أن الخالق هو النور ففكر فكرة رديئة فقال أخاف أن يحدث فى ملكى من يضادنى وكانت فكرته رديئة فحدث منها إبليس فرضى إبليس أن ينسب إلى الرداءة بعد إثبات أنه شريك وحكى النوبختى أن بعضهم قال أن الخالق شك فى شيء فكان الشيطان من ذلك الشك: قال وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسمان قديمان كان بينهما فضاء وكانت الدنيا سليمة من آفة والشيطان بمعزل عنها فاحتال إبليس حتى خرق السماء بجنوده فهرب الرب عز وجل من فعلتهم وتقدس عن قولهم فاتبعه إبليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة آلاف سنة لا هو يصل إليه ولا الرب عز وجل يدفعه ثم يصالحه على أن يكون إبليس

وجنوده فى الدنيا سبعة آلاف سنة ورأى الرب أن الصلاح فى احتمال مكروه إبليس إلى أن ينقضى الشرط فالناس فى بـــلايا إلى انقضائه ثم يعودون إلى النعيم وشرط إبليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة فوضعها فى هذا العالم وأنهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما إلى العدلين وقالا من نكث فاقتلاه فى هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتنكبناها لذلك ونذكر ما انتهى تلبيس إبليس إليه ما آثرنا ذكر شيء من هذا التخليط (والعجب) أنهم يجعلون الخالق خيراً ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة فعلى قولهم يجوز أن تحدث من فكرة إبليس ملك ثم يقال لهم أيجوز أن يفى الشيطان بما ضمن : فإن قالوا لا قيل لهم فلا يليق بالحكمة استبقاؤه وإن قالوا نعم فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير : وكيف أطاع الشيطان العدلين وقد عصى ربه وكيف يجوز الافتيات على الإله : وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى .

(ذكر تلبيس إبليس على المنجمين وأصحاب الفلك)

قال أبو محمد النوبختى ذهب قوم إلى أن الفلك قديم لا صانع له : وحكى جالينوس عن قوم أنهم قالوا زحل وحده قديم . وزعم قوم أن الفلك طبيعة خالصة ليست فيها حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وليس بخفيف ولا ثقيل . وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر نارى وأنه اختطف من الأرض بقوة دورانه : وقال بعضهم الكواكب من جسم تشابه الحجارة : وقال بعضهم هى من غيم تطفأ كل يوم وتستنير بالليل مثل الفحم يشتعل وينطفىء وقال بعضهم جسم القمر مركب من نار وهوى . وقال آخرون الفلك من الماء والريح والنار وأنه بمنزلة الكرة وأنه يتحرك بحركتين من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق قالوا وزحل يدور الفلك فى نحو من ثلاثين سنة والمشترى فى نحو من اثنتى عشرة سنة والمريخ فى نحو من سنتين والشمس والزهرة وعطارد فى سنة والقمر فى ثلاثين يوما : وقال بعضهم أفلاك الكواكب سبعة فالذى يلينا فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة : واختلفوا فى مقادير أجرام

الكواكب فقال أكثر الفلاسفة أعظمها جرما الشمس وهو نحو من مائة وست وستين مرة مثل الأرض . والكواكب الثابتة مقدار كل واحد منها نحو من أربعة وتسعين مرة مثل الأرض . والمشترى نحو من اثنتين وثمانين مرة مثل الأرض والمريخ نحو من مرة ونصف مثل الأرض قالوا ومن كل موضع من أعلى الفلك إلى أن يعود إليه مائة ألف فرسخ وألف فرسخ وأربع وستون فرسخاً . وقال بعضهم الفلك حي والسماء حيوان وفى كل كوكب نفس قال قدماء الفلاسفة النجوم تفعل الخير والشر وتعطى وتمنع على حسب طبائعها من السعود والنحوس وتؤثر فى النفوس وأنها حية فعالة .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على جاحدى البعث ﴾

قال المصنف : قد لبس على خلق كثير فجحدوا البعث واستهولوا الإعادة بعد البلاء البلاء وأقام لهم شبهتين إحداهما أنه أراهم ضعف المادة والثانية اختلاط الأجزاء المتفرقة فى أعماق الأرض قالوا وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف يتهيأ إعادته وقد حكى القرآن شبهتهم فقال تعالى فى الأولى (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاما إنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون) .

وقال فى الثانية : (أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد) . وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم :

يخبرنا الرسول بأن سنحيي وكيف حياة أصداء وهام

وقال آخر : (هو أبو العلاء المعرى) :

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

(والجواب) عن شبهتهم الأولى : أن ضعف المادة فى الثانى وهو التراب يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة : ثم أصل الآدميين وهو آدم من تراب على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً مستحسناً إلا من مادة سخيفة . فإنه خرج هذا الآدمى من نطفة ، والطاووس من البيضة المذرة والطرفة الخضراء من الحبة العفنة فالنظر ينبغى أن يكون إلى قوة الفاعل وقدرته لا إلى ضعف المواد . وبالنظر إلى قدرته

يحصل جواب الشبهة الثانية ثم قد أرانا كالأنموذج فى جمع التمزق فإن سحالة[1] الذهب المتفرقة فى التراب الكثير إذا ألقى عليها قليل من زئبق اجتمع الذهب مع تباده فكيف بالقدرة الإلهية التى من تأثيرها خلق كل شىء لا من شىء على أنا لو قدرنا أن نحيل هذا التراب ما استحالت إليه الأبدان لم يضر بنفسه لأن الآدمى بنفسه لا ببدنه فانه ينحل ويسمن ويهزل ويتغير من صغر إلى كبر وهو هو : ومن أعجب الأدلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدى أنبيائه ما هو اعظم من البعث وهو قلب العصا حية حيوانا وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يدى عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال المصنف : وقد زدنا هذا شرحا فى الرد على الفلاسفة .

(فصل) وقد لبس إبليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه وتعالى ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا فى البعث فقال قائلهم (ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا) وقال العاص بن وائل (لأوتين مالا وولداً) وإنما قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس إبليس عليهم فى ذلك . فقالوا إن كان بعث فنحن على خير : لأن من أنعم علينا فى الدنيا بالمال لايمنعناه فى الآخرة .

قال المصنف : وهذا غلط منهم لأنه لايجوز أن يكون الإعطاء استدراجا أوعقوبة والإنسان قد يحمى ولده ويطلق فى الشهوات عبده .

﴿ ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ ﴾

قال المصنف : وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت فى أبدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل فى أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر فى زمان فرعون موسى (وذكر أبو القاسم البلخى) أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها يمتحن به غيرها أو ليتعوض أولا لمعنى أكثر من أنها مملوكة فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال (وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندى) أن الهند يقولون الطبائع أربع هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسلة فالمركبة

(١) السحالة بالضم كالبرادة ماسقط من الذهب والفضة .

هى الرب الأصغر والنفس هى الهيولى الأصغر والعقل الرب الأكبر والهيولى هو أيضا أكبر وأن الأنفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر وهو الهيولى المركبة فإن كانت محسنة صافية قبلها فى طبعه فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولى الأصغر وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر فيتخلصه إلى الهيولى المركب الأكبر . فإن كان محسناً تام الإحسان أقام عنده فى العالم البسيط وإن كان محسنا غير تام أعاده إلى الرب الأكبر ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولى الأصغر ثم يعيده الهيولى الأصغر إلى إلى الرب الأصغر فيخرجه مازجا لشعاع الشمس حتى ينتهى إلى بقلة خسيسة يأكلها الإنسان فيتحول إنساناً ويولد ثانية فى العـــالم وهكذا تكون حاله فى كل موتة يموتها .
(وأما المسيئون) فإنهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولى الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم فتصير الروح فى بهيمة ثم تنسخ من بهيمة فى أخرى عند موت تلك البهيمة فلا يزال منسوخا متردداً فى العلل : ويعود كل ألف سنة إلى صورة الأنس . فإن أحسن فى صورة الإنس لحق بالمحسنين .

قال المصنف : قلت فانظر إلى هذه التلبيسات التى رتبها لهم ابليس على ما عن له لا يستند إلى شىء . أنبأنا محمد بن أبى طاهر البزار قال أنبأنا على بن المحسن عن أبيه قال حدثنى أبو الحسن على بن نظيف المتكلم قال كان يحضر معنا ببغداد شيخ الأمامية يعرف بأبى بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع .

ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك وهو يبكى بكاءاً شديداً فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكى كلما مسحتها هـذه أمى لا شك وإنما تبكى من رؤيتها إلى حسرة قال وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا فقلت له فهى تفهم عنك ما تخاطبها به فقال نعم فقلت أتفهم أنت صياحها قال لا قلت فأنت المنسوخ وهى الإنسان .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على أئمتنا فى العقائد والديانات ﴾

قال المصنف : دخل ابليس على هـــذه الأمة فى عقائدها من طريقين : أحدهما التقليد للآباء والأسلاف . والثانى . الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه فأوقع أصحاب هذا القسم فى فنون من التخليط فأما الطريق الأول

فان إبليس زين للمقـــلدين أن الأدلة قد تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم : وقد ضل فى هذا الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس فان اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم فضلوا وكذلك أهل الجاهلية واعلم أن العلة التى بها مدحوا التقليد بها يذم لأنه إذا كانت الأدلة تشتبه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يوقع فى ضلال . وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آبائهم وأسلافهم فقال عز وجل (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قل أو لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) المعنى أتتبعونهم وقد قال عز وجل (إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) .

قال المصنف : اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه وفى التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر . وقبيح بمن أعطى شمعة يستضىء بها أن يطفئها ويمشى فى الظلمة . واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال : وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغى أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال على رضى الله عنه للحرث بن حوط وقد قال له أتظن انا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل فقال له يا حارث انه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله ، وكان أحمد بن حنبل يقول : من ضيق علم الرجل أن يقلد فى اعتقاده رجلا ولهذا أخذ أحمد بن حنبل يقول : زيد فى الجد وترك قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه « فن قال قائل » فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون فالجواب - إن دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا إليه فى ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى على عاقل وأما الفروع فإنها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامى عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامى التقليد فيها لمن قد سبر ونظر إلا أن اجتهاد العامى فى اختيار من يقلده .

قال المصنف : وأما الطريق الثانى : فإن إبليس لما تمكن من الأغبياء فورطهم فى فى التقليد وساقهم سوق البهائم . ثم رأى خلقا فيهم نوع ذكاء وفطنة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم ، فمنهم من قبح عنده الجمود على التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن فمنهم من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز فساقهم الى مذهب

الفلاسفة ولم يزل بهؤلاء حتى أخرجهم عن الاسلام وقد سبق ذكرهم فى الرد على الفلاسفة ومن هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد إلا ما أدركته حواسه . فيقال لهؤلاء بالحواس علمتم صحة قولكم فإن قالوا نعم كابروا لأن حواسنا لم تدرك ماقالوا إذا مايدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وإن قالوا بغير الحواس . ناقضوا قولهم : ومنهم من نفره إبليس عن التقليد وحسن له الخوض فى علم الكلام والنظر فى أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن غمار العوام . وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك وبيعضهم إلى الإلحاد . ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً ولكنهم رأوا أنه لا يشفى غليلا ثم يرد الصحيح عليلا فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه . حتى قال الشافعى رحمه الله : لإن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام . قال : وإذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له . قال : وحكمى فى علماء الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام . وقال أحمد بن حنبل : لا يفلح صاحب كلام أبداً علماء الكلام زنادقة .

قال المصنف : قلت : وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بالمعتزلة إلى أنهم قالوا : إن الله عز وجل يعلم جمل الأشياء ولا يعلم تفاصيلها . وقال جهم بن صفوان : علم الله وقدرته وحياته محدثة . وقال أبو محمد النوبختى عن جهم أنه قال : إن الله عز وجل ليس بشىء . وقال أبو على الجبائى وأبو هاشم ومن تابعهما من البصريين : المعدوم شىء وذات ونفس وجوهر وبياض وصفرة وحمرة وإن البارى سبحانه وتعالى لا يقدر على جعل الذات ذاتاً ولا العرض عرضاً ولا الجوهر جوهراً وإنما هو قادر على إخراج الذات من العدم إلى الوجود . وحكى القاضى أبو يعلى فى كتاب المقتبس قال : قال لى العلاف المعتزلى لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه ولا تصح الرغبة حينئذ إليه ولا الرهبة منه لأنه لا يقدر إذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضر قال ويبقى أهل الجنة خموداً سكوتاً لا يفضون بكلمة ولا يتحركون ولا يقدرون هم ولا ربهم على فعل شىء من ذلك . لأن الحوادث كلها

لابد لها من آخر تنتهي إليه لا يكون بعده شيء تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

قال المصنف : قلت : وذكر أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البلخي في كتاب المقالات . إن أبا الهذيل اسمه محمد بن الهذيل العلاف وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم وانفرد بأن قال أهل الجنة تنقضي حركاتهم فيصيرون إلى سكون دائم وأن لما يقدر الله عليه نهاية لو خرج إلى الفعل ولن يخرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقدرة على غيره . وكان يقول إن علم الله هو الله وإن قدرة الله هي الله وقال أبو هاشم من تاب عن كل شيء إلا أنه شرب جرعة من خمر فإنه يعذب عذاب أهل الكفر أبداً . وقال النظام : إن الله عز وجل لا يقدر على شيء من الشر وإن إبليس يقدر على الخير والشر . وقال هشام القوطي : أن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل . وقال بعض المعتزلة : يجوز على الله سبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه . وقالت الجبرة : لا قدر للآدمي بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل . وقالت المرجئة إن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النـــار أصلا وخالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحدين من النار . قال ابن عقيل : ما أشبه أن يكون واضع الارجاء زنديقاً فإن صلاح العالم بإثبات الوعد واعتقاد الجزاء ، فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الإثبات وهي الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على الإسلام .

قال المصنف : قلت وتبع أبو عبد الله بن كرام فاختار من المذاهب أردأها ومن الأحاديث أضعفها ومال إلى التشبيه أجاز حلول الحوادث في ذات الباري سبحانه وتعالى . وقال إن الله لايقدر على إعادة الأجسام والجواهر إنما يقدر على ابتدائها . قالت السالمية إن الله عز وجل يتجلى يوم القيامة لكل شيء في معناه فيراه الآدمي آدمياً . والجني جنياً . وقالوا الله سر لو أظهره لبطل التدبير .

قال المصنف : قلت أعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة : وقد زعم أرباب الكلام أنه لا يتم الإيمان إلا بمعرفة ما رتبوه وهؤلاء على الخطاء لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالإيمان ولم يأمر ببحث المتكلمين ودرجة

الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك . وقد ورد ذم الكلام على ما قد أشرنا اليه . وقد نقل الينا أقلاع منطق المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله .

فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا أبو منصور محمد ابن عيسى بن عبد العزيز البزار ثنا صالح الوفاة بن أحمد بن محمد الحافظ ثنا أحمد بن عبيد ابن إبراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال سمعت أحمد بن سنان قال : كان الوليد بن أبان الكرابيسى خالى فلما حضرته الوفاة قال لبنيه : تعلمون أحداً أعلم بالكلام منى ؟ قالوا ، لا ، قال : فتتهموني ، قالوا : لا قال فإنى أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإنى رأيت الحق معهم وكان أبو المعالى الجوينى يقول لقد جلت أهل الإسلام جولة وعلومهم وركبت البحر الاعظم وغصت فى الذى نهوا عنه كل ذلك فى طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فإن لم يدركنى الحق بلطيف بره بأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمرى عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجوينى . وكان يقول لأصحابه يا أصحابنا لاتشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى مابلغ ما تشاغلت به . وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه أما أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فان رضيت أن تكون مثلهم فكن وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبى بكر وعمر فبئس ما رأيت . قال وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك وكثير منهم إلى الإلحاد تشم روائح الإلحاد من فلتات كلام المتكلمين وأصل ذلك أنهم ماقنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس فى قوة العقل إدراك ماعند الله من الحكمة التى انفرد بها ولا أخرج البارى من علمه لخلقه ما عليه هو من حقائق الأمور قال : وقد بالغت فى الأول طول عمرى ثم عدت القهقرى إلى مذهب الكتب وإنما قالوا أن مذهب العجائز أسلم لأنهم لما انتهوا إلى غاية التدقيق فى النظر لم يشهدوا ما يشفى العقل من التعليلات والتأويلات فوقفوا مع مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية فسلم . وبيان هذا أن نقول أحب أن يعرف أراد أن يذكر فيقول قائل هل شغف باتصال

النفع هل دعاه داع إلى إفاضة الإحسان : ومعلوم أن للداعي عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك إلا الذات يدخل عليها داخل من شوق إلى تحصيل مالم يكن لهـــا وهى إليه محتاجة فإذا وجد الغرض سكن الشغف وفتر الداعي وذلك الحاصل يسمى غنى والقديم لم يزل موصوفا بالغنى منعوتا بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض ثم إذا نظرنا فى إنعامه رأينا مشحونا بالنقص والآلام وأذى الحيوانات فإذا رام العقل ان يعلل بالإنعام جاء تحقيق النظر ورأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولا صفاء وراه منزهاً بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله . وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد فاذا عجز عن التعليل كان التسليم اولى : وإنما دخل الفساد من أن الخلق افتداؤه الفوائد ودفع المضار على مقتضى قدرته . ولو مزجوا [illegible] العمر بأ الحكيم [illegible] نفوسهم له التسليم بحسب حكمته فعاشوا [illegible] التعويض بلا اعتراض

(فصل) [illegible] بعضهم

إن الله [illegible] تعالى الله عن ذلك [illegible] هشام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] تعالى الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] على

هيئة [illegible] قال هشام : [illegible] الجبل أكبر [illegible] قال وله ماهية يعلمها هو .

قال المصنف : وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضاً وذلك ينقض القول بالتوحيد

وقد استقر أن الماهية لاتكون إلا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج أن يفرد منها ويبان عنها والحق سبحانه ليس بذى جنس ولا مثل له ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته أرادته ومتناهيه لا على معنى أنه ذاهب فى الجهات بلا نهاية : إنما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر فتلزمه النهاية قال النوبختى وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الحوارى يقولون إن الله صورة وأعضاء .

قال المصنف : أترى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الآدميين ولم لايجوز عليه عندهم مايجوز على الآدميين من مرض أو تلف : ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأى دليل أثبت حدث الأجسام فيدلك بذلك على أن الإله هو الذى اعتقدته جسما محدثاً غير قديم . ومن قول المجسمة أن الله عز وجل يجوز أن يمس ويلمس : فيقال له فيجوز على قولكم أن يمس ويلمس ويعانق وقال بعضهم أنه جسم هو فضاء والأجسام كلها فيه . وكان بيان بن سمعان يزعم أن معبوده نور كله وأنه على صورة رجل وأنه يهلك جميع أعضائه الا وجهه فقتله خالد ابن عبد الله وكان المغيرة بن سعد العجلى يزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء .

وكان هذا يقول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وكان زرارة ابن أعين يقول : لم يكن البارى قادراً حياً عالماً فى الأزل حتى خلق لنفسه هذه الصفات تعالى الله عن ذلك . وقال داود الحوارى هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فه الى صدره ومصمت ماسوى ذلك : ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا هو على العرش بذاته على وجه المماسة فإذا نزل انتقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبى صلى الله عليه وسلم ينزل الله الى سماء الدنيا : قالوا ولا ينزل الا من هو فوق . وهؤلاء حملوا نزواله على الأمر الحسى الذى يوصف به الأجسام : وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهور كلامهم فى كتابنا المسمى بمنهاج الوصول الى علم الأصول . وربما تخيل بعض المشبهة فى رؤية الحق يوم القيامة لما يراه فى الأشخاص فيمثله شخصاً يزيد حسنه على كل حسن : فتراه

يتنفس من الشوق اليه و يمثل الزيادة فيزداد توقـــه ويتصور رفع الحجاب فيقلق ويتذكر الرؤية فيغشى عليه . ويسمع فى الحديث أنه يدنى عبده المؤمن اليه فيتخايل القرب الذاتى كما بمجالس الجنس وهذا كله جهل بالموصوف . ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته لقوله عز وجل ويبقى وجه ربك وله يد وله أصبع لقول رسول ﷺ يضع السموات على أصبع وله قدم الى غير ذلك ممـــا تضمنته الأخبار وهذا كله إنمـا استخرجوه من مفهوم الحس : وإنمـا الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا ويبقى ربك وقالوا فى قوله يريدون وجهه يريدونه وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله قلوب العباد بين اصبعين ان الأصبع لما كانت هى المقبلة للشىء وان ما بين الأصبعين يتصرف فيه صاحبها كيف شاء ذكر ذلك لا أن ثم صفة زائدة .

قال المصنف : والذى أراه السكوت عن هذا التفسير أيضاً إلا أنه يجوز أن يكون مراداً ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزىء والانقسام ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية أن الميت يأكل فى القبر ويشرب وينكح لأنهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم إلا هذا ولو قنعوا بمـا ورد فى الآثار من أن أرواح المؤمنين وتجعل فى حواصل طير تأكل من شجر الجنة لسلموا لكنهم أضافوا ذلك إلى الجسد قال ابن عقيل . ولهذا المذهب مرض يضاهى الاستشعار الواقع للجاهلية وما كانوا يقولونه فى الهام والصدا والمكالمة لهؤلاء ينبغى أن تكون على سبيـل المداراة لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فإن المقاومة تفسدهم . وإنمـا لبس ابليس على هؤلاء لتركهم البحث عن التأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل . فإنه لما ورد النعيم والعـذاب للميت علم أن الإضافة حصلت إلى الأجساد والقبور تعريفاً كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التى كانت فى هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : فان قال قائل قد عبت طريق المقلدين فى الأصول وطريق المتكلمين فـا الطريق السليم من تلبيس ابليس . فالجواب أنه ما كان عليه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وتابعوهم بإحسان من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تفسير ولا بحث عما ليس فى قوة البشر إدراكه وأن القرآن كلام الله غير مخلوق قال على كرم الله وجهه . والله ما حكمت مخلوقا إنما حكمت القرآن وهو المسموع قوله عز وجل (حتى يسمع كلام الله) وأنه فى المصاحف لقوله عز وجل (فى رق منشور) ولا نتعدى مضمون الآيات ولا نتكلم فى ذلك برأينا . وقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الاتباع للسلف إلى حدث .

والعجب ممن يدعى اتباع هذا الإمام ثم يتكلم فى المسائل المحدثة . أخبرنا سعد الله ابن على البزار نا أبو بكر الطريثيثى نا هبة الله بن الحسن الطبرى نا أبو حامد أحمد ابن أبى طاهر الفقيه نا عمر بن أحمد الواعظ ثنا محمد بن هرون الحضرمى ثنا القاسم بن العباس الشيبانى ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر . وقال مالك بن أنس من قال القرآن مخلوق فيستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله الطبرى ثنا محمد بن أحمد القاسم ثنا أحمد بن عثمان ثنا محمد بن ماهان ثنا عبد الرحمن ابن مهدى عن سفيان عن جعفر بن برقان أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل : وسأله عن الأهواء فقال عليك بدين الصبى فى الكتاب والإعرابى واله عما سواهما قال ابن مهدى وثنا عبد الله ابن المبارك عن الأوزاعى قال : قال عمر بن عبد العزيز إذا رأيت قوما يتناجون فى دينهم بشىء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد ابن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا خلاد بن يحيى عن سفيان الثورى : قال بلغنى عن عمر أنه كتب إلى بعض عماله أوصيك بتقوى الله عز وجل . واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وترك ما أحدث المحدثون بعده بما قد كفوا مؤنته : واعلم أن من

سن السنن قد علم ما فى خلافها من الخطأ و الزلل والتعمق فإن السابقين الماضين على علم توقفوا وتبصر ناقد قد كفوا . وفى رواية أخرى عن عمر . وأنهم كانوا على كشف الأمور أقوى وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم لقد قصر دونهم أقوام فخفوه وطمح عنهم آخرون فغلوه .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا بشر بن موسى ثنا عبد الصمد بن حسان قال سمعت سفيان الثورى يقول عليكم بما عليه الحمالون والنساء فى البيوت والصبيان فى الكتاب من الإقرار والعمل .

قال المصنف : فإن قال قائل هذا مقام عجز لا مقام الرجال فقد أسلفنا جواب هذا . وقلنا إن الوقوف على العمل ضرورة لأن بلوغ ما يشفى العقل من التعليل لم يدركه من غاص من المتكلمين فى البحار فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الخوارج ﴾

قال المصنف : أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبي ثنا محمد بن فضيل ثناعمارة بن القعقاع عن ابن أبي يعمر عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بعث على رضى الله عنه من اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة فى أديم مقروظ[1] لم تخلص من ترابها فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة بين زيد الخيل والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أوعامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحا ومساء ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتىء الجبهة كث اللحية مشمر الأزار محلوق الرأس فقال اتق الله يارسول الله فرفع رأسه إليه فقال ويحك أليس أحق الناس أن يتقى الله أنا ثم أدبر فقال خالد

(١) المقروظ المدبوغ بالقرظ ، وفى نسخة لم تحصل أى تميز .

فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال فى إصلاح ذات بينهم وفى حقن دمائهم أفضل أم حكمهم فى أرنب وبضع امرأة فأيهما ترون أفضل . قالوا : بل هذه . قلت : خرجت من هذه . قالوا : نعم . قلت : وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة رضى الله تعالى عنها . فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام . ووالله لئن لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الإسلام . فأنتم بين ضلالتين لأن الله عز وجل قال : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) أخرجت من هذه . قالوا : نعم . قلت : وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان ابن حرب وسهيل بن عمرو . فقال لعلى رضى الله عنه . اكتب لهم كتاباً . فكتب لهم على . هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله . فقال المشركون : والله ما نعلم إنك رسول الله لو نعلم إنك رسول الله ما قاتلناك . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اللهم إنك تعلم أنى رسول الله امح يا على . اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد ابن عبد الله فو الله لرسول الله خير من على وقد محا نفسه قال فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا ولاد بن على الكوفى نا محمد بن على بن دحيم الشيبانى ثنا أحمد بن حازم ثنا أحمد بن عبد الرحمن يعنى ابن أبى ليلى ثنا سعيد بن جثيم عن القعقاع بن عمارة عن أبى الخليل عن أبى الشائعة عن جندب الأزدى قال . لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال فانتهينا إلى معسكرهم فإذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن .

قال المصنف : وفى رواية أخرى أن علياً رضى الله عنه لما حكم أتاه من الخوارج زرعة بن البرج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى فدخلا عليه فقالا له : لا حكم إلا لله . فقال على : لا حكم إلا لله فقال له حرقوص تب من خطيئتك وارجع عن قضيتنا واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا ولئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله عز وجل لأقاتلنك أطلب بذلك وجه الله واجتمعت الخوارج فى منزل عبد الله بن وهب الراسبى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن

وينسبون الى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التى إيثارها عناء آثر عنده من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا . فكتب اليهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه . أما بعد : فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين فقد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما ونحن على الأمر الأول . فكتبوا اليه إنك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك . وإلا فقد نابذناك على سواء والسلام . ولقى الخوارج فى طريقهم عبد الله بن خباب فقالوا . هل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثناه . قال : نعم سمعت ابى يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول . قالوا : أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله قال : نعم فقدموه إلى شفير النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل . وبقروا بطن أم ولده عما فى بطنها وكانت حبلى ونزلوا تحت نخل مواقير بنهروان فسقطت رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها فى فيه . فقال أحدهم : أخذتها بغير حلها وبغير ثمنها فلفظها من فيه . واخترط أحدهم سيفه فأخذ يهزه فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه به يجربه فيه ، فقالوا : هذا فساد فى الأرض فلقى صاحب الخنزير فأرضاه فى ثمنه . قال : فبعث إليهم على رضى الله عنه أخرجوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا : كلنا قتله فناداهم ثلاثاً كل ذلك يقولون هذا القول . فقال على رضى الله عنه لأصحابه دونكم القوم . فما لبثوا أن قتلوهم وكان وقت القتال يقول بعضهم لبعض : تهيأ للقاء الرب الرواح إلى الجنة ! وخرج على علىّ رضى الله عنه بعدهم جماعة فبعث إليهم من قاتلهم ثم اجتمع عبد الرحمن بن ملجم بأصحابه وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا : والله ما قنعنا بالبقاء فى الدنيا شىء بعد إخواننا الذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم فلو أنا شرينا أنفسنا لله والتمسنا غير هؤلاء الأئمة الضلال فثأرنا بهم إخواننا وأرحنا منهم العباد .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر البزار نا أبو محمد الجواهرى نا ابن حياة نا أبو الحسن بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد عن أشياخ له . فقالوا انتدب ثلاثة نفر من

الخوارج عبدالرحمن بن ملجم والبرك بن عبدالله وعمرو بن بكر التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا لنقتلن هؤلاء الثلاثة علياً ومعاوية وعمرو بن العاص ونريح العباد منهم فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال البرك أنا لكم بمعاوية وقال عمر أنا لكم بعمرو فتواثقوا لا ينقص رجل منهم رجلا عن صاحبه، فقدم ابن ملجم الكوفة فلما كانت الليلة التي عزم على قتل على رضي الله عنه فيها خرج على رضي الله عنه لصلاة الصبح فضربه فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه . فقال على رضي الله عنه لا يفوتنكم الرجل فأخذ : فقالت أم كلثوم ياعدو الله قتلت أمير المؤمنين بأس قال تبكين إذن ثم قال والله لقد سممته يعني فان أخلفني فأبعده الله وأسحقه . فلما مات على رضي الله عنه أخرج ابن ملجم ليقتل فقطع عبدالله ابن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم فكحل عينيه بمسمار محمى . فلم يجزع وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق حتى ختمها وإن عينيه لتسيلان فعولج على قطع لسانه لجزع . فقيل له لم تجزع فقال أكره أن أكون فى الدنيا مواتا لا أذكر الله وكان رجلا أسمر فى جبهته أثر السجود لعنة الله عليه .

قال المصنف : قلت ، ولما أراد الحسن رضي الله عنه أن يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان . وقال أشركت كما أشرك أبوك ثم طعنه فى أصل فخذه . ومازالت الخوارج تخرج على الأمراء ولهم مذاهب مختلفة . وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون نحن مشركون مادمنا فى دار الشرك فاذا خرجنا فنحن مسلمون . قالوا ومخالفونا فى المذهب مشركون . ومرتكبوا الكبائر مشركون والقاعدون عن موافقتنا فى القتال كفرة وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك وكان نجدة بن عامر الثقفى من القوم فخالف نافع بن الأزرق وقال بتحريم دماء المسلمين وأموالهم : وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون فى غير نار جهنم وان جهنم لا يعذب بها إلا مخالفوه فى مذهبه : وقال إبراهيم الخوارج قوم كفار وتحل لنا منا كحتهم ومواريثهم كما كان الناس فى بدء الإسلام . وكان بعضهم يقول لو أن رجلا أكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار . لأن الله عز وجل أوعد على ذلك النار .

قال المصنف : ولهم قصص تطول ومذاهب عجيبة لهم لم أر التطويل بذكرها وإنما المقصود النظر فى حيل إبليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم واعتقدوا

أن على بن أبي طالب كرم وجهه على الخطأ ومن معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ وأنهم على الصواب . واستحلوا دماء الأطفال ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها وتعبوا فى العبادات وسهروا وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر . واستحل قتل على كرم الله وجهه . ثم شهروا السيوف على المسلمين ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من على رضى الله عنه ، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعدل فما عدلت وما كان إبليس ليهتدى إلى هذه المخازى نعوذ بالله من الخذلان .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن ملك ثنا عبدالله بن أحمد ابن حنبل ثنى أبي قال قرأت على عبد الرحمن بن ملك عن يحيى بن سعيد عن محمد ابن إبراهيم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية (١) . أخرجاه فى الصحيحين .

أخبرنا سعد الله بن على نا أبو بكر الطريثيثى ثنا هبة الله بن الحسن الطبرى نا أحمد ابن عبيد ثنا على بن عبدالله بن مبشر ثنا أحمد بن سنان ثنا اسحاق بن يوسف الأزرق عن الأعمش عن عبد الله بن أبي اوفى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخوارج كلاب أهل النار .

(فصل) قال المصنف ومن رأى الخوارج أنه لا تختص الأمامة بشخص إلا أن يجتمع فيه العلم والزهد فاذا اجتمعا كان إماما نبطيا (٢) ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة فى التحسين والتقبيح إلى العقل وأن العدل ما يقتضيه ثم حدث القدرية فى زمن الصحابة وصار معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد ابن درهم إلى القول بالقدر ونسج على منوال معبد الجهنى وأصل ابن عطاء وانضم إليه عمرو بن عبيد . وفى ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة

---

(١) الرمية الصيد الذى ترميه فينفذ فيه السهم .

(٢) النبطى : نسبة إلى النبط بفتحتين أخلاط الناس وأوباشهم .

ثم طالعت المعتزلة مثل أبي الهذيل العلاف والنظام ومعمر والجاحظ كتب الفلاسفة فى زمان المأمون واستخرجوا منها ماخلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان والمكان والكون . وأول مسألة أظهروها القول بخلق القرآن . وحينئذ سمى هذا العمل فصل علم الكلام . وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر . فقال قوم هى معانى زائدة على الذات ونفتها المعتزلة وقالوا عالم لذاته قادر لذاته . وكان أبو الحسن الأشعرى على مذهب الجبائى ثم انفرد عنه إلى مثبتي الصفات . ثم أخذ بعض مثبتي الصفات فى اعتقاد التشبيه وإثبات الانتقال فى النزول والله الهادى لما يشاء .

﴿ ذكر تلبيسه على الرافضة ﴾

قال المصنف : وكما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا على ابن أبي طالب حمل آخرين على الغلو فى حبه فزادوا على الحد فمنهم من كان يقول هو الإله ومنهم من يقول هو خير من الأنبياء ومنهم من حمله على سب أبي بكر وعمر حتى إن بعضهم كفر أبا بكر وعمر إلى غير ذلك من المذاهب السخيفة التى يرغب عن تضييع الزمان بذكرها [illegible] .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت [illegible] إسحق بن محمد النخعى عن عبيد الله بن محمد بن عائشة [illegible] عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى يقول إسحاق بن محمد النخعى [illegible] إن عليا هو الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا [illegible] بالإسحاقية نسبوا إليه [illegible] الحسن بن يحيى النوبختى فى تصنيفه [illegible] الإمامية [illegible] قال وقد كان من [illegible] فى عصرنا إسحق بن محمد المعروف بالأحمر كان يزعم أن عليا هو الله عز وجل : وأنه يظهر فى كل وقت فهو الحسن فى وقت وكذلك هو الحسين ، وهو الذى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم .

قال المصنف . قلت : وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين وقال بعضهم ارتدا بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم من يقول بالتبرى من غير على . وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن على بالتبرى ممن خالف علياً فى إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة : ومنهم أقوام قالوا الإمامة فى موسى ابن جعفر ثم فى ابنه على ثم إلى محمد بن على ثم إلى على بن محمد ثم الى الحسن بن محمد العسكرى ثم الى ابنه محمد وهو الامام الثانى عشر الإمام المنتظر الذى يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع فى آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا : وكان أبو منصور العجلى يقول بانتظار محمد بن على الباقر ويدعى أنه خليفة . وانه عرج به الى السماء فمسح الرب بيده على رأسه . وزعم أنه الكسف الساقط من السماء وكانت طائفة من الرافضة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ذى الجناحين يقولون إن روح الإله دارت فى أصلاب الأنبياء والأولياء الى أن انتهى الى عبد الله وأنه لم يمت : وهو المنتظر : ومنهم طائفة يقال لها الغرابية يثبتون شركة على فى النبوة . وطائفة يقال لها المفوضة يقولون ان الله عز وجل خلق محمدا ثم فوض خلق العالم اليه . وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون كان مأموراً بالنزول على على فنزل على محمد ومنهم من يقول أن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها . وقد روينا على السماح انه خطب يوما فقام رجل من آل على رضى الله عنه قال أنا من أولاد على رضى الله عنه . فقال يا أمير المؤمنين أعدنى على من ظلمنى قال ومن ظلمك قال أنا من أولاد على رضى الله عنه والذى ظلمنى أبو بكر رضى الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة قال ودام على ظلمكم قال نعم : قال ومن قام بعده قال عمر رضى الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم قال ومن قام بعده قال عثمان رضى الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم . قال ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانا يهرب اليه .

قال ابن عقيل الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن فى أصل الدين والنبوة وذلك أن الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر غائب عنا وإنما نثق فى ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين الى ذلك منهم . فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فاذا قال قائل أنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته فى الخلافة

وابنته فى إرثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد فى المتوفى . فان الاعتقادات الصحيحة سيما فى الأنبياء توجب حفظ قوا نينهم بعدهم لاسيما فى أهليهم وذريتهم . فاذا قالت الرافضة أن القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا فى الشرع . لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم . فاذا كان هـذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا فى المنقول . وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول . ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا مايوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاه ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله . فطاحت الاعتقادات . وضعفت النفوس . عن قبول الروايات فى الأصل وهو المعجزات فهذا من أعظم المحن على الشريعة .

قال المصنف . وغلو الرافضة فى حب على رضى الله عنه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه . وقد ذكرت منها جملة فى كتاب الموضوعات . منها أن الشمس غابت ففاتت علياً صلاة العصر فردت له الشمس . وهذا من حيث النقل موضوع : لم يروه ثقة ومن حيث المعنى فان الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلايرد الوقت . وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكتفى بذلك الغسل . وهذا من حيث النقل كذب . ومن حيث المعنى قلة فهم . لأن الغسل عن حدث الموت فكيف يصح قبله ثم لهم خرافات لايسندونها إلى مستند . ولهم مذاهب فى الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف الإجماع . فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل . قال نقلتها من كتاب المرتضى فيما انفردت به الامامية . منها أنه لايجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نبات الأرض . فأما الصوف والجلود والوبر فلا . وأن الاستجمار لا يجزىء فى البول بل فى الغائط خاصة . ولا يجزىء مسح الرأس إلا بباقى البلل الذى فى اليد فان استأنف للرأس بللا مستأنفاً لم يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة . وانفردوا بتحريم من زنى بها وهى تحت زوج أبداً فلو طلقها زوجها لم تحل للزانى بها بنكاح أبداً . وحرموا الكتابيات وأن الطلاق المعلق على شرط لايقع وإن وجد شرطه . وأن الطلاق لايقع إلا بحضور شاهدين عدلين . وأن من نام عن صلاة العشاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه إذا استيقظ القضاء وأن يصبح صائماً كفارة لذلك التفريط ، وأن المرأة إذا جزت

شعرها فعليها الكفارة مثل قتل الخطأ . وأن من شق ثوبه فى موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين . وأن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لا يعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم . وأن شارب الخمر إذا حد ثانية قتل فى الثالثة . ويحد شارب الفقاع كشارب الخمر ، وأن قطع السارق من أصول الأصابع ويبقى له الكف فان سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى . فان سرق الثالثة خلد فى الحبس إلى أن يموت وحرموا السمك الجرى (كذا) وذبائح أهل الكتاب . واشترطوا فى الذبح استقبال القبلة . فى مسائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الإجماع وسول لهم إبليس وضعها على وجه لا يستندون فيه إلى أثر ولا قياس . بل إلى الواقعات ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى . وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم فى الوضوء والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً وابتلوا بسبب الصحابة . وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابى فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ماأدرك مد أحدهم ولا نصيفه . وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن على قالا : أخبرنا محمد بن أحمد ابن المسلمة نا أبو طاهر المخلص ثنا البغوى ثنا محمد بن عباد المكى ثنا محمد ابن طلحة المدينى عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله اختارنى واختار لى أصحاباً فجعل لى منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا .

قال المصنف : والمراد بالعدل الفريضة والصرف النافلة ، أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا أبو بكر الطريثيثى نا هبة الله بن الحسن الطبرى نا عبدالله بن محمد بن أحمد نا على بن محمد بن أحمد بن يزيد الرياحى [illegible] عن المنهال بن عمرو عن سويد بن غفلة قال مررت [illegible] أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما [illegible] من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر [illegible] الذى [illegible] يرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك . قال على : أعوذ بالله أعوذ

بالله أن أضمر لهما إلا الذى ائتمننى النبي عليه . لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل أخوا رسول الله وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ثم نهض دامع العينين يبكى قابضاً على يدى حتى دخل المسجد فصعد المنبر وجلس عايه متمكناً قابضاً على لحيته وهو ينظر فيها وهى بيضاء حتى اجتمع لنا الناس . ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة . ثم قال : ما بال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبوى المسلمون بما أنا عنه متنزه . وبما قالوه برىء . وعلى ما قالوا : معاقب أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقى ولا يبغضهما إلا فاجر شقى صحبا رســـول الله ﷺ على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ويغضبان ويعاقبان فما يتجاوزان فما يصنعان رأى رسول الله ﷺ ولا كان رسول الله ﷺ يرى غير رأيهما . ولا يحب كحبهما أحداً مضى رسول الله ﷺ وهو راض عنهما . ومضيا والمؤمنون عنهما راضون . أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده . ولاه المؤمنون ذلك . وفوضوا إليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرمين . وأنا أول من سن له ذلك من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره يود لو أن منا أحداً كفاه ذلك . وكان والله خير من ابقى أرحمه رحمة وأرأفه رأفة وأسنه ورعاً وأقدمه سناً وإسلاماً ، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بميكائيل رأفة ورحمة وبإبراهيم عفواً ووقاراً فسار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه . ثم ولى الأمر بعده عمر رضى الله عنه وكنت فيمن رضى . فأقام الأمر على منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه . يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل أثر أمه وكان والله رفيقاً رحيما بالضعفاء ناصراً للمظلومين على الظالمين . لا يأخذه فى الله لومة لائم وضرب الله الحق على لسانه وجعل الصدق من شأنه ، حتى إن كنا لنظن أن ملكا ينطق على لسانه أعز الله بإسلامه الإسلام . وجعل هجرته للدين قواما وألقى له فى قلوب المنافقين الرهبة . وفى قلوب المؤمنين المحبة . شبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجبريل فظاً غليظاً على الأعداء . فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا المضى فى سبيلهما فمن أحبنى فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضنى وأنا منه برىء . ولو كنت تقدمت إليكم فى أمرهما لعاقبت فى هذا أشد العقوبة

إلا فمن أوتيت به يقول بعد هذا اليوم فإن عليه ماعلى المفترى . إلا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ثم الله أعلم بالخير أين هو . أقول قولى وأستغفر الله لى ولكم .

أخبرنا سعد الله بن على نا الطريثيثى نا هبة الله الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن أبى خباب الكلبى عن أبى سليمان الهمدانى عن على كرم الله وجهه قال : يخرج فى آخر الزمان قوم لهم نبز يقال لهم : الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبابكر وعمر رضى الله عنهما أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشد القتل .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الباطنية ﴾

قال المصنف : الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة فمحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة العبادات وانكار البعث ولكنهم لايظهرون هذا فى أول أمرهم . بل يزعمون أن الله حق وأن محمداً رسول الله والدين الصحيح لكنهم يقولون : لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء .

﴿الاسم الأول الباطنية﴾ سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورتها توهم الجهال صوراً جلية وهى عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأن من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والاغوار وقنع بظواهرها كان تحت الأغلال التى هى تكليفات الشرع ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من اعبائه قالوا وهم المرادون بقوله تعالى (ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم) ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل على أبطال الشرائع .

﴿ الاسم الثانى الاسماعيلية ﴾ نسبوا إلى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل ابن جعفر ويزعمون أن دور الامامة انتهى اليه . لأنه سابع . واحتجوا بأن السموات

سبع والأرضين سبع وأيام الأسبوع سبعة . فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة . وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون العباس ثم ابنه عبد الله ثم ابنه على ثم ابنه محمد بن على ثم إبراهيم ثم السفاح ثم المنصور . وذكر أبو جعفر الطبرى فى تاريخه قال : قال على بن محمد عن أبيه أن رجلا من الراوندية كان يقال له الأبلق وكان أبرص . فيكى بالغلو ودعا الراوندية اليه وزعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثم فى الأئمة واحداً بعد واحد إلى أن صارت إلى ابراهيم ابن محمد . واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم يدعو الجماعة إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته . فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم . فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم وعبدوا أبا جعفر وصعدوا الخضراء وألقوا نفوسهم كأنهم يطيرون فلا يبلغون الأرض إلا وقد هلكوا وخرج جماعتهم على الناس فى السلاح وأقبلوا يصيحون يا أبا جعفر أنت أنت .

﴿ الاسم الثالث السبعية ﴾ لقبوا بذلك لأمرين أحدهما اعتقادهم أن دور الامامة سبعة سبعة على مابينا وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الادوار وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر له . والثانى لقولهم أن تدبير العالم السفلى منوط بالكواكب السبعة : زحل ثم المشترى ثم المريخ . ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد . ثم القمر .

﴿ الاسم الرابع البابكية ﴾ قال المصنف وهو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال له بابك الخرمى وكان من الباطنية وأصله أنه ولد زناً فظهر فى بعض الجبال بناحية أذربيجان سنة إحدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستفحل أمرهم واستباح المحظورات وكان إذا علم أن عند أحد بنتاً جميلة أو أختاً جميلة طلبها فإن بعثها اليه وإلا قتله وأخذها ومكث على هذا عشرين سنة فقتل ثمانين ألفاً وقيل خمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان[1] وحاربه السلطان وهزم خلقا من الجيوش حتى بعث المعتصم أفسين لحاربه فجاء ببابك وأخيه فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين فلما دخلا قال لبابك أخو

---

(١) وفى نسخة فقتل مائتى ألف وخمسة وخمسين ألفا وخمسمائة إنسان .

يا بابك قد عملت مالم يعمله أحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد . فقال سترى صبرى فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه فلما قطعوا مسح بالدم وجهه فقال المعتصم أنت فى الشجاعة كذا وكذا ما بالك قد مسحت وجهك بالدم أجزعا من الموت فقـال لا . ولـكنى لما قطعت أطرافى نزف الدم . فخفت أن يقال عنى إنه أصفر وجهه جزعا من الموت فال فيظن ذلك بى فسترت وجهى بالدم كيـلا يرى ذلك منى . ثم بعد ذلك ضربت عنقه وأضرمت عليه النار وفعل مثل ذلك بأخيه فما فيهما من صاح ولا تأوه ولا أظهر جزعا لعنهما الله وقد بقى من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة فى السنة تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج ثم ينتهضون للنساء فيثب كل رجل منهم إلى امرأه ويزعمون أن من احتوى على امرأة يستحلها بالاصطياد لأن الصيد مباح .

﴿الاسم الخامس المحمرة﴾ قال المصنف . سموا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة فى أيام بابك ولبسوها .

﴿ الاسم السادس القرامطة ﴾ قال المصـنف وللمؤرخين فى سبب تسميتهم بهـذا قولان : أحدهما أن رجلا من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا إلى أمام من أهل بيت الرسول ﷺ ونزل على رجل يقال له كرميتة لقب بهذا لحمرة عينيه وهو بالنبطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه فلما طلب فلم يوجد زاد افتتان الناس به فخرج إلى الشام فسمى كرميتة باسم الذى كان نازلا عليه ثم خفف فقيل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده . والثانى أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعاتهم فى الابتداء فاستجاب له جماعة فسموا قرامطة وقرمطية وكان هذا الرجل من أهل الكوفة وكان يميل إلى الزهد فصادفه أحد دعاة الباطنية فى طريق وهو متوجه إلى قرية وبين يديه بقر يسوقها . فقال حمدان لذلك الراعى وهو لا يعرفه أين مقصدك فذكر قرية حمدان فقال له اركب بقرة من هذه لئلا تتعب فقال أنى لم أومر بذلك فقال وكانك لا تعمل إلا بأمر قال نعم قال وبأمر من تعمل قال بأمر مالكى ومالـكك ومالك الدنيا والآخرة . فقال ذلك إذن هو الله رب العالمين . فقال صدقت قال له فما غرضك فى

هذه القرية التي تقصدها قال أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة : وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد : فقال له حمدان انقذني أنقذك الله وأفض على من العلم ما تحييني به فما أشد احتياجي إلى مثل هذا فقال ما أمرت أن أخرج السر المخزون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به والعهد اليه . فقال اذكر عهدك فإني ملتزم به فقال له أن تجعل لي وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا تخرج سر الامام الذى ألقه إليك ولا تفشى سرى أيضاً فالتزم حمدان عهده ثم اندفع الداعي فى تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له ثم انتدب للدعاء وصار أصلا من أصول هذه البدعة فسمى أتباعه القرامطة والقرمطية . ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه وكان أشدهم بأسا رجل يقال له أبو سعيد ظهر فى سنة ست وثمانين ومائتين وقوى أمره وقتل مالا يحصى من المسلمين وخرب المساجد وأحرق المصاحف . وفتك بالحاج وسنى لأهله وأصحابه سننا وأخبرهم بمحالات . وكان إذا قاتل يقول وعدت النصر فى هذه الساعة . فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائراً من جص . وقالوا إذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره وجعلوا عند القبر فرسا وخلعه ثياب وسلاحا وقد سول إبليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكباً وإن لم يكن له فرس حشر ماشيا . وكان أصحاب أبي سعيد يصلون عليه إذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سمعوا من يصلى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون أتأكل رزق أبي سعيد وتصلى على أبي القاسم . وخلف بعده ابنه أباطاهر ففعل مثل فعله وهجم على الكعبة فأخذ ما فيها من الذخائر وقلع الحجر الأسود فحمله إلى بلده وأوهم الناس أنه الله عز وجل .

﴿ الاسم السابع الخرمية ﴾ وخرم[1] لفظ أعجمى ينبى عن الشىء المستلذ المستطاب الذى يرتاح الإنسان له . ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب

(١) خرم بضم الخاء وتشديد الراء مفتوحة بوزن سكر صفة مشبهة بالفارسى بمعنى جذلان ومسرور

الشهوات وكيف كانت وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد وقد كان هذا الاسم لقباً للمزدكية وهم أهل الاباحة من المجوس الذين نبغوا فى أيام قباذ وأباحوا النساء المحرمات وأحلوا كل محظور فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم إياهم فى نهاية المذهب وإن خالفوهم فى مقدماته .

(الاسم الثامن التعليمية) لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم أبطال الرأى وإفساد تصرف العقول ودعاء الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم وأنه لا يدرك العلوم إلا بالتعليم .

(فصل) فى ذكر السبب الباعث لهم على الدخول فى هذه البدعة قال المصنف اعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة فى استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد البعث وزعمهم أن الأنبياء ممخرقون ومنمسون[1] ورأوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطار فى الأقطار وأنهم قد عجزوا عن مقاومته فقالوا سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم أركهم عقلا وأسخفهم رأيا وأقبلهم للمحالات والتصديق بالأكاذيب وهم الروافض فنتحصن بالانتساب إليهم، ونتودد إليهم بالحزن على ماجرى على آل محمد من الظلم والذل ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة فإذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما نقلوا فأمكن استدراجهم إلى الانخداع عن الدين فإن بقى منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وأن المنخدع بظواهرها أحمق وإنما الفطنة فى اعتقاد بواطنها ثم نبث إليهم عقائدنا ونزعم أنها المراد بظواهرها عندكم فإذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج باقى الفرق . ثم قالوا وطريقنا أن نختار رجلا ممن يساعد على المذهب ونزعم أنه من أهل البيت وأنه يجب على كل الخلق كافة متابعته ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعصوم عن الخطأ والزلل من جهة الله عز وجل ثم لا تظهر هذه الدعوة على

---

(١) ممخرقون : أي مكذبون مموهون ومنمسون أي ملبسون على الناس الحق بالباطل .

القرب من جوار هذا الخليفة الذى وسمناه بالعصمة : فاز قرب الدار بهتك الأستار وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الامام أويطلع على حقيقة أمره . وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على أموال الناس والانتقال منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديما فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وللقوم حيل فى استذلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع فى استدراجه ممن لا يطمع فيه . فإذا طمعوا فى شخص نظروا فى طبعه : فإن كان مائلا إلى الزهد دعوه إلى الأمانة والصدق وترك الشهوات . وإن كان مائلا إلى الخلاعة قرروا فى نفسه أن العبادة بله . وأن الورع حماقة وإنما الفطنة فى اتباع اللذات من هـــذه الدنيا الفانية . ويثبتون عند أكل ذى مذهب ما يليق بمذهبه ثم يشككونه فيما يعتقدوه فيستجيب لهم إما رجل أبله أو رجل من أبناء الأكاسرة وأولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الإسلام أورجل يميل إلى الاستيلاء ولا يساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله . أو شخص يحب الترفع عن مقالات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق . أورافضى يتدين بسب الصحابة رضى الله عنهم ، أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين فى الدين أو من قد غلبت عليه حب الذات وثقل عليه التكليف .

﴿ فصل ﴾ فى ذكر نبذة من مذاهبهم . قال أبو حامد الطوسى الباطنية قـــوم يدعون الإسلام ويميلون إلى الرفض . وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام . فمن مذهبهم القول بآلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثانى . قالوا . والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول . ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثانى ، وهو أول مبدع . ثم حديث النفس الكلية . وعندهم أن النبى عليه السلام عبارة عن شخص[1] فاضت عليه من السابق بواسطة الثانى قوة قدسية صافية.

(١) ومن هذا القول الفاسد انتحل البهائيون مذهبهم فضلوا وأضلوا .

وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص واتفقوا على أنه لابد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع اليه فى تأويل الظواهر مساو للنبي عليه السلام فى العصمة . وأنكروا المعاد وقالوا معنى المعاد هود الشيء إلى أصله وتعود النفس إلى أصلها . وأما التكليف . فالمنقول عنهم الإباحة المطلقة واستباحة المحظورات وقد ينكرون هذا إذا حكى عنهم وإنما يقرون بأنه لابد للانسان من التكليف . فاذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف . ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفي المحض لقتلوا : فقالوا عنى الجنابة مبادرة المستجيب بافشاء السر . ومعنى الغسل . تجديد العهد على من فعل ذلك . ومعنى الزنا إلقاء نطفة العلم بالباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد : والصيام الإمساك عن كشف السر والكعبة هى النبي . والباب على . والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة الحرز الذى يحصن به من استجاب لدعوته . ونار إبراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقة . وذبح إسحاق معناه أخذ العهد عليه . وعصى موسى حجته ، ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر ، وذكر غيره انهم يقولون إن الله عز وجل لما أوجد الأرواح ظهر لهم فيما بينهم كهم فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرفوه فأول من عرفه سلمان الفارسي . والمقداد . وأبو ذر وأول المنكرين الذى يسمى إبليس : عمر بن الخطاب . فى خرافات ينبغي أن يصان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها : ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وإنما اخترعوا بواقعاتهم ما أرادوا فان اتفقت مناظرة لأحدهم فليقل له أعرفتم هذه الأشياء التى تذكرونها عن ضرورة . أو عن نظر . أو عن نقل عن الإمام المعصوم . فان قلتم ضرورة فكيف خالفكم ذووا العقول السليمة . ولو ساغ للانسان أن يهذى بدعوى الضرورة فى كل مايهواه جاز لخصمه دعوى الضرورة فى نقض مادعاه . وإن قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل . لأنه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها ، وإن قلتم عن إمام معصوم قلنا فما الذى دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة ، وترك قول محمد صلى الله عليه وسلم مع المعجزات . ثم ما يؤمنكم أن يكون ما سمع من الإمام المعصوم له باطن غير ظاهر . ثم يقال لهم

هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها . فان قالوا يجب إظهارها قلنا فلم كتمها محمد صلى الله عليه وسلم . وإن قالوا يجب إخفاؤها قلنا ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف حل لكم إفشاؤه . قال ابن عقيل هلك الإسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية . فأما أهل البواطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التى لا برهان لهم عليها حتى لم يبق فى الشرع شىء إلا وقد وضعوا وراءه معنى . حتى أسقطوا إيجاب الوجب . والنهى عن المنهى . وأما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لا بد من تأويله . فحملوا الأسماء والصفات على ما عقلوه . والحق بين المنزلتين وهو أن تأخذ بالظاهر مالم يصرفنا عنه دليل . ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع .

قال المصنف . ولو لقيت مقدم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالكا معه طريق العلم . بل التوبيخ والإزدراء على عقله وعقول أتباعه . بأن أقول أن للآمال طرقا تسلك ووجوها توصل . ووضع الأمل فى جهة اليأس حمق ومعلوم أن هـــذه الملل التى طبقت الأرض أقربها شريعة الإسلام التى تتظاهرون بهـــا . وتطمعون فى إفسادها قد تمكنت تمكنا يكون الطمع فى تمحيقها فضلا عن إزالتها حمقا فيما بجمع كل سنة بعرفة ومجمع كل أسبوع فى الجوامع ومجمع كل يوم فى المساجد فمن تحدثكم نفوسكم تكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الأمر الظاهر . فى الآفاق يؤذن كل يوم على ما بين ألوف منابر بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وغاية ما أنتم عليه حديث فى خـــلوة : أو متقدم فى قلعة : ان نبس رجل رأسه يقتل قتل الكلاب فمتى يحدث العاقل منكم نفسه بظهور ما أنتم عليه على هذا الأمر الكلى الذى طبق البلاد فما أعرف أحمق منكم إلى أن يجىء إلى باب المناظرة بالبراهين العقلية .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة فقتل السلطان جلال الدولة برقيارق خلقاً منهم لما تحقق مذهبهم فبلغت عدة القتلى ثلثمائة ونيفاً وتتبعت أموالهم فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من اللآلى المحفور

وكتب بذلك كتاب إلى الخليفة فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يتجاسر أحد أن يشفع فى أحد لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب : وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا . وصار كل من فى نفسه شيء من إنسان يرميه بهذا المذهب فيقصيه وينهب ماله . وأول ماعرف من أحوال الباطنية فى أيام الملك شاة جلال الدولة أنهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد فى ساوة . ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم . ثم اغتالوا مؤذنا من أهل ساوة فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل فخافوه أن ينم عليهم فاغتالوه فقتلوه فبلغ الخبر إلى نظام الملك فتقدم بأخذ من يتهم فيقتله فقتل المتهم وكان نجاراً وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك . وكانوا يقولون قتلتم منا نجاراً فقتلنا به نظام الملك . واستفحل أمرهم بأصبهان فلما مات الملك شاه وآل الأمر إلى أنهم كانوا يسرقون الإنسان ويقتلونه ويلقونه فى البئر وكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ولم يعد إلى منزله أيسوا منه وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة فى دار لاتبرح فوق حصير فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلا . فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذى فيه هذه الدار ، فاذا مر إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق فاذا حصل هناك جذبه من فى الدار واستولوا عليه ، فجد المسلمون فى طلبهم بأصبهان ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأول قلعة تملكها الباطنية قلعة فى ناحية يقال لها الروذبار من نواحى الديلم وكانت هذه القلعة لقماج صاحب ملكشاه وكان يتهم بمذهب القوم فأخذ ألفا ومائتى دينار وسلم إليهم القلعة فى سنة ثلاث وثمانين فى أيام ملكشاه وكان مقدمها الحسن بن الصباح وأصله من مرو وكان كاتباً للرئيس عبد الرازق ابن بهرام إذ كان صبيا ثم إلى مصر وتلقى من دعاتهم المذاهب وعاد داعية القوم ورأسا فيهم وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته فى دعاته ألا يدعو إلا غبيا لا يفرق بين يمينه وشماله مثلا ومن لايعرف أمور الدنيا ويطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى ينبسط دماغه ثم يذكر له حينئذ ماتم على أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك فى نفسه ، ثم يقول إذا كانت الأزارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم فى قتال بنى أمية فما سبب بخلك بنفسك فى نصرة إمامك فيتركه بهذه المقالة

طعمة للسيف ، وكان ملكشاه قد أرسل إلى هذا ابن الصباح يدعوه إلى الطاعة ويتهدده ان خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمراء ، فقال فى جواب الرسالة والرسول حاضر الجواب ما تراه ، ثم قال لجماعة وقوف بين يديه أريد أن أنفذكم إلى مولاكم فى حاجة فمن ينهض لها فاشرأب كل منهم لذلك ، فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إياهم ، فأومأ إلى شاب منهم فقال له اقتل نفسك فجذب سكينة وضرب بها غلصمته[1] فخر ميتاً وقال لآخر ارم نفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق ، ثم التفت إلى رسول السلطان فقال أخبره أن عندى من هؤلاء عشرين ألفاً هذا حد طاعتهم لى وهذا هو الجواب ، فعاد الرسول إلى السلطان ملكشاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهم ، وصارت بأيديهم قلاع كثيرة ثم قتلوا جماعة من الأمراء والوزراء قال المصنف : وقد ذكرنا من صفة القوم فى التاريخ أحوالا عجيبة فلم نر التطويل بها هنا .

﴿فصل﴾ وكم من زنديق فى قلبه حقد على الإسلام خرج فبالغ واجتهد فزخرف دعاوى يلقى بها من يصحبه ، وكان غور مقصده فى الاعتقاد الانسلال من ربقة الدين . وفى العمل نيل الملذات واستباحة المحظورات : فمنهم بابك الخرمى حصل له مقصوده من اللذات ولكن بعد أن قتل الناس وبالغ فى الأذى ثم القرامطة وصاحب الزنج الذى خرج فاستغوى المماليك السودان وعدم الملك : فنهب وفتك وقتل وبالغ وكانت عواقبهم فى الدنيا أقبح العواقب فما وفى ما نالوا بما نيل منهم ومنهم من لم يبرح على تعثيره ففاتته الدنيا والآخرة مثل ابن الراوندى والمعرى . أنبأنا محمد بن أبى طاهر عن أبى القاسم على بن المحسن التنوخى عن أبيه قال كان بن الراوندى ملازم الرافضة وأهل الإلحاد فاذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر .

قال المصنف : من تأمل حال (٢) بن الراوندى وجده من كبار الملحدة وصنف

---

(١) الغلصمة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتىء فى الحلق والجمع غلاصم .

(٢) ومن تتبع شعر أبى العلاء المعرى ، وسيرة ابن الراوندى ، علم أنهما على جانب عظيم من الإلحاد والزندقة إلا أن المعرى يتستر كثيراً بخلاف ابن الراوندى وقد ظهر فى زماننا

كتاباً سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة فسبحان من دمغه فأخذه وهو فى شرخ الشباب وكان يعترض على القرآن ويدعى عليه التناقض وعدم الفصاحة : وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن وأما أبو العلاء المعرى فأشعاره ظاهرة الإلحاد : وكان يبالغ فى عداوة الأنبياء ولم يزل متخبطاً فى تعثيره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه . وماخلا زمان من خلف للفريقين إلا أن جمرة المنبسطين قد خبت بحمد الله . فليس إلا باطنى مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس وأخساهم قدراً . وأردأهم عيشاً وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين فى التاريخ فلم نر التطويل بذلك والله الموفق .

﴿ الباب السادس فى ذكر تلبيس إبليس على العلماء فى فنون العلم ﴾

قال المصنف : إعلم أن إبليس يدخل على الناس فى التلبيس من طرق منها ظاهر الأمر . ولكن يغلب الانسان فى إيثار هواه فيغمض على علم يدله . ومنها غامض وهو الذى يخفى على كثير من العلماء . ونحن نشير إلى فنون من تلبيسه يستدل بمذكورها على مغفلها إذ حصر الطرق يطول والله العاصم .

﴿ ذكر تلبيسه على القراء ﴾ فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراآت الشاذة وتحصيلها فيفنى أكثر عمره فى جمعها ، وتصنيفها والأقراء بها ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات ، فربما رأيت إمام مسجد يتصدى للأقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة ، وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدى العلماء ويأخذ عنهم العلم (١) ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم

= بعض من يتمذهب بمذهبها . وانفرد الأعمى المتفلسف يؤلف فى سيرة أبى العلاء المعرى ويرغب الناس فى مذهبه وشعره ، ويروج مؤلفاته وينشرها بين الناس للاضلال ، وقد سرى هذا المذهب إليهم من رحلتهم إلى مدارس أوروبا ، وتلقيهم العلوم الفلسفية عن أعداء الدين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . كلا والله ، إنهم لفى سكرتهم يعمهون ، وفى شقاوتهم يسبحون ، والخذلان أنفسهم يحملون ولا يعلمون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(١) وفى نسخة وربما حمله حب التصدر حتى اجترىء بعين الجهل على أن يجيب فى فتوى بما يقع له وإن لم يجز فى مذهبه .

العمل به ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويطهر أخلاقها ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع ، ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم ، قال الحسن البصري أنزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملا يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به . ومن ذلك أن أحدهم في محرابه ما الشاذ ويترك المتواتر المشهور . والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس وإقبالهم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن . ومنهم من يجمع القراءات فيقول ملك مالك ملاك وهذا لا يجوز لأنه إخراج للقرآن عن نظمه . ومنهم من يجمع السجدات والتهليلات والتكبيرات وذلك مكروه . وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للختمة فيجمعون بين تضييع المال والتشبه بالمجوس والتسبب إلى اجتماع النساء والرجال بالليل للفساد ويريهم ابليس أن في هذا إعزازاً للإسلام وهذا تلبيس لأنه إنما إعزاز الشرع باستعمال المشروع . ومن ذلك أن منهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له اجازة منه . فقال أخبرنا تدليسا وهو يرى أن الأمر في ذلك قريب لكونه يروي القراآت ويراها فعل خير وينسى أن هذا كذب يلزمه اثم الكذابين . ومن ذلك أن المقرىء المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويتحدث مع من يدخل عليه والطلب لا يطيق جمع هذه الأشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان . وقد كان بعض المحققين يقول ينبغي ان يجتمع اثنان أو ثلاثة ويأخذوا على واحد ومن ذلك أن أقواما من القراء يتبارون بكثرة القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقيم شخصا ويقرأ في النهار الطويل ثلاث ختمات فان قصر عيب وإن أتم مدح . وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون في حق السعاة ويريهم ابليس أن في كثرة التلاوة ثوابا . وهذا من تلبيسه لأن القراءة ينبغي أن تكون على تمهل . وقال عز وجل (لتقرأه على الناس على مكث) وقال عز وجل (ورتل القرآن ترتيلا) ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الالحان وقد كانت إلى حد قريب . وعلى ذلك فقد كرهها أحمد ابن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعي . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو علي الحسين بن سعد الهمذاني نا أبو بكر أحمد بن علي بن لال ثنا الفضل ابن الفضل ثنا السياحي ثنا الربيع ابن سليمان قال قال الشافعي أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الألحان وتحسين الصوت .

قال المصنف وقلت إنما أشار الشافعي إلى ما كان في زمانه وكانوا يلحنون يسيراً فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الأغاني وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته . فان أخرج القرآن عن وضعه حرم ذلك ومن ذلك أن قوماً من القراء يتسامحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظراء وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام . لو جعل القرآن في إهاب ما احترق . وذلك من تلبيس إبليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر من عذاب من لم يعلم إذ زيادة العلم تقوى الحجة وكون القارىء لم يحترم ما يحفظ ذنب آخر . قال الله عز وجل : (أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) وقال في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) .

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو الحسن ابن زرقويه نا إسماعيل الصفار ثنا زكريا بن يحيي ثنا معروف الكرخي قال قال بكر بن حبيش : إن في جهنم لواديا تتعوذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات . وإن في الوادي لجبا يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات . وإن في الجب لحية يتعوذ الجب والوادي وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات . يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون : أي رب يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان . فقيل لهم : ليس من يعلم كمن لا يعلم . قال المصنف، فلنقتصر على هذا الأنموذج فيما يتعلق بالقراء .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على أصحاب الحديث ﴾

من ذلك أن قوما استفرغوا أعمارهم في سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الأسانيد العالية والمتون الغريبة وهؤلاء على قسمين قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد إلا أن أبليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم في أداء اللازم والتفقه في الحديث (فان قال قائل) فقد فعل هذا خلق كثير من السلف كيحيي بن معين وابن المديني والبخاري ومسلم فالجواب أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الاسناد وقلة الحديث

فاتسع زمانهم للأمرين فأما فى هذا الزمان فان طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت ومافى هذا الكتاب فى تلك الكتب وإنما الطرق تختلف فقل أن يمكن أحداً أن يجمع بين الأمرين فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدرى ما فيها ولو وقعت له حادثة فى صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقهه الذين يترددون إليه لسماع الحديث منه وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا : زوامل أسفار لايدرون ما معهم . فان أفلح أحدهم ونظر فى حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهم العامى الجاهل وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يسقى الرجل ماءه زرع غيره فقال جماعة ممن حضر قد كنا إذا فضل عنا ماء فى بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر الله . فما فهم القارىء ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا قال الخطابى : وكان بعض مشايخنا يروى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة باسكان اللام ، قال وأخبرنى : أنه بقى أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة قال فقلت له إنما هو الحلق جمع حلقة وإنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن تشتغل بالصلاة وينصت للخطبة فقال قد فرجت على وكان من الصالحين . وقد كان ابن صاعد كبير القدر فى المحدثين لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البزار نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال سمعت البرقانى يقول قال أبو بكر الأبهرى الفقيه قال كنت عند يحيى بن محمد ابن صاعد فجاءته امرأة فقالت : أيها الشيخ ما تقول فى بئر سقطت فيه دجاجة فماتت هل الماء طاهر او نجس فقال يحيى ويحك كيف سقطت الدجاجة إلى البئر قالت : لم تكن البئر مغطاة فقال يحيى : ألا غطيتها حتى لا يقع فيها شىء . قال الأبهرى فقلت يا هذه إن كان الماء تغير فهو نجس وإلا فهو طاهر .

قال المصنف : وكان ابن شاهين قد صنف فى الحديث مصنفات كثيرة أقلها جزء وأكثرها التفسير وهو ألف جزء وما كان يعرف من الفقه شيئا وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من يصير بما يفتى به ضحكة

فسئل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب فى الفتوى تقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى .

وأبأنا محمد بن أبى منصور نا أحمد بن الحسين بن خيرون نا أحمد بن محمد العتيق نا أبو عمر بن حياة سليمان بن اسحاق الجلاب ثنا ابراهيم الحربى قال بلغنى أن امرأة جاءت إلى على بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار ألف نفس فقالت له : حلفت بصدقة إزارى فقال لها بكم اشتريتيه قالت باثنين وعشرين درهما قال إذهبى فصومى اثنين وعشرين يوماً فلما مرت جعل يقول آه . آه غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار .

قال المصنف : قلت فانظروا إلى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط . واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ماتعلق من صفات البارى سبحانه على مقتضى الحس فشبهوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم وقد رأينا فى زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل . ومنهم من لا يحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الأعيان وإيثار ما ليس بمهم على المهم من تلبس إبليس .

القسم الثانى : قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق وإنما كان مرادهم العوالى والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدهم لقيت فلاناً ولى من الأسانيد ما ليس لغيرى وعندى أحاديث ليست عند غيرى . وقد كان دخل الينا إلى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده فى الرقة وهى البستان الذى على شاطىء دجلة فيقرأ عليه ويقول فى مجموعاته حدثنى فلان وفلان بالرقة ويوهم الناس انها البلدة التى بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب فى الأسفار لطلب الحديث . وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات ويقول حدثنى فلان من وراء النهر يوهم أنه قد عبر خراسان فى طلب الحديث وكان يقول حدثنى فلان فى رحلتى الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبه فى طلب الحديث فما بورك له ومات فى زمان الطلب .

قال المصنف : وهذا كله من الإخلاص بمعزل وإنما مقصودهم الرياسة والمباهاة ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه ليتفرد هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك فى مشيخته فحسب .

ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم فى بعض طلباً للتشفى ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذى استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ودليل مقصد خبث هؤلاء سكوتهم عمن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان على بن المدينى يحدث عن أبيه وكان ضعيفاً ثم يقول وفى حديث الشيخ ما فيه . أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعيد بن أبى صادق نا أبو عبد الله ابن باكويه ثنا بكر أن بن أحمد الجيلى قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سألت حارثاً المحاسبي عن الغيبة فقال : احذرها فإنها شر مكتسب وما ظنك بشيء يسلبك حسناتك فيرضى به خصماءك ومن تبغضه فى الدنيا كيف ترضى به خصمك يوم القيامة يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته إذ ليس هناك درهم ولا دينار فاحذرها وتعرف منبعها فإن منبع غيبة الهمج والجهال من اشفاء الغيظ والحية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة وتأويل ما لا يصح من الخبر ولو صح ما كان عوناً على الغيبة وهو قوله : أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس . ولو كان الخبر محفوظاً صحيحاً لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه وإنما جاءك مسترشد فقال : أريد أن أزوج كريمتى من فلان فعرفت منه بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو يجيئك رجل آخر فيقول لك أريد أن أودع مالى فلاناً وليس ذلك الرجل موضعاً للأمانه فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن أصلى خلف فلان أو أجعله إمامى فى علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته .

وأما منبع الغيبة من القراء والنساك فمن طريق التعجب يبدى عوار الأخ ثم يتصنع بالدعاء فى ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له . وأما منبع الغيبة

من الرؤساء والأساتذة فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة حتى يقول مسكين فلان ابتلى بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه . ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول : إنما أبديت لكم ذلك لتكثروا دعاءكم ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً أو تصريحاً فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكراهتها فقال عزوجل : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » . وقد روى عن النبي ﷺ فى ذلك أخبار كثيرة .

ومن تلبيس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال ﷺ : من روى عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين . ومن هذا الفن تدليسهم فى الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لأنه يجعل المنقطع فى مرتبة المتصل ومنهم من يروى عن الضعيف والكذاب فيغنى اسمه فربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه إلى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لأنه يثبت حكما بما لا يثبت به فأما إذا كان المروى عنه ثقة فنسبه إلى جده أو اقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد ردد الرواية عنه أو يكون المروى عنه فى مرتبة الراوى فيستحى الراوى من ذكره فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروى عنه ثقة والله الموفق .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الفقهاء ﴾

قال المصنف : كان الفقهاء فى قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفينا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن وأن نعتمد على الكتب المشهورة فى الحديث كسنن أبى داود ونحوها ثم استهانوا بهذا الأمر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها وبحديث لا يدرى أصحيح هو أم لا وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته إلى معرفة النقل وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شىء لا يعرفه ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدرى أصحيح هو أم لا . ولقد كانت معرفة هذا تصعب

ويحتاج الإنسان إلى السفر الطويل والتعب الكثير حتى تعرف ذلك فصنفت الكتب وتقررت السنن وعرف الصحيح من السقيم ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرة عن أن يطالعوا علم الحديث حتى إنى رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن ألفاظ فى الصحاح لا يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا ورأيته يحتج فى مسألة فيقول : دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن صحيح قد احتج به خصمه أن يقول هذا الحديث لا يعرف وهذا كله جناية على الإسلام .

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء . أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس فى خصام النظر فهمّ أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلبا للمفاخرات والمباهاة وربما لم يعرف الحكم فى مسألة صغيرة تعم بها البلوى .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم بإدخالهم فى الجدل كلام الفلاسفة ﴾
واعتمادهم على تلك الأوضاع

ومن ذلك إيثارهم للقياس على الحديث المستدل به فى المسألة ليتسع لهم المجال فى النظر . وإن استدل أحد منهم بالحديث هجن ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير . وهى محتاجة إلى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة . ومسائل الخلاف وإن كانت من علم الشرع إلا أنها لا تنهض بكل المطلوب . ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذى تمذهب له لم يمكنهم سلوك طريقهم . وينبغى أن يعلم أن الطبع لص فإذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طباعهم فصار مثلهم . فإذا نظر فى سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم وقد كان بعض

السلف يقول حديث يرق له قلبي أحب إليّ من مائة قضية من قضايا شريح . وإنما قال هذا لأن رقة القلب مقصودة ولها أسباب . ومن ذلك أنهم اقتصروا على المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقي علوم الشرع فترى الفقيه المفتي يسأل عن آية أو حديث فلا يدرى . وهذا غبن فأين الأنفة من التقصير . ومن ذلك أن المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب ، وقد كان مقصود السلف المناصحة باظهار الحق . وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل وإذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر لأن المقصود كان إظهار الحق فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها . فقيل له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة فقال هذا الذي يظهر لي فان ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فان المعترض لا يلزمني ذكر ذلك . ولقد صدق في أنه لايلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل ، بل في باب النصح وإظهار الحق يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه . وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق ، وهذا من أقبح القبيح لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق ، وقد قال الشافعي رحمه الله ما ناظرت أحداً فأنكر الحجة إلا سقط من عيني ، ولا قبلها إلا هبته : وما ناظرت أحدا فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت اليه . ومن ذلك أن طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن في النفس من حب الرياسة فاذا رأى أحدهم في كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابرة فان رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة ومن ترخصهم في الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم : تكلمت مع فلان فما قال شيئاً ، ويتكلم بما يوجب التشفي من غرض خصمه بتلك الحجة ، ومن ذلك أن إبليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فان ذكر لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم شيئا وينسون أن الحديث هو الأصل فان ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك اقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا في المشكلات كان أولى .

فقد أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندي نا محمد بن هبة الله الطبري ثنا محمد بن

الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدى ثنا سفيان ثنا عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبى ليلى . قال : أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترجع الى الأول قال يعقوب وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى أيضاً يقول : أدركت فى هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من يحدث حديثاً الا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا الا ود أن أخاه كفاه الفتيا .

قال المصنف : وقد روينا عن إبراهيم النخعى أن رجلا سأله عن مسألة فقال : ما وجدت من نسأله غيرى . وعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال . ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً هل ترون لى أن أفتى . فقالوا نعم . فقيل له فلو نهوك قال لو نهونى انتهيت . وقال رجل لأحمد بن حنبل : إنى حلفت ولا أدرى كيف حلفت قال ليتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك .

قال المصنف . وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عزوجل وخوفهم منه ومن نظر فى سيرتهم تأدب .

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء . مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك . وربما رخصوا لهم فيالا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه . الأول الأمير يقول لولا أنى على صواب لأنكر على الفقيه وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالى . والثانى العامى أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فان فلاناً الفقيه لا يبرح عنده . والثالث الفقيه فانه يفسد دينه بذلك .

وقد لبس إبليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول إنما ندخل لنشفع فى مسلم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح فى ذلك الشخص لتفرده بالسلطان . ومن تلبيس إبلبس عليه فى أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق . ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شيء وإن كانت من شبهة فتركها

أولى وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه إنفاقه فى إقامة الرعونة وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا مالا يستباح .

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء . ينقطعون على السلطان اقبالا على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس ، وفى الجلة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن فى أول الدخول ثم تتغير باكرامهم وانعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الانكار عليهم ، وقد كان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول : ما أخاف من إهانتهم لى انما أخاف من اكرامهم فيميل قلبي اليهم ؛ وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جهورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم اليهم فى الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم فى الدنيا فتعلموا العلوم التى تصلح للأمراء وحملوها اليهم لينالوا من دنياهم . ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء أن الأمراء كانوا قديما يميلون إلى سماع الحجج فى الأصول فأظهر الناس علم الكلام . ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة فى الفقه فمال الناس إلى الجدل . ثم بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين اليها ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصاص وقل الفقهاء .

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء : أن أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها سنين ولا يتشاغل ويقنع بما عرف أو ينتهى فى العلم فلا يبقى له فى الوقت حظ لأنه إنما جعل لمن يتعلم إلا أن يكون ذلك الشخص معيداً أو مدرساً فان شغله دائم ، ومن ذلك مايحكى عن بعض الأحداث المتفقهة من الانبساط فى المنهيات فبعضهم يلبس الحرير ويتحلى بالذهب ويحال على المكس فيأخذه إلى غير ذلك من المعاصى . وسبب انبساط هؤلاء مختلف . فمنهم من يكون فاسد العقيدة فى أصل الدين وهو يتفقه ليستر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو ليناظر . ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك إلى الكبر والعجب وإنما يتقوم الانسان بالرياضة ومطالعة سير السلف وأكثر القوم فى بعد عن هذا وليس عندهم إلا مايميز

الطبع على شموخه فحينئذ يسرح الهوى بلا زاد . ومنهم من يلبس عليه إبليس بأنك عالم وفقيه ومفت والعلم يدفع عن أربابه وهيهات فان العلم أولى أن يحاجه ويضاعف عذابه كما ذكرنا فى حق القراء . وقد قال الحسن البصرى : إنما الفقيه من يخشى الله عز وجل . قال ابن عقيل : رأيت فقيها خراسانيا عليه حرير وخواتم ذهب فقلت له. ما هذا فقال خلع السلطان وكمد الأعداء فقلت له بل هو شماتة الأعداء بك إن كنت مسلماً لأن إبليس عدوك وإذا بلغ منك مبلغك ألبسك ما يسخط الشرع فقد أشمته بنفسك وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحمن يا مسكين . خلع عليك السلطان فانخلعت به من الإيمان وقد كان ينبغى أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى رماكم الله بخزيه حيث هو تم أمره هكذا ليتك قلت هذه رعونات الطبع الآن تمت محنتك لأن عدوانك دليل على فساد باطنك .

ومن تلبيسه عليهم : أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون من هؤلاء هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لايحضروا فى موضع يلين فيه القلب ويخشع . والقصاص لايذمون من حيث هذا الاسم لأن الله عز وجل قال « نحن نقص عليك أحسن القصص » وقال . « فاقصص القصص » وإنما ذم القصاص لأن الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده . وربما اعتمد على ما أكثره محال فأما إذا كان القصص صدقاً ويوجب وعظا فهو ممدوح وقد كان أحمد بن حنبل يقول : وما أحوج الناس إلى قاص صدوق .

﴿ ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص ﴾

قال المصنف : كان الوعاظ فى قديم الزمان علماء فقهاء . وقد حضر مجلس عبيد ابن عمير عبد الله بن عمر رضى الله عنه . وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور وعندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص ومايعجب الجهله وتنوعت البدع فى هذا الفن .

وقد ذكرنا آفاتهم فى كتاب القصاص والمذكرين . إلا أنا نذكر هنا جملة فمن ذلك :
أن قوماً منهم كانوا يصنعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس عليهم إبليس : بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا افتيات منهم على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج إلى تتمة ثم نسوا قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . ومن ذلك أنهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية فى العشق . ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد الإشارة إلى محبة الله عز وجل ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى فيضل القاص ويضل . ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما فى قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتسمح النفس بفضل بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذباً فقد خسر الآخرة . ومن كان صادقاً لم يسلم صدقه من رياء يخالطه . ومنهم من يتحرك الحركات التى يوقع بها على قراءة الألحان والألحان التى قد أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهى إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة والقارىء يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيديه وإيقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب لما فى النفوس من دفائن الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس طيباً ويشيرون بالطيبة إلى مالا يجوز . ومنهم من يجرى فى مثل تلك الحالة التى شرحناها لكنه ينشد أشعار النوح على الموتى ويصف ما يجرى لهم من البلاء ويذكر الغربة ومن مات غريباً فيبكى بها النساء ويصير المكان كالمآتم وإنما ينبغى أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لاما يوجب الجزع ، ومنهم من يتكلم فى دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه فلبس عليه إبليس : إنك من جملة الموصوفين بذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ماتصف وسلكت الطريق . وكشف هذا التلبيس أن الوصف علم والسلوك غير العلم . ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد بأشعار العشق وغرضه أن يكثر فى مجلسه الصياح ولو على كلام فاسد . وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها وأكثر كلامهم اليوم فى موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب فمتى يرجع صاحب الزنا

ومستعمل الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها هيهات هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا نفقت سلعهم لأن الحق ثقيل والباطل خفيف . ومنهم من يحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فربما تاب الرجل منهم وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقيت عائلته لاشيء لهم . ومنهم من يتكلم فى الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصى ثم يقوى ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفارهة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله .

(فصل) وقد يكون الوعظ صادقاً قاصداً للنصيحة إلا منهم من شرب الرئاسة فى قلبه مع الزمان فيجب أن يعظم وعلامته أنه إذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق .

(فصل) ومن القصاص من يخلط فى مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجداً على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه ولقد ظهر فى زماننا هذا من القصاص مالا يدخل فى التلبيس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشاً يستمنحون به الأمراء والظلمة والأخذ من أصحاب المكوس والتكسب به فى البلدان ، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيبكى النسوة ولا يحث على الصبر .

(فصل) وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق فيقول له : مثلك لا يعظ وإنما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس إبليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول : إنك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة فربما دخل الرياء فى قولك وطريق الوحدة أسلم . ومقصوده بذلك سد باب الخير . وعن ثابت قال : كان الحسن فى مجلس فقيل للعلاء تكلم فقال أو هناك أنا ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته . قال ثابت : فأعجبنى . قال ثم تكلم الحسن وإننا هنالك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحداً بخير ولم ينهه عن شر .

﴿ ذكر تلبيسه على أهل اللغة والأدب ﴾

قال المصنف : قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من المهمات اللازمة التى هى فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب . وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه . فأذهبوا الزمان كله فى علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها فان الإنسان إذا فهم الكلمة فينبغى أن يترقى إلى العمل بها إذهى مرادة لغيرها . فترى الإنسان منهم لايكاد يعرف من آداب الشريعة إلا القليل ولا من الفقه ولايلتفت إلى تزكية نفسه وصلاح قلبه . ومع هذا ففيهم كبر عظيم وقد خيل لهم إبليس أنكم من علماء الإسلام لأن النحو واللغة من علوم الإسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز . ولعمرى أن هذا لا ينكر ولكن معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان وما يحتاج إليه من اللغة فى تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل لا يحتاج إليه وإنفاق الزمان فى تحصيل هذا الفاضل وليس بهم مع ترك المهم غلط وإيثاره على ماهو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن ، ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسنا . ولكن العمر قصير فينبغى إيثار الأهم والأفضل .

(فصل) ومما ظنوه صوابا وهو خطأ ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس قال : قيل لفقيه العرب هل يجب على الرجل إذا أشهد الوضوء قال : نعم . قال والإشهاد أن يمذى الرجل .

قال المصنف : وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية فى الخطأ لأنه متى كان الاسم مشتركا بين مسميين كان إطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ مثاله أن يقول : المستفتى . ما تقول : فى وطء الرجل زوجته فى قرئها فإن القرء يقع عند اللغويين على الاطهار وعلى الحيض ، فيقول الفقيه : يجوز إشارة إلى الطهر أولايجوز إشارة إلى الحيض خطأ ، وكذلك لو قال السائل : هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر ، لم يجز إطلاق الجواب فما ذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين أحدهما أنه لم يستفصل فى المحتملات والثانى أنه صرف الفتوى إلى أبعد المحتملات وترك الأظهر وقد استحسنوا هذا وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل .

﴿ فصل ﴾ ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية ولم يجد الطبع صاداً عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم الطباع الى هوة الهوى فانبث شرع البطالة يعبث فقل أن ترى منهم متشاغلا بالتقوى أو ناظراً فى مطعم فان النحو يغلب طلبه على السلاطين فيأكل النحاة من أموالهم الحرام كما كان أبو على الفارسى فى ظل عضد الدولة وغيره . وقد يظنون جواز الشىء وهو غير جائز لقلة فقههم كما جرى للزجاج أبى اسحاق ابراهيم بن السرى ، قال : كنت أؤدب القاسم بن عبد الله فأقول له ان بلغت الى مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بى : فيقول : ما أحببت فأقول له : أن تعطينى عشرين ألف دينار ، وكانت غاية أمنيتى فما مضت إلا سنون حتى ولى القاسم الوزارة وأنا على ملازمتى له ، وقد صرت نديمه قدعتنى نفسى الى إذكاره بالوعد ثم هبته فلما كان فى اليوم الثالث من وزارته قال لى : يا أبا اسحاق : لم أرك أذكرتنى بالنذر ، فقلت عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج الى إذكار لنذر عليه فى أمر خادم واجب الحق ، فقال لى : انه المعتضد ، ولولاه ما تعاظمنى دفع ذلك اليك فى مكان واحد ولكن أخاف أن يصير لى معه حديث فاسمح بأخذه متفرقا فقلت له افعل ، فقال : اجلس للناس وخذ رقاعهم فى الحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمتنع عن مسائلتى شيئاً تخاطب فيه صحيحا كان أو محالا إلى أن يحصل لك مال النذر ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها وربما قال لى كم ضمن لك على هذا فأقول كذا وكذا فيقول غبنت هذا يساوى كذا وكذا فاستزد فاراجع القوم ولا أزال أماكسهم ويزيدوننى حتى أبلغ الحد الذى رسمه . قال : فعرضت عليه شيئاً عظيما فحصل عندى عشرون ألف دينار وأكثر منها فى مدة مديدة . فقال لى بعد شهور . يا أبا إسحاق حصل مال النذر : فقلت : لا ، فسكت وكنت أعرض ثم يسألنى فى كل شهر أو نحوه هل حصل المال فأقول لا خوفا من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندى ضعف المال ، وسألنى يوماً فاستحييت من الكذب المتصل ، فقلت : قد حصل ذلك بسعادة الوزير فقال فرجت والله عنى فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك ، قال ثم أخذ الدواة ووقع لى إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمى

فأوماً إلىّ مات ما معك ليستدعى منى الرقاع على الرسم فقلت ما أخذت من أحد رقعة
لأن النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير فقال ياسبحان الله أتراني كنت
أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاه
وغدو ورواح لى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندى
أو تغير رتبتك أعرض علىّ رسمك وخذ بلا حساب ، فقبلت يده وباكرته من غد
بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأثلت مالى هذا .

قال المصنف انظروا مايصنع قلة الفقه : فان هذا الرجل الكبير القدر فى معرفته النحو
واللغة لو علم أن هذا الذى جرى له لم يجز شرعاً ما حكاه وتبجح به . فان إيصال
الظلامات واجب ولا يجوز أخذ البرطيل عليها ولا على شىء مما نصب الوزير له من
أمور الدولة وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الشعراء ﴾

قال المصنف : وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الأدب وأنهم قد خصوا بفطنة
تميزوا بها عن غيرهم . ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللكم . فتراهم يهيمون
فى كل واد من الكذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والإقرار بالفواحش .
وأقل أحوالهم أن الشاعر يمدح الإنسان فيخاف أن يهجوه فيعطيه اتقاء شره أو يمدحه
بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين وجميع ذلك من جنس المصادرة وترى خلقاً
من الشعراء وأهل الأدب لايتحاشون من لبس الحرير . والكذب فى المدح خارجا
عن الحد . ويحكون اجتماعهم على الفسق وشرب الخمر وغير ذلك . ويقول أحدهم :
اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا - هيهات هيهات ليس الأدب إلا
مع الله عز وجل باستعمال التقوى له . ولا قدر للفطن فى أمور الدنيا ولا تحسن العبارة
عند الله إذا لم يتقه . وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا
وأخذوا فى لوم الأقدار كقول بعضهم :

لئن سمت همتى فى الفضل عالية ... فان حظى ببطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهر بى ما لا أسرّ به ... وكم يسىء زمان جائر حنق

وقد نسى هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرزاقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم

مستوجبين السلامة من البلاء ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من امتثال أوامر الشرع فقد ضلت فطنتهم فى هذه الغفلة .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الكاملين من العلماء ﴾

قال المصنف : إن أقواما علت هممهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك . فأتاهم إبليس بخفى التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم . فنهم من يستفزه لطول عنائه فى الطلب فحسن له اللذات وقال له إلى متى هذا التعب فأرح جوارحك من كلف التكاليف وافسح لنفسك فى مشتهاها . فان وقعت فى زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة . وأورد عليه فضل العلماء . فان خذل هذا العبد وقبل هذا التلبيس يهلك وإن وفق فينبغى له أن يقول : جوابك من ثلاثة أوجه . أحدها إنه إنما فضل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى . وإذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه . والثانى أن يعارضه بما ورد فى ذم من لم يعمل بالعلم لقوله صلى الله عليه وسلم « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وحكايته صلى الله عليه وسلم عن رجل يلقى فى النار فتندلق أقتابه فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه وقول أبى الدرداء رضى الله عنه ويل لمن يعلم مرة وويل لم علم ولم يعمل سبع مرات . والثالث أن يذكر له عقاب من هالك من العلماء التاركين للعمل بالعلم كابليس وبلعام . ويكفى فى ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى « كمثل الحمار يحمل أسفاراً » .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على أقوام من المحكمين فى العلم والعمل من جهة أخرى فحسن لهم الكبر بالعلم ، والحسد للنظر ، والرياء لطلب الرياسة فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم . وتارة يقوى حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ — وعلاج هذا لمن وافق إدمان النظر فى اثم الكبر والحسد والرياء وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها . ومن نظر فى سير السلف من العلماء العاملين استقر نفسه فلم يتكبر . ومن عرف الله لم يراء ومن لاحظ جريان أقدار على مقتضى إرادته لم يحسد .

وقد يدخل إبليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول : طلبكم للرفعة ليس بتكبر لأنكم نواب الشرع فانكم تطلبون أعزاز الدين ودحض أهل البدع واطلاقكم اللسان فى الحساد غضب للشرع إذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنونه رياء فليس برياء لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى أكثر من اقتدائهم بقوله إذا وصف .

وكشف هذا التلبيس : أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد فى المجلس فوقه أو قل حاسد عنه شيئاً لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه وإن كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم . وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد ولا يصلح أن يجعل طريقاً لدعاية الناس وقد كان أيوب السختيانى إذا حدث بحديث فرق ومسح وجهه وقال : ما أشد الزكام ، وبعد هذا فالأعمال بالنيات والناقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين إذا اغتيبوا عنده فرح قلبه . وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه . أحـــدها الفرح فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب . والثانى : لسروره بثلب المسلمين . والثالث : أنه لا ينكر .

(فصل) وقد لبس إبليس على الكاملين فى العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم فى تصانيف العلوم ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف .

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إليه أو قرئت على نظيره فى العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم وقد قال بعض السلف ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن ينسب إلى ومنهم من يفرح بكثرة الاتباع ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه . وما هذه صفة المخلص فى التعليم لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى فإذا شفى بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر . وقد ذكرنا آنفاً حديث بن أبى ليلى و نعيده بإسناد[1] آخر ، عن عبدالرحمن بن ليلى قال أدركت عشرين ومائة من أصحاب

(١) كذا فى الأصول بدون ذكر السند .

النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة فيأتيهم بخفي من تلبيسه . بأن يقول له : ما لقيت مثلك ما أعرفك بمداخلي ومخارجي فان سكن إلى هذا هلك بالعجب وإن سلم من المسالمة له سلم . وقد قال السرى السقطي : لو أن رجلا دخل بستاناً فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار فخاطبه كل طائر بلغته وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان في أيديها أسيراً : والله الهادي لا إله إلا هو .

﴿ الباب السابع في تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين ﴾

قال المصنف : قد لبس عليهم إبليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها . فالوجه الأول أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ماولاهم سلطانه ولا جعلهم نواباً عنه في عباده . وينكشف هذا التلبيس بأنهم إن كانوا نواباً عنه في الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيه . فحينئذ يحبهم لطاعته . فأما صورة الملك والسلطنة فانه قد أعطاها خلقاً ممن يبغضه وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر إليه . وسلط جماعة من أولئك على الأولياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم . ودخل ذلك في قوله تعالى : « إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً » . والثاني : أنه يقول لهم الولاية تفتقر إلى هيبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بآرائهم فيتلفون الدين والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين فاذا خالطوا مؤثري الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها ولا يرى ما يقاومها ولا ما يزجره عنها وذلك سبب الهلاك . والثالث : أنه يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل إليهم أهل المظالم . ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم . وقد روى أبو مريم الأسدي عن النبي ﷺ قال : من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلته وفقره . والرابع : أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى . فيجتلب الدعاء عليهم بظلمه الناس ،

الفساق بتفرقتها لخانوا ضمن . والخامس : أنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يحل قتله . ويوهمهم أن هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمام ونحن نتمها بآرائنا .

وهذا من أقبح التلبيس لأن الشريعة سياسة إلهية ومحال أن يقع فى سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق قال الله عز وجل . « مافرطنا فى الكتاب من شيء » . وقال : « لا معقب لحكمه » . فدعى السياسة مدعى الخلل فى الشريعة . وهذا يزاحم الكفر . وقد روينا عن عضد الدولة أنه كان يميل الى جارية فكانت تشغل قلبه فأمر بتغريقها لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك . وهذا هو الجنون المطبق لأن قتل مسلم بلا جرم لا يحل . واعتقاده أن هذا جائز كفر وأن اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع . والسادس أنه يحسن لهم الانبساط فى الأموال ظانين أنها بحكمهم .

وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط فى مال نفسه فكيف بالمستأجر فى حفظ مال غيره . وإنما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط قال ابن عقيل . وقد روى عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً فأعطاه خمسين ألفا وجارتين . قال وهذا مما يروى على وجه المدح لهم وهو غاية القدح فيهم لأنه تبذير فى بيت مال المسلمين . وقد يزين لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير . والسابع أنه يحسن لهم الانبساط فى المعاصى ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب . وجواب هذا أن يقال : إنما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبل . وهذ واجب عليهم . وما انبسطوا فيه من المعاصى منهى عنه فلا يرفع هذا ذلك . والثامن أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة . ولو حقق النظر لرأى اختلالا كثيراً . وقد روينا عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد . قال : رأيت على بن عيسى الوزير وقد وكل بدور البطيخ رجلا برزق يطوف على باعة العنب فإذا اشترى أحد سلة عنب خمرى لم

يعرض له وإن اشترى سلتين فصاعداً طرح عليها الملح لئلا يتمكن من عملها خمراً . قال : وأدركت السلاطين يمنعون المنجمين من القعود فى الطرق حتى لا يفشو العمل بالنجوم . وأدركنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة ولا شعر إلى أن يدى بحكم العجم . والتاسع أنه يحسن لهم استجلاب الأموال واستخراجها بالضرب العنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستحلافه وإنما الطريق إقامة البينة على الخائن . وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً كتب له : أن قوماً خانوا فى مال الله ولا أقدر على استخلاص ما فى أيديهم إلا أنالهم بعذاب . فكتب اليه : لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب إلىّ من أن ألقاه بدمائهم . والعاشر أنه يحسن لهم التصدق بعد الغصب . يريهم أن هـذا يمحو ذلك . ويقول : إن درهما من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغصب . وهذا محال لأن إثم الغصب باق ودرهم الصدقة إن كان من الغصب لم يقبل وإن كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضا إثم الغصب لأن إعطاء الفقير لايمنع تعلق الذمة بحق آخر . والحادى عشر : أنه يحسن لهم مع الاصرار على المعاصى زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء ويريهم أن هذا يخفف ذلك الإثم . وهذا الخير لايدفع ذلك الشر . وفى الحديث عن الحسين بن زياد قال سمعت منيعاً يقول مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر له ذلك . فقام مالك فمشى معه إلى العشار فلما رأوه . قالوا يا أبا يحيى ألا بعثت الينا فى حاجتك قال : حاجتى أن تخلوا عن سفينة هذا الرجل . قالوا قد فعلنـا قال وكان عندهم كوز يجعلون مايأخذون من الناس من الدراهم فيه . فقالوا : ادع لنـا يا أبا يحيى قال : قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم : أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف . والثانى عشر : أن من الولاة من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم إبليس بأن الإثم على الأمير لاعليك . وهذا باطل لأنه معين على المعاصى عاص فإن رسول الله ﷺ . لعن فى الخمر عشرة . ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه . ومن هذا الفن أن يجبى المال لمن هو فوقه وقد علم أنه يبذر فيه ويخون فهذا معين على الظلم أيضا . وفى الحديث بإسناد مرفوع إلى جعفر ابن سليمان . قال : سمعت مالك بن دينار يقول : كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة والله الهادى إلى الصواب .

﴿ الباب الثامن ﴾

﴿ ذكر تلبيس إبليس على العباد فى العبادات ﴾

قال المصنف : اعلم أن الباب الأعظم الذى يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل فهو يدخل منه على الجهال بأمان . وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم وقد قال الربيع بن خثيم : تفقه ثم اعتزل .

فأول تلبيســـــه عليهم إيثارهم التعبد على العلم والعلم أفضل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمل . وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح قال مطرف بن عبد الله : فضل العلم خير من فضل العبادة . وقال يوسف بن أسباط : باب من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة ، وقال المعافى بن عمران . كتابة حديث واحد أحب إلى من صلاة ليلة .

قال المصنف : فلما مر عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن إبليس من التلبيس عليهم فى فنون التعبد .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الاستطابة والحديث ﴾

من ذلك . أنه يأمرهم بطول المكث فى الخلاء وذلك يؤذى الكبد وإنما ينبغى أن يكون بمقدار . ومنهم من يقوم فيمشى ويتنحنح ويرفع قدماً ويحط أخرى وعنده أنه يستنقى بهذا وكلما زاد فى هذا نزل البول ـ وبيان هذا أن الماء يرشح إلى المثانة ويجمع فيها فاذا تهيأ الإنسان للبول خرج ما اجتمع فاذا مشى وتنحنح وتوقف رشح شىء آخر فالرشح لا ينقطع وإنما يكفيه أن يحتلب مافى الذكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء : ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير وإنما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب فان استعمل الأحجار فيما لم يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار إذا أنقى بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعاً لا متبع والله الموفق .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الوضوء ﴾

منهم من يلبس عليه فى النية فتراه يقول : أرفع الحدث . ثم يقول : أستبيح الصلاة ثم يعيد فيقول : أرفع الحدث . وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع لأن النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ أمر لا يحتاج اليه ثم لامعنى لتكرار اللفظ . ومنهم من يلبس

عليه بالنظر فى الماء المتوضأ به . فيقول من أين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كل احتمال بعيد : وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الأصل بالاحتمال . ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة . الإسراف فى الماء ، وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب ، والتعاطى على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل . والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث ، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة .

وتلبيس إبليس على هذا : بأنك فى عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة ، ولو تدبر أمره لعلم أنه فى مخالفة وتفريط ، وقد رأينا من ينظر فى هذه الوساوس ولا يبالى بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الأمر ، وفى الحديث عن عبد الله ابن عمرو بن العاص . أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ . فقال : ما هذا السرف ياسعد ، قال : أفى الوضوء سرف ، قال : نعم وإن كنت على نهر جار ، وفى الحديث عن أبى عن النبى ﷺ ، قال : للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه ، أو قال : فاحذووه ، وعن الحسن رضى الله عنه قال . شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس فى الوضوء ، وبإسناد مرفوع إلى أبى نعامة إن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إنى أسألك الفردوس وأسألك ، فقال عبد الله . سل الله الجنة وتعوذ به من النار ، فإنى سمعت النبى ﷺ يقول : سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الدعاء والطهور ، وعن ابن شوذب ، قال : كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول : يتوضأ أحدهم بقربة ويغتسل بمزادة صبا صبا ، ودلكا دلكا ، تعذيبا لأنفسهم وخلافا لسنة نبيهم ﷺ ، وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول ، أجلّ محصول عند العقلاء الوقت ، وأقل متعبد به الماء . وقد قال صلى الله عليه وسلم ، صبوا على بول الأعرابى ذنوبا من ماء ، وقال فى المنى أمطه عنك بإذخرة ، قال : وفى الحذاء طهوره بأن يدلك بالأرض ، وفى ذيل المرأة يطهره ما بعده ، وقال : يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام . وكان يحمل بنت أبى العاص بن الربيع فى الصلاة . ونهى الراعى عن إعلام السائل له عن الماء وما يرده . وقال ما أبقيت لنا طهور : وقال : ياصاحب الماء لا تخبره . وقد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب وركب الحمار معروريا . وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء ، وتوضأ من سقاية المسجد . ومعلوم حال

الأعراب الذين يأتى أحدهم من البادية كأنه بهيمة ، أو ما سمعت أن أحدهم اقدم على البول فى المسجد كل ذلك لتعليمنا واعلامنا أن الماء على أصل الطهارة ، وتوضأ من غدير كأن ماءه نقاعة الحناء ، فاما قوله استنزهوا البول فإن التنزه حداً معلوماً وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء ، فاما الاستنثار فإنه إذا علق نما وانقطع الوقت بمالا يقضى بمثله الشرع .

قال المصنف : وكان أسود بن سالم وهو من كبار الصالحين يستعمل ماءاً كثيراً فى وضوئه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه ، فقال : نمت ليلة فإذا بهاتف يهتف بى يا أسود ما هذا . يحيى بن سعيد الأنصارى حدثنى عن سعيد بن المسيب . قال : إذا جاوز الوضوء ثلاثاً لم يرفع إلى السماء . قال : قلت لا أعود ، فأنا اليوم يكفينى كف من ماء .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الأذان ﴾

ومن ذلك التلحين فى الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة لأنه يخرجه عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء . ومنه أنهم يخلطون أذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ ويجعلون الأذان وسطاً فيختلط . وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان . وقد رأينا من يقوم بالليل كثيراً على المنارة فيعظ ويذكر . ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين قراءتهم وكل ذلك من المنكرات .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الصلاة ﴾

فمن ذلك تلبيسه عليهم فى الثياب التى يستتر بها فترى أحدهم يغسل الثوب الطاهر مراراً وربما لمسه مسلم فيغسله . ومنهم من يغسل ثيابه فى دجلة لا يرى غسلها فى البيت يجزىء ، ومنهم من يدليها فى البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابة تعمل هذا بل قد صلوا فى ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطئتهم وأكسيتهم . ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة ، ومنهم من ترك الصلاة جماعة لأجل مطر يسير يخاف أن ينتضح عليه ـ ولا يظن ظان أنى أمتنع من النظافة والورع ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضيعة للزمان هى التى نهى عنها . ومن ذلك تلبيسه عليهم فى نية الصلاة فمنهم من

يقول أصلى صلاة كذا ثم يعيد هذا ظناً منه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض وإن لم يرض اللفظ . ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فإذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه ـ فليت شعرى ماالذى أحضر النية حينئذ وماذاك إلاالآن إبليس أراد أن يفوته الفضيلة . وفى الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة . وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله أو بالطلاق وهـــذه كلها تلبيسات إبليس . والشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات وما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه شيء من هذا . وقد بلغنا عن أبى حازم أنه دخل المسجد فوسوس اليه إبليس أنك تصلى بغير وضوء فقال ما بلغ نصحك إلى هذا .

وكشف هذا التلبيس أن يقال الموسوس : إن كنت تريد إحضار النية فالنية حاضرة لأنك قمت لتؤدى الفريضة وهذه هى النية ومحلها القلب لا اللفظ إن كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلته صحيحا فما وجه الإعادة أفتراك تظن وقد قلت إنك ماقلت هذا مرض .

قال المصنف : وقد حكى لى بعض الأشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلا لقيه فقال : إنى أغسل العضو وأقول ما غسلته . وأكبر وأقول ما كبرت فقال له ابن عقيل : دع الصلاة فإنها ما تجب عليك . فقال قوم لابن عقيل : كيف تقول هذا . فقال لهم قال النبى صلى الله عليه وسلم : رفع القلم عن المجنون حتى يفيق . ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة .

قال المصنف : واعلم أن الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل وجهل بالشرع . ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال : نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول هذا العالم لأجل علمه مقبلا عليه بوجهى : سفه فى عقله فإن هذا قد تصور فى ذهنه منذ رأى العالم ، فقيام الإنسان إلى الصلاة ليؤدى الفرض أمر يتصور فى النفس فى حالة واحدة لا يطول زمانه وإنما يطول زمان نظم هذه الألفاظ والألفاظ لا تلزم والوسواس جهل محض . وإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والأدائية والفريضة فى حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال . ولو كلف نفسه ذلك فى القيام للعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا عرف النية . ثم إنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير مالم يفسخها . فما وجه هذا التعب فى إلصاقها بالتكبير

على أنه إذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير . وعن مسور قال : أخرج إلى معن بن عبد الرحمن كتابا وحلف بالله أنه خط أبيه وإذا فيه قال عبد الله : والذى لا إله غيره ما رأيت أحداً كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ ولا رأيت بعده أشد خوفا عليهم من أبى بكر . وإنى لأظن عمر كان أشد أهل الأرض خوفا عليهم .

(فصل) ومن الموسوسين من إذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقى صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط . وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يراد للدخول فى العبادة . فكيف تهمل العبادة وهى كالدار ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب .

(فصل) ومن الموسوسين من تصح له التكبيرة خلف الإمام وقد بقى من الركعة يسير فيستفتح ويستعيذ فيركع الإمام . وهذا تلبيس أيضاً لأن الذى شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون والذى تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغى أن يقدم عليه سنة .

قال المصنف : وقد كنت أصلى وراء شيخنا أبى بكر الدينورى الفقيه فى زمان الصبا فرآنى مرة أفعل هذا فقال : يابنى إن الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام ولم يختلفوا فى أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن .

(فصل) وقد لبس إبليس على قوم فتركوا كثيراً من السنن لواقعات وقعت لهم فنهم من كان يتخلف عن الصف الأول ويقول إنما أراد قرب القلوب ومنهم من لم ينزل يداً على يد فى الصلاة . وقال : أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس فى قلبى — وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين . وهذا أمر أوجبه قلة العلم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : لو يعلم الناس مالهم فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا . وفى أفراد مسلم من حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وأما وضع اليد على اليد فسنة روى أبو داود فى سننه أن ابن الزبير قال: وضع اليد على اليد من السنة . وإن ابن مسعود كان يصلى فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده اليمنى على اليسرى .

قال المصنف : ولا يكبرن عليك انكارنا على من قال : أراد قرب القلوب ولا أضع

.أ على يد - وإن كان من الأكابر . فإن الشرع هو المنكر لا نحن . وقد قيل لأحمد بن حنبل رحمة الله عليه أن ابن المبارك يقول : كذا وكذا . فقال : إن ابن المبارك ينزل من السماء . وقيل له قال : إبراهيم بن أدهم . فقال : جئتمونى ببنيات الطريق عليكم بالأصل . فلا ينبغى أن يترك الشرع لقول معظم فى النفس . فإن الشرع أعظم والخطأ فى التأويل على الناس يجرى . ومن الجائز أن تكون الأحاديث لم تبلغه .

(فصل) وقد لبس إبليس على بعض المصلين فى مخارج الحروف فتراه يقول : الحمد الحمد . فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة . وتارة يلبس عليه فى تحقيق التشديد . وتارة فى إخراج ضاد المغضوب . ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب . وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة فى الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه الوساوس من إبليس . وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء أن سهل ابن أبى أمامة حدثه : أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضى الله عنه وهو يصلى صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة كصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شىء تنفلته . قال : إنها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديورات « رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » وفى أفراد مسلم من حديث عثمان بن أبى العاص قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها على . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك الشيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله ثلاثاً واتفل عن يسارك . ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى .

(فصل) وقد لبس إبليس على خلق كثير من جهلة المتعبدين فرأوا أن العبادة هى القيام والقعود فحسب . وهم يدأبون فى ذلك ويغلون فى بعض واجباتهم ولا يعلمون وقد تأملت جماعة يسلمون إذا سلم الإمام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شىء وذلك لا يحمله الإمام عنهم . ولبس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويكثرون

القراءة ويتركون المسنون فى الصلاة ويرتكبون المكروه فيها . وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنعل بالنهار ويجهر بالقراءة فقلت له : إن الجهر بالقراءة بالنهار ومكروه . فقال لى : أما أطرد النوم عنى بالجهر . فقلت له : إن السنن لا تترك لأجل سهرك ومتى غلبك النوم فنم فان النفس عليك حقا . وعن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهر بالقراءة فى النهار فارجموه بالبعر .

(فصل) وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثروا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة . أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته . ولقد رأيت شيخا من المتعبدين يقال له : حسين القزوينى يمشى كثيراً من النهار فى جامع المنصور فسألت عن سبب مشيه . فقيل لى : لئلا ينام . فقلت : هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل . أما الشرع فان النبى ﷺ قال : إن لنفسك عليك حقا فقم ونم . وكان يقول : عليكم هديا قصداً فانه من يشاد هذا الدين يغلبه . وعن أنس بن مالك قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال : ما هذا . قالوا : لزينب تصلى فاذا كسلت أو فترت أمسكت به . فقال : حلوه . ثم قال : ليصلى أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإنه إذا صلى وهو ينعس لعله يذهب ليستغفر فيذهب فيسب نفسه .

قال المصنف : هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وانفرد بالذى قبله البخارى . وأما العقل فان النوم يجدد القوى التى قد كلت بالسهر فتى دفعه الإنسان وقت الحاجة إليه أثر فى بدنه وعقله فنعوذ بالله من الجهل (فان قال قائل) فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل . فالجواب : أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر فى الجماعة . وكانوا يستعينون بالقائلة مع قلة المطعم وصح لهم ذلك . ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها فسنته هى المتبوعة .

يقدرون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة ولعل أكثرهم لم تكن له عائلة ولا حاجة الى الكسب ، ثم ان فيهم من فعل هذا فى آخر عمره على أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أفضل من ذلك قطع هذا الحديث ، وقد داوم جماعة القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته ومنهم من ذهبت عينه ، ومنهم من نشف دماغه وهذا تفريط فى حق النفس الواجب وحمل عليها ما لا تطيق فلا يجوز .

(فصل) وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلا وان أفطر أخفى افطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفى الرياء ولو أراد الاخلاص وستر الحال لأفطر بين يدى من قد علم أنه يصوم ثم علم أنه يصوم ثمّ عاد الى الصوم ولم يعلم به ، ومنهم من يخبر بما قد صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت ، ويلبس عليه بأنك انما تخبر ليقتدى بك والله أعلم بالمقاصد ، قال سفيان الثورى رضى الله عنه ، ان العبد ليعمل العمل فى السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر الى ديوان العلانية وفيهم من عادته صوم الإثنين والخميس فإذا دعى الى طعام ، قال : اليوم الخميس ، ولو قال أنا صائم كانت محنة وإنما قوله اليوم الخميس معناه أنى أصوم كل خميس ، وفى هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار لكونه صائما وهم مفطرون ، ومنهم من يلازم الصوم ولا يبالى على ماذا أفطر ، ولا يتحاشى فى صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول كلمة وقد خيل له إبليس أن صومه يدفع إثمه ، وكل هذا من التلبيس .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الحج ﴾

قال المصنف : قد يسقط الإنسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لا عن رضاء الوالدين وهذا خطأ ، وربما خرج وعليه ديون او مظالم وربما خرج للنزهة وربما حج بمال فيه شبهة . ومنهم من يحب أن يتلقى ويقال الحاج وجمهورهم يضيع فى الطريق فرائض من الطهارة والصلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية وإبليس يريهم صورة الحج فيغرهم وإنما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالأبدان . وانما يكون ذلك مع القيام بالتقوى وكم من قاصد الى مكة همته عدد حجاته فيقول

لى عشرون وقفة ، وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع فى تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل إليه ممن كان وربما قال أن لى اليوم عشرين سنة مجاوراً . وكم قد رأيت فى طريق مكة من قاصد إلى الحج يضرب رفقاءه على الماء ويضايقهم فى الطريق .

وقد لبس إبليس على جماعة من القاصدين إلى مكة فهم يضيعون الصلوات ويطففون إذا باعوا ويظنون أن الحج يدفعهم عنهم . وقد لبس إبليس على قوم منهم فابتدعوا فى المناسك ماليس منها فرأيت جماعة يتصنعون فى إحرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويبقون فى الشمس أياماً فتكشط جلودهم وتنتفخ رؤوسهم ويتزينون بين الناس بذلك . وفى أفراد البخارى من حديث بن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم . رأى رجلا يطوف بالكعبة بزمام فقطعه . وفى لفظ آخر . رأى رجلا يقود إنساناً بخزامة فى أنفه فقطعها بيده ثم أمره أن يقوده بيده .

قال المصنف : وهذا الحديث يتضمن النهى عن الابتداع فى الدين وإن قصدت بذلك الطاعة .

(فصل) وقد لبس على قوم تدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ . قال رجل للامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد . فقال له أحمد فاخرج فى غير القافلة . قال لا إلا معهم : قال فعلى جراب الناس توكلت ؟ فنسأل الله أن يوفقنا .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الغزاة ﴾

قال المصنف : قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباه والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمه وإنما الأعمال بالنيات . وعن أبى موسى قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسل فقال : يارسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذا فى سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى الع فهو فى سبيل الله . أخرجاه فى الصحيحين . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال إ

أن تقولوا مات فلان شهيداً أو قتل فلان شهيداً فان الرجل ليقاتل ليغنم ويقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه . وبالإسناد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة : رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . فقال : ماعملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسع الله عليه فأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل أنت تحبه أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . انفرد باخراجه مسلم : وباسناد مرفوع عن أبى حاتم الرازى قال سمعت عبدة بن سليمان يقول : كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز فخرج إليه فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله . فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فاذا هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فاذا هو عبد الله بن المبارك فقال . وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا قلت فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص . كيف خاف على إخلاصه برؤية الناس له ومدحهم إياه فستر نفسه : وقد كان ابراهيم بن أدهم : يقاتل فاذا غنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة ليوفر له الأجر .

(فصل) وقد لبس إبليس على المجاهد إذا غنم . فربما أخذ من الغنيمة ماليس له أخذه فاما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها ولا يدرى أن الغلول من الغنائم معصية . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة . قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا . فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب . ثم انطلقنا إلى الوادى ومع رسول الله ﷺ عبد له فلما نزل قام عبد رسول الله

ﷺ بحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه . فلما قلنا له هنيئا له الشهادة يارسول الله فقال كلا والذى نفس محمد بيده أن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم فقال ففزع الناس . فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال : أصبته يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ شراك من نار أو شرا كان من نار .

(فصل) وقد يكون الغازى عالما بالتحريم إلا أنه يرى الشيء الكثير فلا يصبر عنه . وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل . وها هنا يتبين أثر الإيمان والعلم . روينا باسناد عن هبيرة بن الأشعث عن أبى عبيدة العنبرى . قال : لما هبط المسلمون المداين وجمعوا الأقباض . أقبل رجل بحق معه فدفعه الى صاحب الأقباض فقال الذين معه . ما رأينا مثل هذا قط . مايعدله ماعندنا ولا ما يقاربه فقال له هل أخذت منه شيئا فقال : أما والله . لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن الرجل شأنا فقالوا . من أنت ، فقال والله لاأخبركم لتحمدونى ولا أغريكم لتقرظونى ، ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه ، فاتبعوه رجلا حتى انتهى الى أصحابه . فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد القيس .

﴿ ذكر تلبيسه على الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر ﴾

وهم قسمان عالم وجاهل ، فدخول ابليس على العالم من طريقين

الطريق الأول : التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل ، روينا باسناد عن أحمد بن أبى الحوارى ، قال سمعت أبا سليمان يقول : سمعت أبا جعفر المنصور يبكى فى خطبته يوم الجمعة فاستقبلنى الغضب وحضرتنى نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله اذا نزل ، قال ، فكرهت أن أقوم الى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقوننى بأبصارهم فيعرض لى تزين فيأمر بى فأقتل على غير صحيح فجلست وسكت .

والطريق الثانى : الغضب للنفس : وربما كان ابتداء . وربما عرض فى حالة الآمر بالمعروف لأجل ما يلقى به المنكر من الإهانة فنصير خصومة لنفسه كما قال عمر بن عبد العزيز لرجل ، لولا أنى غضبان لعاقبتك . وإنما أراد أنك أغضبتنى فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب الله ولى .

(فصل) فأما إذا كان الآمر بالمعروف جاهلا فان الشيطان يتلاعب به وإنما كان إفساده فى أمره أكثر من إصلاحه . لأنه ربما نهى عن شىء جائز بالاجماع وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب . وربما كسر الباب وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فان أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه : وربما كشف ما قد أمر الشرع يستره وقد سئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبوره ومسكر قال : إذا كان مغطى فلا تكسره . وقال فى رواية أخرى . إكسره . وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشىء خفيف يصفه فيتبين والأولى على أنه لا يتبين . وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال : ولا عليك ماغاب عنك فلا تفتش . وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر إلى من يظلمهم وقد قال أحمد بن حنبل : إن علمت أن السلطان يقيم الحدود فارفع اليه .

(فصل) ومن تلبيس إبليس على المنكر أنه إذا أنكر جلس فى مجمع يصف مافعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحنق عليهم ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا وربما كانوا خيراً منه لندمهم وكبره ويندرج فى ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لأنه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما أمكن . وسمعت عن بعض الجهلة بالإنكار أنه يهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم ويضربهم الضرب المبرح ويكسر الأوانى وكل هذا يوجبه الجهل . فأما العالم إذا أنكر فأنت منه على أمان . وقد كان السلف يتلطفون فى الإنكار ورأى صلة بن أشيم رجلا يكلم امرأة . فقال : إن الله يراكما . سترنا الله وإياكما . وكان يمر بقوم يلعبون . فيقول : يا إخوانى ما تقولون فيمن أراد سفرا فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره . فانتبه رجل منهم فقال : يا قوم إنما يعلمنا هذا فتاب وصحبه .

(فصل) وأولى الناس بالتلطف فى الإنكار على الأمراء فيصلح أن يقال لهم : إن الله قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته . فان النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصى .

(فصل) وقد لبس إبليس على بعض المتعبدين فيرى منكراً فلا ينكره ويقول إنما يأمر وينهى من قد صلح وأنا ليس بصالح فكيف آمر غيرى . وهذا غلط لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه . إلا أنه متى أنكر متنزها عن المنكر

أثر إنكاره وإذا لم يكن متنزهاً لم يكد يعمل إنكاره فينبغي للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر إنكاره . قال ابن عقيل رأينا فى زماننا أبا بكر الاقفالى فى أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبى بكر الخباز شيخ صالح أضر من اطلاعه فى التنور وتبعه : وجماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء فاذا تبعه مخلط رده وقال متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش .

﴿ الباب التاسع ﴾

فى ذكر تلبيس إبليس على الزهاد والعباد

قد يسمع العامى ذم الدنيا فى القرآن المجيد والأحاديث فيرى أن النجاة تركها ولا يدرى ما الدنيا المذمومة فيلبس عليه إبليس : بأنك لا تنجو فى الآخرة إلا بترك الدنيا فيخرج على وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيق . كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبد فى جبل وربما كانت له سائلة فضاعف أو والدة فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغى وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها : وإنما يتمكن إبليس من التلبيس على هذا لقلة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تذم لذاتها وكيف يذم ما منّ الله تعالى به وما هو ضرورة فى بقاء الآدمى وسبب فى إعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه وإنما المذموم أخذ الشيء من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة : ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع : وأن الخروج إلى الجبال المنفردة منهى عنه فان النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيت الرجل وحده وأن التعرض لتركة الجماعة والجمعة خسران لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوى سلطان الجهل : وفراق الوالد والوالدة فى مثل هذا عقوق والعقوق من الكبائر ، وأما من سمع عنه أنه خرج الى جبل فأحوالهم أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا الى مكان يتعبدون فيه مجتمعين : ومن لم تحتمل حالهم وجهة

صحيحاً فهم على الخطأ من كانوا ، وقد قال بعض السلف : خرجنا إلى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثورى فردنا .

(فصل) ومن تلبيسه على الزهاد : إعراضهم عن العلم شغلا بالزهد فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وبيان ذلك : أن الزاهد لايتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعد . وكم قد رد إلى الصواب من متعبد .

(فصل) ومن تلبيسه عليهم : أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات فنهم من لا يزيد على خبز الشعير . ومنهم من لا يذوق الفاكهة . ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم . وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئا فاذا وجدوا أكلوا وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فان الماء الجارى يؤذى المعدة ولا يروى . وقد كان رجل يقول : أنا لا آكل الخبيص لأنى لا أقوم بشكره . فقال الحسن البصرى : هذا رجل أحمق وهل يقوم بشكر الماء البارد . وقد كان سفيان الثورى إذا سافر حمل فى سفرته اللحم المشوى والفالوذج . وينبغى للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولابد من الرفق بها ليصل بها فليأخذ مايصلحها وليترك مايؤذيها من الشبع والإفراط فى تناول الشهوات فان ذلك يؤذى البدن والدين .

ثم إن الناس يختلفون فى طباعهم فان الأعراب إذا لبسوا الصوف واقتصروا على شرب اللبن لم نلمهم لأن مطايا أبدانهم تحمل ذلك . وأهل السواد إذا لبسوا الصوف وأكلوا الكوامخ لم نلمهم أيضا ولا نقول فى هؤلاء من قد حمل على نفسه لأن هذه عادة القوم . فأما إذا كان البدن مترفاً قد نشأ على التنعم فإنا ننهى صاحبه أن يحمل عليه ما يؤذيه . فان تزهد وآثر ترك الشهوات إما لأن الحلال لا يحتمل السرف أو لأن الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل فهذا يحتاج أن يعلم ما يضر تركه ومالا يضر فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس . وقد ظن قوم أن الخبز القفار يكفى فى قوام البدن ولو كفى إلا أن الاقتصار يؤدى من جهة أن أخلاط البدن تفتقر إلى الحامض والحلو والحار والبارد والممسك والمسهل . وقد جعل فى الطبع ميل

إلى الملايم فتارة يميل إلى الحامض وتارة يميل إلى الحلو ولذلك أسباب مثل أن يقل عندها البلغم الذى لابد فى قوامها منه فتشتاق إلى اللبن ويكثر عندها الصفراء فتميل إلى الحموضة فمن كفها عن التصرف على مقتضى ما قد وضع فى طبعها مما يصلحها فقد آذاها إلا أن يكفها عن الشبع والشره ومايخاف عاقبته فان ذلك يفسدها . فأما الكف المطلق فخطأ فافهم هذا ولايلتفت إلى قول الحارث المحاسبى وأبى طالب المكى فيما ذكرا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها فان اتباع الشـــارع وصحابته أولى . وكان ابن عقيل يقول : ما أعجب أمو [illegible] كم فى المتدين [illegible] ا أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة بين تجرير أذيال المرح فى الصبا واللعب . وبين [illegible] ما [illegible] الحقوق وإطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد فهلا عبدوا على عقل وشرع .

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أنه يوهمهم أن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب . فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة فى الرياسة وطلب الجاه فتراهم يترصدون لزيارة الأمراء إياهم ويكرمون الأغنياء دون الفقراء ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة ، وربما رد أحدهم المال لئلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس إليهم وتقبيل أيديهم فى أوسع باب من ولايات الدنيا لأن غاية الدنيا الرياسة .

(فصل) وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفى الرياء . فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل فى التلبيس مثل إظهار النحول وصفار الوجه وشعث الشعر ليستدل به على الزهد . وكذلك خفض الصوت لإظهار الخشوع وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة ومثل هذه الظواهر لا تخفى . وإنما نشير إلى خفى الرياء . وقد قال النبى ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات) ومتى لم يرد بالعمل وجه الله عز وجل لم يقبل . قال مالك ابن دينار : قولوا لمن لم يكن صادقا لا تتعب .

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله إلا الله سبحانه وتعالى ، وإنما يدخل عليه خفى الرياء فيلبس الأمر فنجاته منه صعبة . وفى الحديث مرفوعا عن يسار قال لى يوسف ابن أسباط : تعلموا صحة العمل من سقمه فإنى تعلمته فى اثنتين وعشرين سنة . وفى الحديث مرفوعا عن إبراهيم الحنظلى قال : سمعت بقية بن الوليد يقول : سمعت إبراهيم

ابن أدهم يقول : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان ، دخلت عليه فى صومعته فقلت له ياسمعان : منذ كم أنت فى صومعتك هذه . قال : منذ سبعين سنة . قلت ماطعامك قال : يا حنيفى ومادعاك إلى هذا . قلت : أحببت أن أعلم . قال : فى كل ليلة حمصة . قلت : فاالذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصه . قال : ترى الذين بحذائك قلت نعم . قال : إنهم يأتوننى فى كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتى ويطوفون حولها ، فعظمونى بذلك وكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها تلك الساعة . فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة ، فاحتمل ياحنيفى جهد ساعة لعز الأبد ، فوقر فى قلبى المعرفة . فقال أزيدك . قلت : نعم . قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى إلى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى أدخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفى ما الذى أدلى إليك الشيخ . قلت : من قوته قالوا وما تصنع به نحن أحق ساوم قلت عشرين دينارا فأعطونى عشرين دينارا فرجعت إلى الشيخ فقال أخطأت لو ساومتهم عشرين ألفاً لأعطوك ، هذا عز من لا يعبده فانظر كيف تكون بعز من تعبده يا حنيفى ، أقبل على ربك .

قلت : ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حذراً عليهم ويهرجوها بضدها ، فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل ، وكان فى ذيل أيوب السختيانى بعض الطول ، وكان ابن أدهم إذا مرض يرى عنده ما يأكله الأصحاء وبالاسناد عن عبد الله ابن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب ابن منبه يقول : كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظهم فاجتمعوا اليه ذات يوم فقال : إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان وقد خفت أن يكون قد دخل علينا فى هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال فى أموالهم ، أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته ، وان اشترى بيعاً أن يقارب لمكان دينه ، وإن لقى حيى ووقر لمكان دينه فشاع الكلام حتى بلغ الملك به فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه فلما رآه الرجل قيل له : هذا الملك قدأتاك ليسلم عليك ومايصنع قال للكلام الذى وعظت به ، فسأل غلامه هل عندك طعام فقال شىء من ثمر الشجر مما كنت تفطر به فأمر به فأتى على مسح فوضع بين يديه ، فأخذ يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر ، فوقف عليه الملك فسلم

عليه فأجابه بإجابة خفية وأقبل على طعامه يأكله . فقال الملك : أين الرجل فقيل له : هو هـــذا . قال هذا الذى يأكل قالوا نعم ، قال فما عند هذا من خير فأدبر . فقال الرجل : الحمد لله الذى صرفك عنى بما صرفك به . وفى رواية أخرى عن وهب ، أنه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول فى اللقمة الكبيرة ويغمسها فى الزيت فيأكل أكلا عنيفاً . فقال له الملك : كيف أنت يا فلان فقال كالناس . فرد الملك عنان دابته وقال ما فى هذا من خير فقال : الحمد لله الذى أذهبه عنى وهو لائم لى . وبإسناد عن عطاء قال : أراد أبو الوليد بن عبد الملك أن يولى يزيد بن مرثد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجاً وأخذ بيده رغيفاً وعرقاً وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف فجعل يمشى فى الأسواق يأكل فقيل للوليد : إن يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه ومثل هذا كثير .

(فصل) ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهراً وباطناً ، ولكنه قد علم أنه لابد أن يتحدث بتركه للدنيا أصحابه أو زوجته . فيهون عليه الصبر كما هان على الراهب الذى ذكرنا قصته مع إبراهيم بن أدهم . ولو أنه أراد الإخلاص فى زهده لأكل مع أهله قدر ما يمحى به جاه النفس ويقطع الحد[illegible] داود بن أبى هند ، صام [illegible] سنة ولم يعلم به أهله [illegible] غداءه ويخرج [illegible] السوق فيتصدق به [illegible] . فأهل السوق يظنون أنه قد أكل فى البيت ، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل [illegible] السوق هكذا كان الناس .

([illegible]) [illegible] المتزهدين : من قوته الانقطاع فى مسجد أو رباط أو جبل فلذته علم الناس بانقطاعه ، وربما احتج لانقطاعه بأنى أخاف أن أرى فى خروجى المنكرات . وله فى ذلك مقاصد : منها الكبر واحتقار الناس ، ومنها أنه يخاف أن يقصروا فى خدمته . ومنها حفظ ناموسه ورياسته فإن مخالطة الناس تذهب ذلك وهو يريد أن يبقى إطراؤه وذكره ، وربما كان مقصوده ستر عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فيرى هـــذا . ويحب أن يزار ولا يزور ويفرح بمجىء الأمراء إليه واجتماع العوام على بابه وتقبيلهم يده . فهو يترك عيادة المرضى وشهود الجنائز ويقول له أصحابه : أعذروا الشيخ فهذه عادته لا كانت عادة تخالف الشريعة ، ولو احتاج هذا الشخص إلى القوت ولم يكن عنده من يشتريه

صبر على الجوع لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه فيضيع جاهه لمشيه بين العوام ولو أنه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة ولكن فى باطنه حفظ الناموس . وقدكان رسول الله ﷺ يخرج إلى السوق ويشترى حاجته ويحملها بنفسه . وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشترى ، والحديث باسناد عن محمد بن القاسم . قال : روى عن عبد الله بن حنظلة قال : مر عبد الله بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب فقال له ناس : ما يحملك على هذا وقد أغناك الله . قال : أردت أن أدفع به الكبر وذلك إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : لايدخل الجنة عبد فى قلبه مثقال ذرة من الكبر .

(فصل) قال المصنف . وهذا الذى ذكرته من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الأحوال والملابس فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لأن ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع . ومراعاة قلوبهم فى مثل هذا يخرج إلى الرياء واستعمال مايوجب الهيبة فى القلوب لايمنع منه وليس كل ما كان فى السلف مما لايتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغى أن يفعل اليوم قال الأوزاعى : كنا نضحك ونمزح فاذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم : أن أصحابه كانوا يوماً يتمازحون فدق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون . فقالوا له : تعلمنا الرياء فقال : إنى أكره أن يعصى الله فيكم .

قال المصنف : وإنما خاف قول الجهلة ، انظروا إلى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون . وذلك أن العوام لايحتملون مثل هذا للمتعبدين .

(فصل) ومن هؤلاء قوم لو سئل أحدهم أن يلبس اللين من ثوبه ما فعل لئلا يتوكس جاهه فى الزهد ولو خرج روحه لايأكل والناس يرونه ويحفظ نفسه فى التبسم فضلا عن الضحك . ويوهمه إبليس أن هذا لإصلاح الخلق وإنما هو رياء يحفظ به قانون الناموس فتراه مطاطىء الرأس عليه آثار الحزن فإذا خلا رأيته ليث شرى .

(فصل) وقد كان السلف يدفعون عنهم كل مايوجب الإشارة إليهم ويهربون من المكان الذى يشار إليهم فيه والحديث باسناد عبد الله بن خفيف قال : قال يوسف

ابن أسباط . خرجت من سبيج راجلا حتى أتيت المصيصة وجرابى على عنقى فقام ذا من حانوته يسلم علىّ وذا يسلم . فطرحت جرابى ودخلت المسجد أصلى ركعتين فأحدقوا بى واضطلع رجل فى وجهى فقلت فى نفسى كم بقاء قلبى على هذا . فأخذت جرابى ورجعت بعرقى وعنائى إلى سبيج فما رجعت إلى قلبى سنتين .

(فصل) ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيطه ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خبر : وهذا من أبواب الرياء فان كان صادقا فى إعراضه عن أغراضه كما قيل لداود الطائى : ألا تسرح لحيتك فقال : إنى عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة ، إذ ليست هذه طريقة الرسول ﷺ ولا أصحابه فانه كان يسرح شعره وينظر فى المرآة ويدهن ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة : وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يخضبان بالحناء والكتم وهما أخوف الصحابة وأزهدهم ، فمن ادعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت اليه :

(فصل) ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبى ﷺ إن لأهلك عليك حقاً . وقد كان رسول الله ﷺ يمزح فيلاعب الأطفال ويحدث أزواجه وسابق عائشة إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة فهذا المتزهد الجاعل لزوجته كالأيم وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة ولا يدرى لقلة علمه أن الانبساط إلى الأهل من العون على لآخرة ، وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لجابر : هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك ، وربما غلب على هذا المتزهد التجفف فترك مباضعة الزوجة فيضيع فرضاً بنافلة غير ممدوحة .

(فصل) ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له : أنت من أوتاد الأرض رأى ذلك حقا ، ومنهم من يترصد لظهور كراماته ويخيل اليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشى عليه ، فاذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تذمر فى باطنه فكأنه أجير يطلب أجر عمله . ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك والمملوك لايمن بعمله ، ولو نظر إلى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه ، وقد كان ينبغى أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر إليه كما كانت رابعة تقول : أستغفر الله من

لله صدق فى قولى وقيل لها هل عملت عملا ترين أنه يقبل منك . فقالت : إذا كان مخالفتى أن يرد على .

(فصل) ومن تلبيس إبليس على قوم من الزهاد الذى دخل عليهم فيه من قلة العلم أنهم يعملون بواقعاتهم ولا يلتفون إلى قول الفقيه ، قال ابن عقيل . كان أبو اسحق الخراز صالحا وهو أول من لقننى كتاب الله وكان من عادته الإمساك عن الكلام فى شهر رمضان . فكان يخاطب بآى القرآن فيما يعرض إليه من الحوائج فيقول : فى أذنه « أدخلوا عليهم الباب » : ويقول لابنه فى عشية الصوم « من بقلها وقثائها » آمراً له ان يشترى البقل . فقلت له هذا الذى تعتقده عبادة هو معصية . فصعب عليه. فقلت : أن هذا القرآن العزيز أنزل فى بيان أحكام شرعية فلا يستعمل فى أعراض دنيوية وما هذا إلا بمثابة صرك السدر والأشنان فى ورق المصحف أو توسدك له . فهجرنى ولم يصغ إلى الحجة .

قال المصنف قلت : وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتى به حدثنى أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه ، أن رجلا استفتاه فقال ماتقول : فى امرأة طلقت ثلاثاً فولدت ذكراً هل تحـــل لزوجها . قال : فقلت لا . وكان عندى الشريف الدحالى[1] وكان مشهوراً بالزهد عظيم القدر بين العوام . فقال لى . بل تحل . فقلت: ما قال بهذا أحد ، فقال : والله لقد أفتيت بهذا من هنا إلى البصرة .

قال المصنف : فانظر ما يصنع الجهل بأهله ويضاف إليه حفظ الجـــاه خوفا أن يرى الزاهد بعين الجهل . وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتى لأنه لم يجمع شروط الفتوى فكيف لو رأوا تخبيط المتزهدين اليوم فى الفتوى بالواقعات وبالإسناد عن اسماعيل بن شبة قال دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة فقال لى أحمد ابن حنبل من هذا الخراسانى الذى قد قدم . قلت : من زهده كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا . فقال : لاينبغى لمن يدعى مايدعيه أن يدخل نفسه فى الفتيا .

---

(١) وفى النسخة الثانية الرحالى .

(فصل) ومن تلبيسه على الزهاد . احتقارهم العلماء وذمهم إياهم فهم يقولون المقصود العمل ولا يفهمون أن العلم نور القلب . ولو عرفوا مرتبة العلماء فى حفظ الشريعة وأنها مرتبة الأنبياء لعدوا أنفسهم كالبكم عند الفصحاء والعمى عند البصراء والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم . وسليم هؤلاء يمشى وحده . وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن النبى ﷺ . قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه . والله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم .

(فصل) ومما يعيبون به العلماء . تفسح العلماء فى بعض المباحات التى يتقوون بها على دراسة العلم . وكذلك يعيبون جامع الأموال . ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه لايذم فاعله . وغاية الأمر أن غيره أولى منه . أفيحسن لمن صلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام . ولقد روينا بإسناد عن محمد بن جعفر الخولانى ، قال : حدثنى أبو عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم . قال : دخلنا مع حاتم البلخى إلى الرى ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلا من أصحابه يريد الحج . وعليهم الصوف والزرمانقات ليس فيهم من معه شراب ولا طعام فنزلنا على رجل من التجار متنسك فضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد . قال لحاتم . يا أبا عبد الرحمن لك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل فقال حاتم إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كبير والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجىء معك ، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى ، فقال له مر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤا إلى باب داره فاذا البواب فبقى حاتم متفكراً يقول يارب دار عالم على هذه الحال ، ثم أذن لهم فدخلوا فاذا بدار قوراء وآلة حسنة وبزة وفرش وستور ، فبقى حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذى فيه محمد ابن مقاتل ، وإذا بفراش حسن وطىء وهو عليه راقد وعند رأسه مذبة وناس وقوف ، فقعد الرازى وبقى حاتم قائما فاومى اليه محمد بن مقاتل بيده أن أجلس فقال حاتم ، لا أجلس ، فقال له ابن مقاتل ءلك حاجة قال نعم ، قال وما هى قال مسألة أسألك عنها قال فاسئلنى قال حاتم قم فاستوجالساً حتى أسألك عنها فأمر غلمانه فأسندوه ، فقال حاتم علمك هذا من أين جئت به فقال حدثنى الثقات عن الثقات من الأئمة قال عمن أخذوه قال عن التابعين قال والتابعون عمن أخذوه قال عن أصحاب رسول الله

ﷺ ، قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذوه قال عن رسول الله ﷺ . قال ورسول الله ﷺ من أين جاء به قال عن جبريل عن الله عز وجل . فقال حاتم ففيم أداه جبريل عن الله عز وجل إلى النبي ﷺ وأداه النبي ﷺ إلى الصحابة وأداه الصحابة إلى تابعيهم وأداه التابعون إلى الأئمة وأداه الأئمة إلى الثقات وأداه الثقات إليكم ، هل سمعت فى هذا العلم من كانت داره فى الدنيا أحسن وفراشه ألين وزينته أكثر كان له المنزلة عند الله عز وجل أكبر ، قال ، لا قال ، فكيف سمعت قال سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان عند الله عز وجل له منزلة أكثر واليه أقرب ، قال حاتم ، وأنت بمن اقتديت أبالنبى ﷺ وبأصحابه والتابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم أو فرعون ونمروذ فانهما أول من بنى بالجص والآجر . يا علماء السوء ان الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول : هذا العالم على هذه الحالة ألا أكون أنا قال فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الرى ماجرى بين حاتم وبين ابن مقاتل فقالوا لحاتم ان محمد بن عبيد الطنافسى بقزوين أكثر شيئاً من هذا فصار إليه فدخل عليه وعنده الخلق يحدثهم فقال له رحمك الله أنا رجل أعجمى جئتك لتعلمنى مبدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة فقال : نعم وكرامة ، ياغلام اناء فيه ماء فجاءه باناء فيه ماء ، فقعد محمد بن عبيد فتوضأ ثلاثا ثم قال له هكذا فتوضأ ، قال حاتم مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك ليكون أوكد لما أريد فقام الطنافسى وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثة حتى إذا بلغ الذراع غسل أربعاً ، فقال الطنافسى ، أسرفت قال حاتم فبماذا أسرفت قال غسلت ذراعك أربعاً قال يا سبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا الذى أراه كله لم تسرف فعلم الطنافسى أنه أراده بذلك فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوما وخرج حاتم إلى الحجاز فلما صار إلى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة ، فلما دخل المدينة قال يا قوم أى مدينة هذه قالوا مدينة الرسول ﷺ قال فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أذهب إليه فأصلى فيه ركعتين قالوا ما كان لرسول الله ﷺ قصر إنما كان له بيت لاطئ ، قال : فأين قصور أهله وأصحابه وأزواجه قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة . فقال حاتم فهذه مدينة فرعون . قال : فسبوه وذهبوا به إلى الوالى . وقالوا

هذا العجمي يقول : هذه مدينةفرعون . فقال الوالى . لم قلت ذلك قال حاتم ، لا تعجل على أيها الأمير أنا رجل غريب دخلت هذه المدينةفسألت أى مدينة هذه قالوا مدينة رسول ﷺ ، وسألت عن قصر رسول الله ﷺ وقصور أصحابه قالوا : إنما كانت لهم بيوت لاطئة ، وسمعت الله عز وجل يقول : « لقد كان لكم فى رسول اللهأسوة حسنة » ، فأنتم بمن تأسيتم برسول الله ﷺ أو بفرعون .

قال المصنف : قلت الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذى يقتنع بعلمه فيرى الفضل فرضاً . فان الذى أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن فى شىء ثم يعاتب عليه . فما أقبح الجهل ولو أنه قال لهم : لو قصرتم فيما أنتم فيه لتقتدى الناس بكم كان أقرب حالة ولو سمع هذا بأن عبد الرحمن بن عوف ، والزابير بن العوام . وعبد الله ابن مسعود رضوان الله عليهم . وفلانا وفلانا من الصحابة خلفوا مالا عظيما أتراه ماذا كان يقول وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل ففرض على الزاهد التعلم من العلماء فاذا لم يتعلم فليسكت والحديث باسناد عن مالك بن دينار رضى الله عنه قال إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز . وباسناد عن حبيب الفارسى يقول : والله ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز :

قال المصنف : قلت المراد بالقراء الزهاد ، وهذا اسم قديم لهم معروف والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب .

﴿ الباب العاشر ﴾

فى ذكر تلبيسه على الصوفية من جملة الزهاد

قال المصنف : الصوفية من جملة الزهاد وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر ، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهاد الكلى ثم ترخيص المنتسبون اليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد . ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب فلابد من كشف تلبيس إبليس عليهم فى طريقة القوم ولا ينكشف ذلك الا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها والله الموفق للصواب .

(فصل) قال المصنف : كانت النسبة فى زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام ، فيقال مسلم ومؤمن . ثم حدث اسم زاهد وعابد . ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها . وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث ابن مر فانتسبوا اليه لمشابهتهم إياه فى الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية . أنبأنا محمد بن ناصر عن أبى اسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال . قال قال أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ . قال سألت وليد بن القاسم . إلى أى شىء ينسب الصوفى . فقال : كان قوم فى الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية قال عبد الغنى فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخى تميم بن مر . وبالاسناد إلى الزبير بن بكار قال : كانت الاجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مر بن أد بن طابخة ثم كانت فى ولده وكان يقال لهم صوفة . وكان إذا حانت الاجازة قالت العرب . أجز صوفة . قال الزبير . قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشىء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان . قال الزبير حدثنى أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى . قال إنما سمى الغوث بن مر صوفة لأنه ما كان يعيش لأمه ولد . فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة . ففعلت . فقيل له صوفة ولولده من بعده . قال : وحدثنى إبراهيم بن المنذرى عن عبد العزيز بن عمران . قال أخبرنى عقال بن شبة قال قالت أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة فقالت لله على أن ولدت غلاماً لأعيدنه للبيت . فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى . فقالت ما صار ابنى إلا صوفة فسمى صوفة وكان الحج وإجازة الناس من عرفة إلى منى ومن منى إلى مكة لصوفة .

فلم تزل الاجازة فى عقب صوفة حتى أخذتها عدوان فلم تزل فى عدوان حتى أخذتها قريش .

(فصل) قال المصنف : وقد ذهب قوم إلى أن التصرف منسوب إلى أهل الصفة . وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ماذكرنا من صفة صوفة فى الانقطاع

إلى الله عز وجل وملازمة الفقر فان أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ ومالهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة فى مسجد رسول الله ﷺ وقيل أهل الصفة . والحديث باسناد عن الحسن . قال بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون إليها ما استطاعوا من خير . وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول : السلام عليكم يا أهل الصفة . فيقولون : وعليك السلام يا رسول الله . فيقول كيف أصبحتم . فيقولون بخير يارسول الله . وباسناد عن نعيم بن المجمر عن أبيه أبى ذر قال : كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقى من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤثرنا النبي ﷺ بعشائه فنتعشى فاذا فرغنا قال رسول الله صلى ﷺ . ناموا فى المسجد .

قال المصنف : وهؤلاء القوم إنما قعدوا فى المسجد ضرورة . وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة . فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوفى إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفى ، وقد ذهب إلى أنه من الصوفانة وهى بقلة رعناء قصيرة . فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء وهذا أيضاً غلط لأنه لو نسبوا إليها لقيل صوفانى . وقال آخرون : هو منسوب إلى صوفة القفا . وهى الشعرات النابتة فى مؤخره كأن الصوفى عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق . وقال آخرون : بل هو منسوب إلى الصوف . وهذا يحتمل . والصحيح الأول .

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها الرذيلة أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة ، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التى تكسب المدائح فى الدنيا والثواب فى الأخرى . والحديث بإسناد عن الطوسى يقول: سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول : سألت الجنيد بن محمد عن التصوف . فقال : الخروج عن كل خلق ردىء ، والدخول فى كل خلق سنى وبإسناد عن عبدالواحد بن بكر قال : سمعت محمد بن خفيف يقول : قال رويم كل الخلق قعدوا على الرسوم . وقعدت هذه الطائفة على الحقائق .

وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وهم طالبـــوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق .

قال المصنف : وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم فى أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه فى القرن الثانى فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن .

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات . فنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فى الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم . وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا فى الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع . وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة . وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدرى .

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم فى الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا فى ذلك مثل الحارث المحاسبى . وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة . ثم ما زال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم . ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو فى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر . ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به . وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق . ففسدت عقائدهم . فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد . وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً وجاء أبو عبد الرحمن السلمى فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب فى تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم . وإنما حملوه على مذاهبهم والعجب من ورعهم فى الطعام وانبساطهم فى القرآن . وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب قال : قال لى محمد بن يوسف القطان النيسابورى قال :

كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبد الله ابن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه . وكان يضع للصوفية الأحاديث .

قال المصنف : وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى . وصنف لهم أبو طالب المكى قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالى وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد . وردد فيه قول — قال بعض المكاشفين — وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى فى الدنيا لأوليائه . أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال : قال أبو طاهر محمد بن العلاف . قال : دخل أبو طالب المكى إلى البصرة بعد وفاة أبى الحسين(١) بن سالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ فخلط فى كلامه فحفظ عنه أنه قال : ليس على المخلوق أضر من الخالق . فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب : وصنف أبو طالب المكى كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة فى الصفات .

قال المصنف : وجاء أبو نعيم الأصبهانى فصنف لهم كتاب الحلية . وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر فى الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضى الله عنهم . فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحاً القاضى والحسن البصرى وسفيان الثورى وأحمد ابن حنبل وكذلك السلمى فى طبقات الصوفية الفضيل وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخى وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد .

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ماسيأتى ذكره وصنف لهم عبد الكريم ابن هوازن

(١) فى نسخة أبى الحسن .

القشيرى كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام فى الفناء . والبقاء . والقبض . والبسط . والوقت . والحال . والوجد والوجود . والجمع . والتفرقة . والصحو . والسكر . والذوق . والشرب . والمحو . والإثبات . والتجلى والمحاضرة . والمكاشفة . واللوائح . والطوالع . واللوامع . والتكوين . والتمكين والشريعة . والحقيقة . إلى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشىء وتفسيره أعجب منه ، وجاء محمد بن طاهر المقدسى فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحى العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول : كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة : قال وصنف كتابا فى جواز النظر إلى المراد أورد فيه حكاية عن يحيى ابن معين قال : رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها . فقيل له تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح : قال شيخنا ابن ناصر . وليس ابن طاهر بمن يحتج به ، وجاء أبو حامد الغزالى فصنف لهم كتاب الأحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم فى علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه . وقال أن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتى رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هى حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات . وهذا من جنس كلام الباطنية . وقال فى كتابه المفصح بالأحوال . إن الصوفية فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق .

قال المصنف : وكان السبب فى تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والإسلام والآثار وإقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم . وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت فى النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم فى الصورة ولا كلاما أرق من كلامهم . وفى سير السلف نوع خشونة ثم إن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفى ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل اليها . وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء .

﴿ فصل ﴾ وجمهور هذه التصانيف التى صنفت لهم لا تستند إلى أصل وإنما هى اقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن . والحديث باسناد لى أبى يعقوب اسحق بن حية قال سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس الخطرات . فقال : ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون .

قال المصنف : وقد روينا فى أول كتابنا هذا عن ذى النون نحو هذا وروينا عن حمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبى . فقال لصاحب له : لا أرى لك أن تجالسهم وعن سعيد بن عمرو البردعى ، قال شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبى كتبه ، فقال للسائل : إياك وهذه الكتب ، هذه الكتب كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ، قيل له : فى هذه الكتب عبرة ، قال : من لم يكن له فى كتاب الله عز وجل عبرة فليس له فى هذه الكتب عبرة . بلغكم أن مالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، والأوزاعى ، والأئمة المتقدمة ، صنفوا هذه الكتب فى الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبى ومرة بعبد الرحيم الديبلى ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق ، ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : أول من تكلم فى بلدته فى ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصرى فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة . قال السلمى : وأخرج أبو سليمان الدارنى من دمشق ، وقالوا أنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه ، وشهد قوم على أحمد بن أبى الحوارى : أنه يفضل الأولياء على الانبياء فهرب من دمشق إلى مكة ، وأنكر أهل بسطام على أبى يزيد البسطامى ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول : لى معراج كما كان للنبى ﷺ معراج فأخرجوه من بسطام . وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات إلى الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام ، قال السلمى

وحكى رجل عن سهل بن عبد الله التسترى أنه يقول : إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فأنكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه إلى القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها ، قال السلمى وتكلم الحارث المحاسبي فى شيء من الكلام والصفات فهجره أحمد بن حنبل فاختفى إلى أن مات .

قال المصنف : وقد ذكر أبو بكر الخلال فى كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال : حذروا من الحارث أشد التحذير أصل البلية يعنى فى حوادث كلام جهم ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأى جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أى يوم يثب على الناس .

(فصل) قال المصنف : وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة وإنما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم . وبإسناد عن جعفر الخلدى يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الدارانى قال ربما تقع فى نفسى النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وبإسناد عن طيفور البسطامى يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لى أبى قال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود .

وبإسناد عن أبى موسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى قال : من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع . وبإسناد عن عبد الحميد الحبلى يقول سمعت سريا يقول : من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط وعن الجنيد أنه قال : مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة ، وقال أيضاً علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به . وقال أيضاً ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الرجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا كما قال حارثة : عرفت نفسى فى الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى . وعن أبى بكر الشقاق : من ضيع حدود الأمر والنهى فى الظاهر حرم مشاهدة القلب فى الباطن ، وقال الحسين النورى لبعض أصحابه . من رأيته يدعى

مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه ، ومن رأيته يدعى حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه ، وعن الجريرى قال : أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد هو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائماً . وعن أبى جعفر قال : من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا تعده فى ديوان الرجال

(فصل) قال المصنف : وإذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم فان كان صحيحاً عنهم توجه الرد عليهم إذ لا محاباة فى الحق وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أى شخص صدر . فأما المشبهون بالقوم ولبسوا منهم فأغلاطهم كثيرة . ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل وما علينا من القائل والفاعل وإنما نؤدى بذلك أمانة العلم وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحق لا لإظهار عيب الغالط ولا اعتبار بقول جاهل يقول : كيف يرد على فلان الزاهد المتبرك به . لأن الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى الأشخاص ، قد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا تمنع منزلته بيان زلله .

واعلم إن من نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه كان كمن ينظر إلى ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الأمور الخارقة ولم ينظر إليه فادعى فيه الإلهية ، ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعام لم يعطه إلا ما يستحقه ، وقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندى بإسناد إلى يحيى بن سعيد قال : سألت شعبة وسفيان بن سعيد وسفيان بن عينة ومالك ابن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم فى الحديث . فقالوا جميعا يبين أمره ، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يمدح الرجل ويبالغ ثم يذكر غلطه فى الشىء بعد الشىء وقال نعم الرجل فلان لولا أن خلة فيه وقال عن سرى السقطى : الشيخ المعروف بطيب المطعم ثم حكى له عنه أنه قال ان الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء فقال : نفروا الناس عنه .

﴿ سياق ما يروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد ﴾

ذكر تلبيس إبليس فى السماع وغيره

عن أبى عبد الله الرملى قال تكلم أبو حمزة فى جامع طرسوس فقبلوه فبينا هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع فزعق أبو حمزة وقال : لبيك لبيك فنسبوه إلى الزندقة وقالوا حلولى زنديق . وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع هذا الزنديق ، وبإسناد إلى أبى بكر الفرغانى أنه قال : كان أبو حمزة إذا سمع شيئا يقول : لبيك لبيك فأطلقوا عليه أنه حلولى . ثم قال أبو على وإنما جعله داعيا من الحق أيقظه للذكر ، وعن أبى الروزبارى قال أطلق على أبى حمزة أنه حلولى وذلك أنه كان إذا سمع صوتا مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول لبيك لبيك فرموه بالحلول . قال السراج وبلغنى عن أبى حمزة أنه دخل دار الحارث المحاسبى فصاحت الشاة ماع فشهق أبو حمزة شهقة وقال : لبيك ياسيدى فغضب الحارث المحاسبى وعمد إلى سكين وقال إن لم تتب من هذا الذى أنت فيه أذبحك . قال أبو حمزة : إذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذى أنا فيه فلم تأخذ النخالة بالرماد .

وقال السراج وأنكر جماعة من العلماء على أبى سعيد أحمد بن عيسى الخـــــرا ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها فى كتاب صنفه وهو كتاب السر ومنه قوله : عبد طائع ما أذن له فلزم المعظم لله فقدس الله نفسه قال : وأبو العباس أحمد بن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة قال وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم . وقال السراج : ذكر عن أبى بكرة محمد بن موسى الفرغانى الواسطى أنه قال من ذكر افترى ومن صبر اجترى . وإياك أن تلاحظ حبيباً أو كليما أو خليلا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا فقيل له : أولا أصلى عليهم فقال : صل عليهم بلا وقار ولا تجعل لها فى قلبك مقدار . قال السراج : وبلغنى أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجساماً حل فيها بمعانى الربوبية وأزال عنها معانى البشرية ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات ومنهم من قال حال فى المستحسنات . قال وبلغنى عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب

فى الدنيا كالرؤية بالعيان فى الآخرة قال السراج . و بلغنى أن أبا الحسين النورى شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقنى فقال النورى: سمعت الله يقول « يحبهم ويحبونه » وليس العشق بأكثر من المحبة . قال القاضى أبو يعلى : وقد ذهبت الحلولية إلا أن الله عز وجل يعشق .

قال المصنف وهذا جهل من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث الاسم فان العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح والثانى أن صفات الله عز وجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف والثالث من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل وقد قال النبى ﷺ من قال إنى فى الجنة فهو فى النار .

وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال حكى عن عمرو المكى أنه قال : كنت أماشى الحسين بن منصور فى بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتى فقال يمكننى أن أقول مثل هذا ففارقته . وعن محمد بن يحيى الرازى . قال سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول : لو قدرت عليه لقتلته بيدى فقلت بأى شيء وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية من كتاب الله عز وجل فقال يمكننى أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به . وبإسناد عن أبى القاسم الرازى يقول أبو بكر بن ممشاد . قال : حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد فاحضر وعرض عليه . فقال : هذا خطى وأنا كتبته . فقالوا كنت تدعى النبوة فصرت تدعى الربوبية . فقال : ما أدعى الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكاتب إلا الله تعالى واليد فيه آلة . فقيل له : هل معك أحد . فقال : نعم ابن عطاء وأبو محمد الجريرى وأبو بكر الشبلى . وأبو محمد الجريرى يتستر والشبلى يتستر فان كان فابن عطاء فأحضر الجريرى وسئل فقال قائل : هذا كافر يقتل من يقول هذا وسئل الشبلى فقال من يقول هذا يمنع وسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته وكان سبب قتله . وبإسناد عن ابن باكويه قال : أسمعت عيسى بن بردل القزوينى وقد سئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الأبيات .

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ : على قائله لعنة الله . قال عيسى بن فورك هذا شعر الحسين ابن منصور . قال : إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون متقولا عليه . وبإسناد عن على بن المحسن القاضى عن أبى القاسم اسماعيل بن محمد بن زنجى عن أبيه أن بنت السمرى أدخلت على حامد الوزير . فسألها عن الحلاج فقالت . حملنى أبى إليه فقال . قد زوجتك من ابنى سليمان وهو مقيم بنيسابور فمتى جرى شىء تنكرينه من جهته فصومى يومك واصعدى فى آخر النهار إلى السطح وقومى على الرماد واجعلى فطرك عليه وعلى ملح جريش واستقبلينى بوجهك واذكرى لى ما أنكرتيه منه فانى أسمع وأرى قالت : وكنت ليلة نائمة فى السطح فاحسست به قد غشينى فانتبهت مذعورة لما كان منه . فقال إنما جئتك لأوقظك للصلاة . فلما نزلنا قالت ابنته . اسجدى له ، فقلت : أو يسجد أحد لغير الله . فسمع كلامى . فقال : نعم إله فى السماء وإله فى الأرض ،

قال المصنف : اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج . فاول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضى ووافقه العلماء ، وإنما سكت عنه أبو العباس سريج قال وقال لا أدرى مايقول . والاجماع دليل معصوم من الخطأ وبإسناد عن أبى هريرة . قال قال رسول الله ﷺ . إن الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلكم . وبإسناد عن أبى القاسم ويوسف بن يعقوب النعمانى قال سمعت والدى يقول سمعت أبابكر محمد بن داود الفقيه الأصبهانى يقول : إن كان ما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ حقاً فما يقول الحلاج باطل وكان شديداً عليه .

قال المصنف : وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلا منهم وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء . وبإسناد عن محمد بن الحسين النيسابورى قال سمعت إبراهيم بن محمد النصرابادى كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج قلت . وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلا من الكل بالشرع وبعداً عن معرفة النقل . وقد

جمعت فى أخبار الحلاج كتاباً بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال .

وبإسناد عن أبي نعيم الحافظ قال سمعت عمر البنا البغدادى بمكة يحكى أنه لما كانت محنة غلام الخليل ونسبة الصوفية إلى الزندقة . أمر الخليفة بالقبض عليهم فاخذ النورى فى جماعة فادخلوا على الخليفة فامر بضرب أعناقهم فتقدم النورى مبتدراً إلى السياف ليضرب عنقه . فقال له السياف : ما دعاك إلى البدار . قال آثرت حياة أصحابى على حياتى هذه اللحظة فتوقف السياف فرفع الأمر إلى الخليفة فرد أمرهم إلى قاضى القضاة إسماعيل بن اسحاق فامر بتخليتهم . وبإسناد إلى أبى العباس أحمد بن عطاء . قال كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة فقال ههنا قوم زنادقة فاخذ أبو الحسين النورى ، وأبو حمزة الصوفى . وأبو بكر الدقاق ، وجماعة من أقران هؤلاء واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبى ثور . فادخلوا إلى الخليفة فامر ضرب أعناقهم فاول من بدر أبو الحسين النورى . فقال له السياف لم بادرت أنت ن بين أصحابك ولم ترع . قال : أحببت أن أوثر أصحابى بالحياة مقدار هذه الساعة فرد الخليفة أمرهم إلى القاضى فاطلقوا .

قال المصنف : ومن أسباب هذه القصة قول النورى . أنا أعشق الله والله يعشقنى . فشهد عليه بهذا . ثم تقدم النورى إلى السياف ليقتل إعانة على نفسه فهو خطأ أيضاً . وبإسناد عن ابن باكويه قال سمعت أبا عمرو تلميذ الرقى قال سمعت الرقى يقول : كان لنا سب ضيافة فجاءنا فقير عليه خرقتان يكنى بأبى سليمان فقال . الضيافة . فقلت لابنى إمض به إلى البيت فأقام عندنا تسعة أيام فأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة . فسمته المقام فقال الضيافة ثلاثة أيام . فقلت له : لا تقطع عنا أخبارك فغاب عنا اثنى عشرة سنة ثم قدم فقلت من أين فقال : رأيت شيخاً يقال له أبو شعيب المقفع مبتلى فأقمت عنده أخدمه سنة فوقع فى نفسى أن أسأله أى شىء كان أصل بلائه فلما دنوت منه ابتدأنى قبل أن أسأله فقال وما سؤالك عما لا يعنيك [illegible] ثلاث مرات . فقال فى الثالثة لابد لك فقلت له ان رأيت [illegible] إذ لاح لى من المحراب نور فقلت إخسأ يا ملعون فان ربى عز وجل غنى عن أن يبرز للخلق ثلاث مرات قال

ثم سمعت نداء من المحراب يا أبا شعيب . فقلت لبيك فقال تحب أن أقبضك فى وقتك أو نجازيك على ما مضى لك أو نبتليك ببلاء نرفعك به فى عليين فاخترت البلاء فسقطت عيناى ويداى ورجلاى قال فمكثت أخدمه تمام اثنتى عشرة سنة : فقال يوماً من الأيام أدن منى فدنوت منه فسمعت أعضاءه يخاطب بعضها بعضا أبرز حتى برزت أعضاؤه كلها يديه وهو يسبح ويقدس ثم مات .

قال المصنف : وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله عز وجل فلما أنكر عوقب . وقد ذكرنا أن قوماً يقولون أن الله عز وجل يرى فى الدنيا : وقد حكى أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخى فى كتاب المقالات قال قد حكى قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالأبصار فى الدنيا وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من تلقاهم فى السكك وإن قوماً يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملامسته ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم وهم يسمون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوساوس وأصحاب الخطرات . قال المصنف : وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الطهارة ﴾

قال المصنف : وقد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الطهارة إلا أنه قد زاد فى حق الصوفية على الحد فقوى وساوسهم فى استعمال الماء الكثير حتى بلغنى أن ابن عقيل دخل رباطا فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء وما علموا أن من أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه . وبلغنا عن أبى حامد الشيرازى أنه قال لفقير : من أين تتوضأ . فقال : من النهر ، لى وسوسة فى الطهارة قال : كان عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان . والآن يسخر بهم الشيطان ، ومنهم من يمشى بالمداس على البوارى وهذا لا بأس به إلا أنه ربما نظر المبتدى إلى من يقتدى به فيظن ذلك شريعة وما كان خيار السلف على هذا ، والعجب ممن يبالغ فى الاحتراز إلى هذا الحد متصفاً بتنظف ظاهره وباطنه محشو بالوسخ والكدر والله الموفق .

﴿ ذكر تلبيس إبليس عليهم فى الصلاة ﴾

قال المصنف : وقد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد ، وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسى إن من سنتهم التى ينفردون بها وينتسبون اليه

صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة واحتج عليه بحديث ثمامة بن أثال أن النبي ﷺ أمره حين أسلم أن يغتسل .

قال المصنف : وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فإن ثمامة كان كافراً فأسلم وإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل فى مذهب جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل وأما صلاة ركعتين فما أمر بها أحد من العلماء لمن أسلم وليس فى حديث ثمامة ذكر صلاة فيقاس عليه ، وهل هذا إلا ابتداع فى الواقع سموه سنة . ثم من أقبح الأشياء قوله أن الصوفية ينفردون بسنن ، لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها فما وجه انفراد الصوفية بها وإن كانت بآرائهم فانما انفردوا بها لأنهم اخترعوها .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى المساكن ﴾

قال المصنف : أما بناء الأربطة فإن قوماً من المتعبدين الماضين اتخذوها للإنفراد بالتعبد . وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه . أحدها : أنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد والثانى : أنهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها . والثالث : أنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطا إلى المساجد والرابع : أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة . والخامس : أنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح . والسادس : أنهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم . وإن كان قصدهم غير صحيح فانهم قد بنوا دكاكين للكوبة(١) ومناخا للبطالة وأعلاماً لإظهار الزهد . وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين فى الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس . وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة . وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع . فهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد . فأين جوع بشر . وأين ورع سرى ، وأين جد الجنيد . وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضى فى التفكه بالحديث أو زيارة

(١) الكوبة : النرد وقيل الطبل .

أبناء الدنيا فاذا أفلح أحدهم أدخل رأسه فى زرمانقته فغلبت عليه السوداء فيقول : حدثنى قلبى عن ربى . ولقد بلغنى أن رجلا قرأ القرآن فى رباط فمنعوه وأن قوماً قرأوا الحديث فى رباط فقالوا لهم ليس هذا موضعه والله الموفق .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الخروج عن الأموال والتجرد عنها ﴾

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم فى الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم صالحة وأفعالهم فى ذلك خطأ لقلة العلم . فأما الآن فقد كفى إبليس هذه المؤونة فان أحدهم إذا كان له مال أنفقه تبذيراً وضياعاً والحديث بإسناد عن محمد بن الحسين السليمى قال : سمعت أبا نصر الطوسى قال : سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون : ورث أبو عبد الله المقرى من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وأنفقته على الفقراء .

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغنى بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به فأما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما فى أيدى الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الإخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه . ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع وقد ذكر الحارث المحاسبى فى هذا كلاماً طويلا وشيده أبو حامد الغزالى ونصره والحارث عندى أعذر من أبى حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله فى التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه .

فمن كلام الحارث المحاسبى فى هذا أنه قال : أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه . فقد أزريت بمحمد ﷺ والمرسلين وزعمت أن محمداً ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن [illegible] وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن [illegible] وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن [illegible]

الاحتجاج بمال الصحابة . ود ابن عوف فى القيامة أن لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً . قال : ولقد بلغني أنه لما توفى عبد الرحمن ابن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك . قال كعب : سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً . فبلغ ذلك أباذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب : إن أبا ذر يطلبك فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبوذر يقتص الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان ، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً من أبي ذر . فقال له أبو ذر : هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا ، ثم قال : يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف . كذبت وكذب من قال بقولك ، فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج .

قال الحارث : فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف فى عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعى إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبواً . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم إذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثماً . وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة . وأنت تأسف على مافاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل . ويحك هل تجد فى دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه . ويحك إنى لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر فقال تركه أبر منه . وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل فقال : بعيد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها .

قال المصنف : فهذا كله كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد وشيده وقواه بحدث ثعلبة فانه أعطى المال فنع الزكاة قال أبو حامد : فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك فى أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات ، إذ أقل ما فيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغى للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل . قال المصنف : وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال .

(فصل) فى رد هذا الكلام أما شرف المال فان الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواماً للآدمى الشريف فهو شريف . فقال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد . فقال « فان آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد : لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . وقال : ما نفعنى مال كمال أبى بكر . والحديث باسناد مرفوع عن عمرو بن العاص . قال : بعث إلى رسول الله ﷺ فقال : خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى ، فأتيته فقال : أنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ، وارغب لك من المال رغبة صالحة . فقلت يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام . فقال يا عمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح . والحديث باسناد عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير ، وكان فى آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له . وباسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته . قال : فقلت يارسول الله أن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : أمسك بعض مالك فهو خير لك .

قال المصنف : فهذه الأحاديث مخرجة فى الصحاح وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافى التوكل . ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهه يعز وسلامة القلب من الافتتان به يبعد واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر

ولهذا خيف فتنته . فأما كسب المال فان من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لابد منه . وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا فى مقصوده ، فان قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود ، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الاخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات . وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه لحرضوا عليه وسالوا زيادته ، وبإسناد عن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر[1] فرسه بأرض يقال لها ثرثر . فأجرى فرسه حتى قام ، ثم رمى سوطه فقال : أعطوه حيث بلغ السوط وكان سعد بن عبادة يدعو فيقول : اللهم وسع على .

قال المصنف : وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه : « ونزداد كيل بعير » مال إلى هـــذا وأرسل ابنه بنيامين معهم . وأن شعيبا طمع فى زيادة ما يناله فقال « فان أتممت عشراً فمن عندك » . وأن أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل[2] جراد من ذهب فأخذ يحثو فى ثوبه يستكثر منه فقيل له أماشبعت فقال : يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز فى الطباع فاذا قصد به الخير كان خيراً محضاً .

وأما كلام المحاسبى فخطأ يدل على الجهل وبالعلم وقوله : إن الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال ، وأن رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال . فهذا محال إنما النهى عن سوء القصد بالجمع أوعن جمعه من غير وما ذكره من حديث كعب وأبى ذر فمحال من من وضع الجهال وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم . وقدروى بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت ، وبإسناد عن مالك بن عبد الله الزيادى عن أبى ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له وبيده عصاه ، فقال عثمان : ياكعب إن عبد الرحمن توفى وترك مالا فما ترى فيه ؟ فقال : إن كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به ، فرفع أبو ذر عصاه

(١) الحضر بضم المعجمة عدو الفرس .

(٢) هو الجراد الكثير .

فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهبا أنفقه ويتقبل منى . أذر خلفى ست أواقى . أنشدك الله ياعثمان أسمعت هذا ؟ ثلاث مرات قال نعم .

قال المصنف : وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه ، قال يحيى لايحتج بحديثه ، والصحيح فى التاريخ أن أبا ذر توفى سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفى سنة اثنتى وثلاثين ، فقد عاش بعد أبى ذر سبع سنين : ثم لفظ ماذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع ، ثم كيف تقول الصحابة رضى الله عنهم ، إنا نخاف على عبد الرحمن ، أوليس الإجماع منعقداً على إباحة جمع المال من حله ، فما وجه الخوف مع الإباحة ، أو يأذن الشرع فى شىء ثم يعاقب عليه ، هذا قلة فهم وفقه ، ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسبر سير الصحابة ، فانه قد خلف طلحة ثلثمائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير ، والبهار الحمل ، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتى ألف ، وخلف ابن مسعود رضى الله عنـــه تسعين ألفا ، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد .

وأما قوله : أن عبد الرحمن يحبو حبوا يوم القيامة ، فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث ، أو كان هذا مناما وليس فى اليقظة أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة ، أفترى : من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى ، ثم الحديث يرويه عمارة ابن زاذان ، وقال البخارى : وربما اضطرب حديثه ، وقال أحمد : يروى عن أنس أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم الرازى : لايحتج به ، وقال الدارقطنى : ضعيف ؛ أخبرنا ابن الحصين مرفوعا إلى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها سمعت صوتا فى المدينة ، فقالت : ما هذا؟ فقالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شىء ، قال وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت ، فقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال إن استطعت لأدخلنها قائما ، فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله عز وجل ،

وقوله : ترك المال الحلال أفضل من جمعه . ليس كذلك بل متى صح القصد بجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء . والحديث الذى ذكره عن رسول الله ﷺ من أسف على دنيا فاتته الخ محال : ما قاله رسول الله ﷺ قط . وقوله : هل تجد فى دهرك حلالا . فيقال له : وما الذى أصاب الحلال والنبي ﷺ يقول : الحلال بين والحرام بين . أترى يريد بالحلال وجود حبة مذ خرجت من المعدن ما تقلبت فى شبهة ، هذا يبعد وما طولبنا به . بل لو باع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلاشك . هذا مذهب الفقهاء وأعجب لسكوت أبى حامد بل لنصرته ما حكى وكيف يقول أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات . ولو أدعى الاجماع على خلاف هذا لصح ، ولكن تصوفه غير فتواه . وعن المروزى قال سمعت رجلا يقول لأبى عبد الله إنى فى كفاية فقال : الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى .

وقوله ينبغى للمريد أن يخرج من ماله . وقد بينا أنه إن كان حراماً أو فيه شبهة أو أن يقنع هو باليسير أو بالكسب جاز له أن يخرج منه . وإلا فلا وجه لذلك ، وأما ثعلبة فما ضره المال إنما ضره البخل بالواجب .

وأما الانبياء فقد كان لابراهيم عليه الصلاة والسلام زرع ومال ولشعيب ولغيره وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمه فان مات تركه ميراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة . وقد خلف سفيان الثورى رضى الله عنه مائتين وكان يقول : المال فى هذا الزمان سلاح وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء وإنما تجافاه قوم منهم إيثاراً للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقنعوا باليسير ولو قال هذا القائل أن التقلل منه أولى قرب الأمر ولكنه زاحم به مرتبة الاثم .

(فصل) واعلم أن الفقر مرض فمن ابتلى به فصبر أثيب على صبره ، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء والمال نعمة والنعمة تحتاج إلى شكر ، والغنى وإن تعب وخاطر كالمفتى والمجاهد والفقير كالمعتزل فى زاوية . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب سنن الصوفية باب كراهية أن يخلف الفقير

شيئاً . فذكر حديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين . فقال رسول الله ﷺ : كيتان .

قال المصنف : وهذا احتجاج من لا يفهم الحال فإن ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء فى أخذ الصدقة وحبس ما معه فلذلك قال : كيتان ، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله ﷺ لسعد : إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئا . وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالى . فقال رسول الله ﷺ : وما أبقيت لأهلك . فقلت مثله ، فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على بطلان مايقوله جهلة المتصوفة أن ليس للانسان إدخار شىء فى يومه لغده ، وإن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حق توكله . قال ابن جرير . وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام اتخذوا الغنم فانها بركة . فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لا يصح لعبد التوكل على ربه إلا بأن يصبح ولا شىء عنده من عين ولا عرض ويمسى كذلك . الا ترى كيف ادخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة .

(فصل) وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون للأوساخ ويطلبون وهذا لأن حاجة الإنسان لا تنقطع ، والعاقل يعد للمستقبل وهؤلاء مثلهم فى إخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روى فى طريق مكة فبدد الماء الذى معه . والحديث باسناد عن جابر بن عبد الله قال قدم أبو الحصين السلمى بذهب من معدنهم فقضى دينا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة ، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ضع هذه حيث اراك الله أو حيث رأيت ، قال فجاءه عن يمينه فأعرض عنه ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله ﷺ رأسه . فلما أكثر عليه أخذها من يده فحذفه بها لو أصابه لعقرته ، ثم أقبل على رسول الله ﷺ ، فقال يعمد أحدكم إلى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس . وإنما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول . وقد رواه أبو داود فى سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله . قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب

فقال : يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهى صدقة ما أملك غيرها . فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته . فقال رسول الله ﷺ : يأتى أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى . وفى رواية أخرى : خذ عنا مالك لا حاجة لنا به . وروى أبو داود من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثياباً فطرحوا . فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة . فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به : خذ ثوبك .

قال المصنف : ونقلت من خط أبى الوفاء بن عقيل . قال : قال ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلى ، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله مالا ينفقه عليهم ، فرد الرسول يا أبابكر . أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه ، فقال للرسول : إرجع اليه وقل له الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك واطلب الحق من الحق . فبعث اليه بمائة دينار . قال ابن عقيل : إن كان أنفذ اليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله . فقد أكل الشبلى الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه .

(فصل) وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها . وقال : ما أريد أن تكون ثقتى إلا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال .

أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدى فى كتابه قال سمعت الجنيد يقول دققت على أبى يعقوب الزيات بابه فى جماعة من أصحابنا . فقال : ما كان لكم شغل فى الله عز وجل يشغلكم عن المجىء إلى ، فقلت له : إذا كان مجيئنا اليك من شغلنا به فلم ننقطع عنه : فسألته عن مسألة فى التوكل فأخرج درهماً كان عنده ثم أجابنى . فأعطى التوكل حقه ثم قال : استحييت من الله أن أجيبك وعندى شىء .

قال المصنف : لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لا إخراج

صور المال . ما قال هؤلاء هذا الكلام . ولكن قل فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وما قال مثل هذا أحد منهم . وقد روينا عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه . أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة فمن أين أطعم عيالى . وهذا القول منكر عندالصوفية يخرجون قائله من التوكل ، وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرنى . وقد رووا فى ذلك حكاية عن أبى طالب الرازى قال : حضرت مع أصحابنا فى موضع فقدموا اللبن وقال لى كل فقلت لا آكله فانه يضرنى فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوما خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت : اللهم انك تعلم أنى ما أشركت بك طرفةعين ، فسمعت هاتفاً يهتف بىويقول: ولا يوم اللبن .

قال المصنف : وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها — واعلم أن من يقول هذايضرنى لايريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه . «رب إنهن أضللن كثيراً من الناس» . وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ما نفعنى مال كمال أبى بكر . وقوله : ما نفعنى مقابل لقول القائل : ماضرنى . وصح عنه أنهقال : مازالت أكلة خيبر تعادّنى فهذا أو إن قطعت أبهرى[1] وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلىالطعام فالتحاشى عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا يلتفت إلى هذيان من هذى فى مثل هذا .

(فصل) قال المصنف : وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهداً فيها . وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا فى هذا الفعل كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل . فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أى وجه كان إيثاراً للراحة وحباً للشهوات . فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس فى الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب .

(١) الأبهر عرق فى الظهر ، فاذا انقطع لم تبق معه حياة : وتعادنى بالدال المشددة تأتينى المرة بعد المرة .

ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغنى ولا لذى مرة[1] سوى ولا يبالون من بعث إليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه . وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك بالفتوح ومنها أن رزقنا لا بد أن يصل الينا ومنها أنه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه . وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه . فان النبى ﷺ قال : الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وقد قاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أكل الشبهة . وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا ممن فى ماله شبهة . وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفافا وتنزها وعن أبى بكر المروزى قال ذكرت لأبى عبد الله رجلا من المحدثين فقال رحمه الله أى رجل كان لولا خلة واحدة . ثم سكت ثم قال : ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سنة . فقال . لعمرى لقد كتبت عنه ولكن خلة واحده كان لا يبالى ممن أخذ .

قال المصنف : ولقد بلغنا أن بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئا فقبله . فقال الأمير كلنا صيادون وإنما الشباك تختلف ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل للدنيا فان النبى صلى الله عليه وسلم قال اليد العليا خير من اليد السفلى - واليد العليا هى المعطية هكذا فسره العلماء وهى الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هى الآخذة قال ابن قتيبة ولا أرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال .

(فصل) قال المصنف : ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون فى حصول الأموال من أى وجه ويفتشون مطاعمهم وسئل أحمد بن حنبل عن السرى السقطى فقال الشيخ المعروف بطيب المطعم وقال السرى صحبت جماعة إلى الغزو فاكترينا دارا فنصبت فيها تنورا فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور فأما من يرى ما قد تجدد من صوفية زماننا من كونهم لا يبالون من أين أخذوا فانه يعجب ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لى قد مضى إلى الأمير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة فقلت ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفون على

(١) المرة بكسر الميم القوة .

رءوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولا على الصدقات والصلات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطى منهم ويهنئهم بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها والله انكم أضر على الإسلام من كل مضر .

(فصل) قال المصنف : وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون فنهم من يدعى الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال وأكثر هؤلاء يضيقون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك وقد كان أبو الحسن البسطامى شيخ رباط ابن المجيان[١] يلبس الصوف صيفاً وشتاء وتقصده الناس يتبركون به فمات فخلف أربعة آلاف دينار .

قال المصنف وهذا فوق القبيح وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال صلى الله عليه وسلم كيتان .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى لباسهم ﴾

قال المصنف لما سمع أوائل القوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرقع ثوبه وإنه قال لعائشة رضى الله عنها لا تخلعى ثوباً حتى ترقعيه وإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى ثوبه رقاع وإن أويسا القرنى كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها فى الفرات ثم يخيطها فيلبسها اختاروا المرقعات وقد أبعدوا فى القياس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضون عن الدنيا زهداً وكان أكثرهم يفعل هذا لأجل الفقر كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز وعليه قميص وسخ فقال لامرأته فاطمة إغسلى قميص أمير المؤمنين فقالت والله ما له قميص غيره . فأما إذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة فما له من معنى .

(فصل) قال المصنف فأما صوفية زماننا فانهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة كل واحد منها على لون فيجعلوها خرقاً ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب وصفين الشهرة والشهوة فان لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند خلق كثير من الديباج وبها يشتهر صاحبها

---

(١) وفى النسخة الثانية المحليان ، وفى نسخة أخرى الملحيان .

أنه من الزهاد أفتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف كذا قد ظنوا وان إبليس قد لبس عليهم وقال أنتم صوفية لأن الصوفية كانوا يلبسون المرقعات وأنتم كذلك أتراهم ما علموا أن التصوف معنى لا صورة وهؤلاء قد فاتهم التشبيه فى الصورة والمعنى أما الصورة فان القدماء كانوا يرقعون ضرورة ولا يقصدون التحسن بالمرقع ولا يأخذون أثوابا جدداً مختلفة الألوان فيقطعون من كل ثوب قطعة ويلفقونها على أحسن الترقيع ويخيطونها ويسمونها مرقعة وأما عمر رضى الله عنه لما قدم بيت المقدس حين سأل القسيسون والرهبان عن أمير المسلمين فعرضوا عليهم أمراء العساكر مثل أبى عبيدة وخالدبن الوليد وغيرهما ، فقالوا ، ليس هذا المصور عندنا ، ألكم أمير أولا ، فقالوا ، لنا أمير غير هؤلاء ، فقالوا هو أمير هؤلاء ، قالوا ، نعم هو عمربن الخطاب رضى الله عنه ، فقالوا أرسلوا اليه ننظره فان كان هو سلمنا اليكم من غير قتال وان لم يكن هو فلا ، فلو حاصرتمونا ما تقدرون علينا فأرسلوا المسلمين إلى عمر رضى الله عنه واعلموه بذلك فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقعة بينها رقعة من اديم فلما رأوه الروحانية والقسوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس اليه من غير قتال ، فأين هذا مما يفعله جهال الصوفية فى زماننا فنسأل الله العفو والعافية ، وأما المعنى فان أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد .

(فصل) قال المصنف : ومن هؤلاء المذمومين من يلبس الصوف تحت الثياب ويلوح بكمه حتى يرى لباسه ، وهذا لص ليلى ، ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثم يلبس الصوف فوقها وهذا لص نهارى مكشوف . وجاء آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية وصعب عليهم البذاذة وأحبوا التنعم ولم يروا الخروج من صورة التصوف لئلا يتعطل المعاش فلبسوا الفوط الرفيعة واعتموا بالرومى الرفيع إلا إنه بغير طراز فالقميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير .

وقد لبس إبليس عليهم انكم صوفية بنفيس النفس . وإنما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا . ومن علاماتهم مصادقة الأمراء ومفارقة الفقراء كبراً وتعظما . وقد كان عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول : يابنى إسرائيل :

مالكم تأتونني وعليكم ثياب الرهبان . وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى . إلبسوا لباس الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية .

وأخبرنا محمد بن أبى القاسم قال أخبرنا حمد بن أحمد الحداد قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ثنا يحي بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار ، قال : ان من الناس ناساً إذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم ، وإذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم ، فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم .

أخبرنا محمد نا حمد نا أبو نعيم ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه ثنا أحمد بن محمد اللالى ثنا أبو حاتم ثنا هدية ثنا حزم . قال سمعت مالك بن دينار يقول : إنكم فى زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير . إنكم فى زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنتهم فى أفواههم فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم فى شباكهم .

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا أخبرنا حمد بن نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنى مهنى الشامى ثنا ضمرة عن سعيد بن شبل قال : نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد فجلس اليه . فقال له : هل لك أن أكلم بعض العشارين يجرون عليك شيئاً وتكون معهم ، قال : ماشئت يا أبا يحي فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه .

أخبرنا المحمدان قالا نا حمد نا أحمد ثنا قارون بن عبد الكبير الخطابى ثنا هشام بن على السيرافى ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبى ثنا مالك بن دينار . قال : كان فتى يتفرى فكان يأتينى . فابتلى : فولى الجسر فبينا هو يصلى إذ مرت سفينة فيها بط . فنادى بعض أعوانه قرب لنأخذ للعامل بطة : فأشار بيده سبحان الله أى بطتين قال فكان أبى إذا حدث بهذا الحديث بكى وأضحك الجلساء .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت محمد بن خفيف يقول قلت لرويم أوصنى فقال هو بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية أخبرنا بن ناصر أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر أحمد بن محمد الأردستانى،

ثنا عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبى يقول بلغنى أن رجلا قال للشبلى : قد ورد جماعة من أصحابك وهم فى الجامع فمضى فرأى عليهم المرقعات والفوط فأنشأ يقول :

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

قال المصنف رحمه الله قلت واعلم ان هذه البهرجة فى تشبيه هؤلاء بأولئك لا تخفى إلا على كل غبى فى الغاية . فأما أهل الفطنة فيعلمون أنه تنميس بارد والأمر فى ذلك على نحو قول الشاعر :

تشبهت حور الظباء بهم ان سكنت فيك ولا مثل سكن
أصامت بناطق ونافر بآنس وذو خلا بذى شجن
مشتبه أعرفه وإنما مغالطا قلت لصحبي دار من

(فصل) قال المصنف . وإنما أكره لبس الفوط المرقعات لأربعة أوجه أحدها انه ليس من لباس السلف وإنما كان السلف يرقعون ضرورة . والثانى انه يتضمن إدعاء الفقر وقد أمر الإنسان ان يظهر نعمة الله عليه . والثالث انه إظهار للزهد وقد أمرنا بستره . والرابع انه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم .

وقد أخبرنا ابن الحسين نا بن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا أبو النصر ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبى منيب الحرمى عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم ، وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرنى أبى . قال : لما دخلت بغداد فى رحلتى الثانية قصدت الشيخ أبا محمد عبد الله بن أحمد السكرى لأقرأ عليه أحاديث - وكان من المنكرين على هذه الطائفة - فأخذت فى القراءة فقال أيها الشيخ انك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك . أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله ﷺ وتسعى فى طلبه . فقلت : أيها الشيخ وأى شىء أنكرت علىّ حتى أنظر فان كان له أصل فى الشريعة لزمته ، وإن لم يكن له أصل فى الشريعة تركته فقال ما هذه الشوازك[1] التى فى مرقعتك فقلت أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما

---

(١) نوع من الشريط معمول من الحرير المصبغ .

تخبر أن رسول الله ﷺ كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج وإنما وقع الانكار لأن هذه الشوازك ليست من جنس الثوب والديباج ليس من الجبة فاستدللنا بذلك على أن لهذا أصلا فى الشرع يجوز مثله .

قال المصنف . قلت لقد أصاب السكرى فى إنكاره وقل فقه ابن طاهر فى الرد عليه فان الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلا شهرة فى لبسها . فأما الشوازك فتجمع شهرة الصورة ، وشهرة دعوى الزهد . وقد أخبرتك إنهم يقطعون الثياب الصحاح ليجعلوها شوازك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد ولهذا وقعت الكراهية . وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا أبو عبد الله بن باكويه قال سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول سمعت الحسين ابن هند يقول سمعت جعفر الحذاء يقول : لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وتزيينها يعنى بذلك ـ أصحاب المصبغات والفوط ـ أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق ثنا بن باكويه أخبرنا أبو يعقوب الخراط . قال سمعت الثورى يقول : كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت جيفاً على مزابل قال ابن باكويه : أخبرنى أبو الحسن الحنظلى . قال نظر محمد بن محمد ابن على الكتانى إلى أصحاب المرقعات فقال : إخوانى إن كان لباسكم موافقاً لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، وإن كانت مخالفة لسرائركم فقد هلكتم ورب الكعبة . أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو بكر بن خلف ثنا محمد بن الحسين السلمى . قال سمعت نصر بن أبى نصر يقول : قال أبو عبد الله محمد بن عبدالخالق الدينورى لبعض أصحابه . لايعجبنك ماترى منهذه اللبسة الظاهرة عليهم ، فما زينوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن . وقال ابن عقيل : دخلت يوماً الحمام فرأيت على بعض أوتاد السلخ جبة مشوزكة مرقعة بفوط . فقلت للحامى . أرى سلخ الحية . فمن داخل . فذكر لى بعض من يتصفف للبلاء حوشاً للأموال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وفى الصوفية من يرفع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة عن الحد أخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن على بن ثابت نا القاضى

أبو محمد الحسن بن رامين الأسد آبادى ثنا أبو محمد عبد الله بن محمد الشيرازى ثنا جعفر الخالدى ثنا بن خباب أبو الحسين صاحب ابن الكرينى قال أوصى لى ابن الكرينى بمرقعته فوزنت فردة كم من أكمامها فاذا فيه أحد عشر رطلا ، قال جعفر ، وكانت المرقعات تسمى فى ذلك الوقت الكيل[1] .

﴿ فصل ﴾ وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ . وجعلوا لها اسناداً متصلا كله كذب ومحال وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال باب السنة فى لبس الخرقة من يد الشيخ فجعل هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بثياب فيها خميصة[2] سوداء فقال من ترون أكسو هذه فسكت القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بأم خالد ، قالت فأتى بى فألبسنيها بيده . وقال : أبلى واخلق .

قال المصنف وإنما ألبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونها صبية . وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص . وأمها همينة بنت خلف . قد هاجروا إلى أرض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله ﷺ لصغر سنها وكما اتفق فلا يصير هذا سنة ، وما كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلباس الناس . ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم .

ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أو فوطة فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء فى حديث أم خالد وذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال : باب السنة فيما شرط الشيخ على المريد فى لبس المرقعة . واحتج بحديث عبادة ، بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، قال المصنف فانظر إلى هذا الفقه الدقيق ، وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب الطاعة على البيعة الإسلامية اللازمة .

---

(١) فى النسخة الثانية ـ الكبل بالباء الموحدة

(٢) كذا فى النسختين .

(فصل) وأما لبسهم المصبغات . فانها إن كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض ، وإن كانت فوطا فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وإن كانت مرقعة فهي أكثر شهرة . وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة . فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن التميمي نا أحمد بن جعفر ثنا عبدالله ابن أحمد بن حنبل ثنى أبي ثنا على بن عاصم نا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا من ثيابكم البيض فانها خير من ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم . قال عبد الله ، وحدثنى أبي ثنا يحي بن سعد عن سفيان ثنى حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن سمرة ابن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : البسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب . وكفنوا فيها موتاكم . قال الترمذى : هذان حديثان صحيحان ، وفى الباب عن ابن عمر ، قال وهذا الذى يستحبه أهل العلم ، وقال أحمد بن حنبل وإسحاق ، أحب الثياب إلينا أن نكفن فيها البياض ، وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال ، باب السنة فى لبسهم المصبغات ، واحتج بأن النبي صلوات الله عليه وسلامه ، لبس حلة حمراء ، وأنه دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء .

قال المصنف : قلت ولا ينكر أن رسول الله ﷺ لبس هذا ولا إن لبسه غير جائز ، وقد روى أنه كان يعجبه الحبرة ، وإنما المسنون الذى يأمر به ويداوم عليه وقد كانوا يلبسون الأسود والأحمر ، فأما الفوط المرقع فإنه لبس شهرة .

(فصل) وأما النهى عن لباس الشهرة وكراهته . فأخبر أبو منصور ابن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب نا ابن زرقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدى ثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضرمى ثنا روح بن عبد المؤمن ثنا وكيع بن محرز الشامى ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبي ذر . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه . أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الحسين بن على الطناجيرى وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسين بن على التميمى قالا أخبرنا أبو حفص بن شاهين ثنا خثيمة بن سليمان بن حيدرة ثنا محمد بن الهيثم ثنا أحمد ابن أبي شعيب الحرانى ثنا مجاد بن يزيد عن أبي نعيم

عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الشهرتين فقيل يارسول الله وما الشهرتان قال؟ رقة الثياب وغلظها . ولينها وخشونتها ، وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد . أخبرنا محمد بن ناصر بن محمد على بن ميمون نا عبدالوهاب ابن محمد الغندجانى نا أبو بكر بن عبدان نا محمـــد بن سهل ثنا محمد بن إسماعيل البخارى . قال : قال موسى بن حمادبن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر قال من لبس ثوبا مشهورا أذله الله يوم القيامة . قال المصنف : وقدروى لنامرفوعاقال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا حجاج ثنا شريك عن عثمان بن أبي راشد عن مهاجر الشامى عن ابن عمر . قالقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة . أخبرنامحمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد بن يوسف قالا أخبرنا أبو إسحاق البرامكى نا أبو بكر بن نجيب ثنا أبو جعفر بن ذريح ثنا هناد أبو معاويه عن ليث عن مهاجر بن أبي الحسن عن ابن عمر رضى الله عنه قال . من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلة . وعن ليث عن شهر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال من ركب مشهوراً من الدواب أعرض الله عنه ما دام عليه وإن كان كريماً .

قال المصنف . وقد روينا أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى على ولده ثوباً قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا . فان هذا الثوب شهرة . أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا اسماعيل ابن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدى ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدورى ثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال حدثنا محمد بن مزاحم ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رأى مكانى وأتيت وعلى ثوب أحمر . فما علمت انى ركبت فى الإسلام ذنباً أعظم منه للشهرة وقال سفيان الثورى . كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستبذل ، وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه . فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره .

ابن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الأصبهانى ثنا ابو محمد بن حيان ثنا أحمد بن الحسين الحذاء ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى ثنا العيص بن إسحاق : قال سمعت الفضيل يقول : تزينت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بشيء بعد شيء كل ذلك إنما هو لحب الدنيا . أنبأنا ابن الحصين . قال نا أبو على بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال ثنا إسماعيل بن على قال ثنا الحسن بن على بن شبيب قال ثنا أحمد بن أبي الحوارى . قال قال أبو سليمان : يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف . وشهوته فى قلبه بخمسة دراهم . أما يستحى أن يجاوز شهوته لباسه . ولوستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار الناس كان أسلم له قال أحمد بن أبي الحوارى قال لى سليمان ابن أبي سليمان ـ وكان يعدل بأبيه . أى شيء أرادوا بلباس الصوف . قلت : التواضع . قال : لا يتكبر أحدهم إلا إذا لبس الصوف . أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصارى نا عبدالله بن أحمد السمرقندى ثنا أبو بكر الخطيب نا الحسن بن الحسين العالى [1] نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح ثنا روح بن عبد المجيب ثنا أحمد بن عمر بن يونس قال أبصر الثورى رجلا صوفياً فقال له الثورى هذا بدعة . أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبدالمنعم بن عمر ثنا أحمد بن محمد بن زياد . قال سمعت أبا داود يقول . قال سفيان الثورى لرجل عليه صوف لباسك هذا بدعة . أنبأنا زاهر بن طاهر . أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى نا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم قال أخبرنى محمد بن عمر ثنا محمد بن المنذر قال سمعت أحمد بن شداد يقول سمعت الحسن بن الربيع يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفاً مشهوراً ـ أكره هذا . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه نى عبد الواحد بن بكر نا على ابن أبي عثمان بن زهير ثنا عثمان بن أحمد نا الحسن بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارس يقول : دخل على الموصلي على المعافى ـ وعليه جبة صوف ـ فقال له : ما هذه الشهرة يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت . فانظر أينا أشهر . فقال له المعافى : لبس شهرة البدن كشهرة اللباس . أخبرنا إسماعيل بن أبي بكر المقرى نا طاهر بن أحمد نا على بن محمد

---

(١) كذا بالمهملة .

ابن بشران نا عثمان ابن أحمد الدقاق ثنا الحسن بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارث يقول : دخل بديل على أيوب السختياني وقد مد على فراشه سبنية [1] حمراء تدفع التراب فقال بديل : ما هذا . فقال أيوب : هذا خير من الصوف الذى عليك . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق قال أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه ثنا علان بن أحمد ثنا حبيب بن الحسن ثنا الفضل بن أحمد ثنا محمد بن يسار . قال سمعت بشر بن الحارث ـ وسئل عن لبس الصوف . فشق عليه وتبين الكراهة فى وجهه ثم قال : لبس الخز والمعصفر أحب إلى من لبس الصوف فى الأمصار . أخبرنا يحي ابن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبى نا الحسين بن على الطناجيرى نا أحمد بن منصور البرسرى ثنا محمد بن مخلد ثنا أحمد بن منصور ثنى يزيد السقا رفيق محمد بن إدريس الانبارى . قال : رأيت فتى عليه مسوح قال فقلت له من لبس هذا من العلماء . من فعل هذا من العلماء ، قال قد رآنى بشر بن الحارث فلم ينكر على . قال يزيد فذهبت إلى بشر . فقلت له يا أبا نصر رأيت فلاناً عليه جبة مسوح فأنكرت عايه فقال : قدرآنى أبو نصر فلم ينكر على . قال فمال لى بشر ـ لم تستشرنى ياأبا خالد . لو قلت له لقال لى . لبس فلان ، ولبس فلان . أخبرنا أحمد بن منصور الهمدانى نا أبو على أحمد بن سعد ابن على العجلى نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسين بن إسماعيل الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا عبد الله ابن أحمد بن نصر القنطرى ثنا إبراهيم بن محمد الإمام ثنا هشام بن خالد ، قال سمعت أبا سليمان الدارنى يقول لرجل لبس الصوف ، إنك قد أظهرت آلة الزاهدين ، فماذا أورثك هذا الصوف ، فسكت الرجل ، فقال له : يكون ظاهرك قطنياً وباطنك صوفياً . أخبرنا يحي بن على المدبر نا أبو بكر محمد ابن على الخياط نا الحسن بن الحسين بن حمكان سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان ابن عبد ربه البزار يقول : سمعت أبا بكر بن الزيات البغدادى يقول سمعت ابن سيرويه يقول : دخل أبو محمد بن أخى معروف الكرخى على أبى الحسن ابن بشار وعليه جبة صوف فقال أبو الحسن : يا أبا محمد صوفت قلبك أو

---

(١) فى النسخة الثانية شبينة حمراء تدفع الرياء والسبنية ازر النساء .

جسمك ، صوف قلبك والبس القوهى على القوهى (١) . أخبرنا عبدالوهاب ابن المبارك الحافظ نا جعفر بن أحمد بن السواح نا عبدالعزيز بن حسن الضراب قال : حدثنا أبى ثنا أحمد بن مروان ثنا أبو بكر بن أبى الدنيا ثنا أحمد بن سعيد قال : سمعت النضر بن شميل يقول : قلت لبعض الصوفية ، تبيع جبتك الصوف ، فقال : إذا باع الصياد شبكته بأى شىء يصطاد .

قال أبو جعفر بن جرير الطبرى : ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان ، مع وجود السبيل إليه من حله ، ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر ، ومن ترك أكل اللحم خوفا من عارض شهوة النساء .

(فصل) قال المصنف : وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون . ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً ، وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه رأى حلة سيراء تباع عند باب المسجد ، فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك ، فقال رسول الله ﷺ إنما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة فما أنكر عليه ذكر التجمل بها ، وإنما أنكر عليه لكونها حريراً .

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا عن أبى العالية أنه قال : كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا . أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقى أنبأنا الحسن بن على الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا احمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا اسماعيل بن إبراهيم الأسدى عن ابن عون عن محمد قال : كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباساً مرتفعاً ، وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف ، ولكنه كان يصلى بها . قال ابن سعد وأخبرنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن محمد بن سيرين أن تميما الدارى اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته . قال وحدثنا عفان قال حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت ، أن تميما الدارى كانت له حلة قد ابتاعها بألف كان يلبسها الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر . وأخبرنا الفضل بن دكين ثنا همام عن قتادة أن ابن سيرين

(١) القوهى الثياب البيض .

أخبره أن تميا الدارى اشترى رداء بألف فكان يصلى بأصحابه فيه .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً ، وكان الحسن البصرى يلبس الثياب الجياد ، قال كلثوم بن جوشن خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمنى فنظر إليه فرقد ، فقال : يا أستاذ لا ينبغى لمثلك أن يكون هكذا ، فقال الحسن : يا ابن أم فرقد أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العدنية الجياد وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حد وربما لبسوا خلقان الثياب فى بيوتهم فاذا خرجوا تجملوا ولبسوا مالا يشتهرون به من الدون ولا من الأعلى . أخبرنا أحمد بن منصور الهمدانى نا أبو على أحمد بن سعد على العجلى ثنا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسن الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن على بن ابراهيم الحرانى ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ثنا محمد بن خلف ثنا عيسى بن حازم ، قال : كان لباس إبراهيم ابن أدهم كتانا قطناً فروة لم أر عليه ثياب صوف ولا ثياب شهرة . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال : سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول : رأى على ذو النون خفاً أحمر فقال انزع هذا يابنى فإنه شهرة ما لبسه رسول الله ﷺ إنما لبس النبى ﷺ خفين أسودين ساذجين . أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد ابن على بن ميمون نا عبد الكريم بن محمد المحاملى نا على بن عمر الدارقطنى نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم نا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدنى ثنى الزبير عن أبى عرية الأنصارى عن فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال : قال أبو جعفر المنصور : العرى الفادح خير من الزى الفاضح .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : واعلم أن اللباس الذى يزرى بصاحبه يتضمن إظهار الزهد ، وإظهار الفقر ، وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك مكروه ومنهى عنه . أخبرنا محمد بن ناصر نا على بن الحصين ابن أيوب نا أبو على بن شاذان ثنا أبو بكر بن سليمان النجاد ثنا أبو بكر ابن عبد الله ابن محمد القرشى ثنا عبد الله بن عمر القواريرى ثنا هشام بن عبد الملك ثنا شعبة عن ابن اسحاق

عن الأحوص عن أبيه ، قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة ، وقال : هل لك مال ، قلت : نعم قال من أى المال ، قلت : من كل المال قد آتانى الله عز وجل من الإبل والخيل والرقيق والغنم ، قال : فاذا آتاك الله عز وجل مالا فلير عليك . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا مسكين بن بكير ثنى الأوزاعى عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر ، قال : أتانا رسول الله ﷺ زائراً فى منزلى فرأى رجلا شعثاً ، فقال : أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه ، ورأى رجلا عليه ثياب وسخة ، فقال : أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالا نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى وأبو القاسم على بن المحسن التنوخى قالا نا أبو عمر محمد بن العباس بن حياة ثنا أبو بكر بن الأنبارى ثنى أبى ثنا أبو عكرمة الضبى ثنا مسعود بن بشر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، قال : مضى على بن أبى طالب إلى الربيع ابن زياد يعوده . فقال له : ياأمير المؤمنين أشكو إليك عاصما أخى ، قال : ماشأنه ، قال : ترك الملاذ ولبس العباءة فغم أهله ، وأحزن ولده ، فقال : على عاصما ، فلما حضر بش فى وجهه وقال : أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها ، انت والله أهون على الله من ذلك . فوالله لابتذالك نعم الله بالفعال ! أحب إليه من ابتذالك بالمقال ، فقال : ياأمير المؤمنين إنى أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير فتنفس الصعداء . ثم قال ويحك ياعاصم ، ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيغ بالفقير فقره . قال أبو بكر الأنبارى : المعنى لئلا يزيد ويغلو ، يقال — تبيغ به الدم — إذا زاد وجاوز الحد .

(فصل) قال المصنف : فان قال قائل تجويد اللباس هوى للنفس . وقد أمرنا بمجاهدتها . وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق . فالجواب : أنه ليس كل ما تهواه النفس يذم ولا كل التزين للناس يكره . وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه . أو كان على الرياء فى باب الدين فان الإنسان يحب أن يرى جميلا وذلك حظ النفس ولا يلام فيه ولهذا يسرح شعره ، وينظر فى المرآة ، ويسوى عمامته ، ويلبس بطانة الثوب الخشن إلى داخل . وظهارته الحسنة إلى خارج . وليس فى شىء من هذا

ما يكره ولا يذم : أخبرنا المبارك بن على الصيرفى نا على بن محمد بن العلاف نا عبد الملك ابن محمد بن بشران نا أحمد بن إبراهيم الكندى نا محمد بن جعفر الخرائطى ثنا بنان بن سليمان ثنا عبد الرحمن بن هانىء عن العلاء بن كثير عن مكحول عن عائشة قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم ، وفى الدار ركوة فيها ماء . فجعل ينظر فى الماء ويسوى شعره ولحيته ، فقلت يا رسول الله وأنت تفعل هذا ! قال نعم ، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيىء من نفسه فان الله جميل يحب الجمال . أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن على ثنا مسعود بن ناصر ابن أبى زيد نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد نا أبو القاسم عبد الله بن أحمد الفقيه نا الحسن بن سفيان ثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العرزمى عن أبيه عن أم كلثوم عن عائشة قالت : خرج رسول الله ﷺ فمر بركوة لنا فيها ماء فنظر إلى ظله فيها . ثم سوى لحيته ورأسه ثم مضى فلما رجع قلت يارسول الله تفعل هذا ؟ قال : وأى شىء فعلت ؟ نظرت فى ظل الماء فهيأت من لحيتى ورأسى . إنه لا بأس أن يفعله الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه أن يهيىء من نفسه .

قال المصنف رحمه الله : فان قيل ، فما وجه ما رويتم عن سرى السقطى أنه قال : لو أحسست بإنسان يدخل على فقلت كذا بلحيتى — وأمر يده على لحيته كأنه يريد أن يسويها من أجل دخول الداخل عليه — لخشيت أن يعذبنى الله على ذلك بالنار . فالجواب : ان هذا محمول منه على انه كان يقصد بذلك الرياء فى باب الدين من إظهار التخشع وغيره . فأما إذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه مالا يستحسن فان ذلك غير مذموم . فمن اعتقده مذموماً فما عرف الرياء ولافهم المذموم . أخبرنا سعد الخير ابن محمد الأنصارى نا على بن عبد الله بن محمد النيسابورى نا أبو الحسين عبد الغافر ابن محمد الفارسى نا محمد بن عيسى بن عمرويه ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنى يحيى بن حماد قال : أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمى عن إبراهيم النخعى عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : إن احدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس . انفرد به مسلم ومعناه الكبر كبر من بطر الحق . وغمط بمعنى ازدرى واحتقر .

(فصل) وقال المصنف رحمه الله : وقد كان فى الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر نا على بن الحسن بن جحاف ، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء ، كان أبو العباس بن عطاء يلبس المرتفع من البز كالديبق ، ويسبح بسبح اللؤلؤ ويؤثر ما طال من الثياب .

قال المصنف رحمه الله : قلت وهذا فى الشهرة كالمرقعات وإنما ينبغى أن تكون ثياب أهل الخير وسطاً ، فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء بين طرفى نقيض .

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وقد كان فى الصوفية من إذا لبس ثوبا خرق بعضه . وربما أفسد الثوب الرفيع القدر . أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرى قال : سمعت عيسى بن على الوزير يقول ، كان ابن مجاهد يوماً عند أبى ، فقيل له الشبلى ، فقال ، يدخل ، فقال ابن مجاهد ، سأسكته الساعة بين يديك ، وكان من عادة الشبلى إذا لبس شيئا خرق فيه موضعاً ، فلما جلس ، قال له ابن مجاهد ، يا أبا بكر أين فى العلم فساد ما ينتفع به فقال له الشبلى أين فى العلم « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » قال فسكت ابن مجاهد فقال له أبى أردت أن تسكته فأسكتك ، ثم قال له قد أجمع الناس إنك مقرىء الوقت فأين فى القرآن إن الحبيب لا يعذب حبيبه ، قال فسكت ابن مجاهد ، فقال له أبى : قل يا أبا بكر فقال قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم » فقال ابن مجاهد ، كأنى ما سمعتها قط .

قال المصنف رحمه الله قلت ، هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتها لأن الحسن ابن غالب كان لا يوثق به . أخبرنا القزاز نا أبو بكر الخطيب ، قال : ادعى الحسن ابن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلاقه ، فان كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلى حين احتج بهذه الآية . وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك أن قوله « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » لأنه لا يجوز أن ينسب إلى نبى معصوم أنه فعل الفساد . والمفسرون قد اختلفوا فى معنى الآية ، فمنهم من قال مسح على أعناقها وسوقها ، وقال : أنت فى سبيل الله ، فهذا إصلاح ، ومنهم من قال : عقرها ، وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئاً فيه جناح ، فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن الجائز أن يكون

فى شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون فى شرعنا . أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا محمد بن أبى الصقر ثنا على بن الحسن بن جحاف الدمشق ، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء كان مذهب أبى على الروزبارى تخريق أكمامه وتفتيق قميصه ، قال فكان يخرق الثوب المثمن فيرتدى بنصفه ويأتزر بنصفه حتى أنه دخل الحمام يوماً وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه ما يتأزرون به ، فقطعه على عددهم فأتزروا به وتقدم إليهم أن يدفعوا الخرق إذا خرجوا للحمامى ، قال ابن عطاء : قال لى أبو سعيد الكازرونى : كنت معه فى هذا اليوم وكان الرداء الذى قطعه يقوم بنحو ثلاثين ديناراً .

قال المصنف رحمه الله : ونظير هذا التفريط ما أنبأنا به زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو بكر البيهقى نا أبو عبد الله الحاكم قال سمعت عبد الله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوشنجى . يقول : كانت لى قبجة [١] طلبت بمائة درهم فحضرنى ليلة غرْبيان فقلت للوالدة : عندك شىء اضيفى . قالت : لا إلا الخبز . فذبحت القبجة وقدمتها إليهما .

قال المصنف رحمه الله : قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطى فلقد فرط . أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد قال أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمى . قال : سمعت جدى يقول : دخل أبو الحسين الدراج البغدادى الرى . وكان يحتاج إلى لفافة لرجله فدفع اليه رجل منديلا ديبقيا فشقه نصفين وتلفف به ، فقيل له : لو بعته واشتريت منه لفافاً وأنفقت الباقى ، فقال رحمه الله : أنا لا أخون المذهب .

قال المصنف : وقد كان أحمد الغزالى ببغداد نخرج إلى المحول فوقف على ناعورة تارّة فرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطع الطيلسان . قال المصنف رحمه الله قلت : فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فإنه قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه نهى عن إضاعة المال ولو أن رجلا قطع ديناراً صحيحاً وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطاً فكيف بهذا التبذير المحرم . ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد

---

(١) القبجة واحد القبج للذكر والأنثى ، وهو الحجل طائر معروف .

على ما سيأتى ذكره إن شاء الله ثم يدعون أن هذه حالة ولا خير فى حالة تنافى الشرع . أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بآرائهم ، فان كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه أنه لعناد . وإن كانوا لا يعرفوا فلعمرى إنه لجهل شديد . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد ربه الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازى يقول : لما تغير الحال على أبى عثمان وقت وفاته . مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه . ففتح أبو عثمان عينه . وقال يابنى خلاف السنة فى الظاهر ورياء باطن فى القلب .

(فصل) قال المصنف : وفى الصوفية من يبالغ فى تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضاً . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب ثنا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا محمد بن أبى عدى عن العلاء عن أبيه أنه سمع أبا سعيد : سئل عن الازار فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إزار المسلم إلى انصاف الساقين . لا جناح أو لا حرج عليه ما بينه وبين الكعبين . ما كان أسفل من ذلك فهو النار . أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله ثنا أبو حامد ابن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى . قال : كتب إلىّ عبد الرزاق عن معمر قال كان فى قميص أيوب بعض التذييل . فقيل له . فقال الشهرة اليوم فى التشمير وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانىء قال دخلت يوماً على أبى عبد الله أحمد بن حنبل وعلىّ قميص أسفل من الركبة وفوق الساق . فقال : أى شىء هذا وأنكره . وقال : هذا بالمرة لا ينبغى .

(فصل) قال المصنف : وقد كان فى الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة وهذا ايضاً شهرة لأنه على خلاف لباس أهل البلد وكل ما فيه شهرة فهو مكروه . أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار نا أبى الحسين بن على الطناجيرى نا أحمد بن منصور اليوسرى ثنا محمد بن مخلد ثنى محمد بن يوسف قال قال عباس بن عبد العظيم العنبرى . قال بشر بن الحارث ، إن ابن المبارك دخل المسجد يوم جمعة وعليه قلنسوة ، فنظر الناس عليهم قلانس فأخذها فوضعها فى كمه .

(فصل) قال المصنف : وقد كان فى الصوفية من استكثر من الثياب وسوسة

فيجعل للخلاء ثوباً وللصلاة ثوباً . وقد روى هذا عن جماعة منهم أبو يزيد وهذا لا بأس به إلا أنه ينبغي خشية أو يتخذ سنة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبدالله ثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن عبد الوهاب ثنا محمد بن إسحاق النيسابوري ثنا محمد بن الصباح ثنا حاتم يعني ابن إسماعيل ثني جعفر عن أبيه . أن على ابن الحسين قال : يا بني لو اتخذت ثوباً للغائط ، رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع على الثوب ، ثم أتيته ، فقال : ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه إلا ثوب فرفضه .

(فصل) قال المصنف : وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحد زهداً في الدنيا ، وهذا أحسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان أصلح وأحسن . أخبرنا عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبدالله بن أحمد بن حياة نا إبراهيم بن حريم بن حميدة ثنى ابن أبي شيبة ثنا محمد بن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيى بن حبان عن يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم جمعة فقال ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى مهنته . أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا محمد الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد ابن معروف الحساب نا الحارث بن أبي أسامة ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن عبد المجيد بن سهيل عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال محمد بن عمرو حدثني غير محمد بن عبد الرحمن أيضاً ببعض ذلك قالوا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم برد يمنية وإزار من نسج عمان فكان يلبسهما في يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في مطاعمهم ومشاربهم [١] ﴾

قال المصنف رحمه الله : قد بالغ إبليس في تلبيسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ومنعهم شرب الماء البارد . فلما بلغ إلى المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم .

---

(١) في الأصل وملابسهم وهو تحريف من الناسخ .

﴿ ذكر طرف مما فعله قدماؤهم ﴾

قال المصنف رحمه الله : كان فى القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته . وفيهم من يتناول كل يوم الشيء اليسير الذى لا يقيم البدن فروى لنا عن سهل بن عبدالله أنه كان فى بدايته يشتري بدرهم دبساً وبدرهمين سمناً ومدرهم دقيق الأرز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة . وحكى عنه أبو حامد الطوسى قال كان سهل يقتات ورق النبق مدة وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين واقتات بثلاث دراهم فى ثلاث سنين . أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صا ق نا ابن باكويه ثنى أبو الفرج بن حمزة التكريتى ثنى أبو عبدالله الحصرى قال سمعت أباجعفر الحداد يقول : أشرف علىّ أبو تراب يوماً وأنا على بركة ماء ولى ستة عشر يوما لم آكل شيئاً ولم أشرب فيها ماء فقال ماجلوسك ههنا فقلت أنا بين العلم واليقين وأنا انظر من يغلب فأكون معه فقال سيكون لك شأن . أخبرنا أبو بكر بن حبيب ما ن أبى صادق ثنا ابن باكويه نا عبد العزيز بن الفضل ثنا على بن عبد الله العمرى ثنا محمد بن فليح ثنى إبراهيم بن البنا البغدادى قال صحبت ذا النون من اخميم إلى الاسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصاً وملحا كان معى وقلت هلم فقال لى ملحك مدقوق . قلت نعم . قال لست تفلح فنظرت إلى مزوده فإذا فيه قليل سويق شعير يستف منه . أخبرنا ابن ظفر ما ابن السراج نا عبد العزيز بن على الازجى نا ابن جهضم ثنا محمد ابن عيسى بن هارون الدقاق ثنا احمد بن أنس ثنا بن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول الزبد بالعسل اسراف ابن جهضم وحدثنا محمد بن يوسف البصرى قال سمعت أباسعيد صاحب سهل يقول : بلغ أبا عبد الله الزبيرى وزكريا الساحى وابن أبى أوفى . أن سهل بن عبد الله يقول : انا حجة الله على الخلق . فاجتمعوا عنده فأقبل عليه الزبيرى فقال له . بلغنا أنك قلت أنا حجة الله على الخلق . فماذا ، أنبىّ أنت ؟ أصدّيق أنت . قال سهل ، لم أذهب حيث تظن ولكن إنما قلت هذا لأخذى الحلال . فتعالوا كلكم حتى نصحح الحلال . قالوا : فأنت ، قد صححته . قال نعم ، قال وكيف ، قال سهل قسمت عقلى ومعرفتى وقوتى على سبعة أجزاء . فاتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فاذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفسى خفت أن أكون قد أعنت عليها وقتلتها دفعت إليها من البلغة ما يرد الستة الأجزاء .

أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكوية قال أبو عبدالله ابن مفلح قال أخبرني أبي أخبرني أبو عبد الله بن زيد [1] قال لي : منذ أربعين سنه ماطعمت نفسي طعاما إلا في وقت ما أحل الله لها الميتة . أخبرنا ابن ناصر نا أبو الفضل محمد بن علي ابن أحمد السهلكي ثني أبو الحسن علي بن محمد القوهي ثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد ابن عيسى ثنا موسى بن عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد ، قال : جاء رجل إلى أبي يزيد قال أريد أن أجلس في مسجدك الذي أنت فيه . قال لاتطيق ذلك . فقال : إن رأيت أن توسع لي في ذلك ، فأذن له فجلس يوماً لايطعم فصبر فلما كان في اليوم الثاني . قال له يا أستاذ : لابد مما لا بد منه . فقال : ياغلام لابد من الله . قال : يا أستاذ نريد القوت . قال : ياغلام القوت عندنا إطاعة الله . فقال : يا أستاذ أريد شيئاً يقيم جسدي في طاعته عز وجل . فقال : يا غلام أن الأجسام لاتقوم إلا بالله عز وجل .

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا عثمان الآدمي يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول : حدثني أخ لي كان يصحب أبا تراب نظر إلى صوفي مد يده إلى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة ايام . فقال له تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف [illegible] إلزم السوق . أخبرنا محمد ابن أبي القاسم أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب [illegible] أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم القيرواني يقول سمعت بعض أصحابنا يقول . اقام أبو الحسن النصيبي بالحرم أياماً مع أصحاب لهم سبعة لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله . فرآه إنسان فاتبعه بشيء وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ ، من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن مع جنايتك مع هذا الرفق وخرج من الحرم ومعه أصحابه وتبعه الرجل . فقال : ألم أقل لك كن مع جنايتك ، فقال الرجل : انا تائب إلى الله تعالى مما جرى مني ، فقال الشيخ : لا كلام بعد التوبة .

---

(1) في النسخة الثانية : أبو [illegible] .

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا أبو القاسم الأزجي نا أبو الحسن بن جهضم ثنا إبراهيم بن محمد الشنوزي قال سمعت بنان بن محمد يقول كنت بمكة مجاوراً فرأيت بها إبراهيم الخواص وأتى عليّ أيام لم يفتح عليّ بشيء وكان بمكة مزين يحب الفقراء وكان من أخلاقه إذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له لحماً فطبخه فأطعمه فقصدته وقلت أريد أن أحتجم فأرسل من يشتري لحماً وأمر باصلاحه وجلست بين يديه فجعلت نفسي تقول: ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامة. ثم استيقظت وقلت: يانفس إنما جئت تحتجمين لتطعمي عاهدت الله تعالى ألا ذقت من طعامه شيئاً فلما فرغ انصرفت فقال سبحان الله أنت تعرف الشرط. فقلت. ثم عقد: فسكت. وجئت إلى المسجد الحرام ولم يقدر لي شيء آكله، فلما كان من الغد بقيت إلى آخر النهار ولم يتفق أيضاً فلما قمت لصلاة العصر سقطت وغشي عليّ واجتمع حولي ناس وحسبوا أني مجنون فقام ابراهيم وفرق الناس وجلس عندي يحدثني. ثم قال تأكل شيئاً. قلت قرب الليل. فقال: أحسنتم يامبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ثم قال فلما صلينا العشاء الآخرة إذا هو قد جاءني ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماء فوضعه بين يدي وقال: كان ذلك فأكلت الرغيفين والعدس فقال فيك فضل تأكل شيئاً آخر قلت نعم، فمضى وجاء بقطعة عدس ورغيفين فأكلتهما وقلت قد اكتفيت فاضطجعت فما قمت ليلتي ونمت إلى الصباح ماصليت ولاطفت.

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبي قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصفهاني يقول سمعت أبا علي الروزباري يقول: إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق وأمروه بالكسب. أنبأنا عبد المنعم ثنا أبي قال سمعت ابن باكويه يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول: أمرني أبو عبد الله بن خفيف ان أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره فأشفقت عليه ليلة فحملت إليه خمس عشرة حبة فنظر إلي وقال من امرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقي.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا علي بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله بن خفيف يقول: كنت في ابتدائي بقيت أربعين شهراً أفطر كل ليلة بكف

باقلاء فضيت يوماً فاقتصدت فخرج من عرق شبه ماء اللحم وغشى على . فتحير الفصاد وقال : مارأيت جسداً لادم فيه إلا هذا .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم أكل درهم من اللحم يقسى القلب اربعين صباحا . وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به على بن عبد الواحد الدينورى نا أبو الحسن القزوينى نا أبو حفص بن الزيات ثنا ابن ماجه ثنا أزهر بن جميل ثنا بزيغ عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : أحرموا أنفسكم طيب الطعام فإنما قوى الشيطان أن يجرى فى العروق بها . وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافى . وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فشرب الحار ومنهم من كان يجعل ماءه فى دن مدفون فى الأرض فيصير حاراً . يعاقب نفسه بترك الماء مدة . وأخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو الفضل محمد بن على السهلكى قال . سمعت عبد الواحد بن بكر الوريانى ثنى محمد بن سعدان ثنى عيسى بن موسى البسطامى قال سمعت أبى يقول قال سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول : ما أكلت شيئاً مما يأكله بنو آدم أربعين سنة . قال : وأسهل ما لافت نفسى منى أنى سألتها أمراً من الأمور فأبت فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة . وحكى أبو حامد الغزالى عن أبى يزيد أنه قال : دعوت نفسى إلى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد رتب أبو طالب المكى للقوم ترتيبات فى المطاعم فقال . استحب للمريد ألا يزيد على رغيفين فى يوم وليلة قال : ومن الناس من كان يعمل فى الأقوات فيقلها : وكان بعضهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهى تجف كل يوم قليلا فينقص من قوته بمقدار ذلك ، قال . ومنهم من كان يعمل فى الأوقات فيأكل كل يوم شيئاً [illegible] إلى [illegible] وثلاثة [illegible] . الجوع ينقص دم الفؤاد ويبيضه وفى بياضه نوره ، ويذيب شحم الفؤاد . وفى ذوبانه رقته . وفى رقته مفتاح المكاشفة .

قال المصنف رحمه الله تعالى : وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى كتاباً سماه رياضة النفوس قال فيه ، فينبغى للمبتدى فى هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم الدسم ويأكل كسرة كسرة ، بقطع الأدام

والفواكه واللذة ، ومجالسة الإخوان ، والنظر فى الكتب ، وهذه كلها أفراح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تملىء غما .

قال المصنف ، وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الاربعينية . يبقى أحدهم أربعين يوماً لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة اللذيذة ، فهذه نبذة من ذكر أفعالهم فى مطاعمهم يدل مذكورها على مغفلها .

﴿ فصل ﴾ فى بيان تلبس إبليس عليهم فى هذه الأفعال وإيضاح الخطأ فيها .

قال المصنف رحمه الله ، أما ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز لأنه حمل على النفس مالا تطيق ثم ان الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا تصلح مزاحمة البهائم فى أكل التبن وأى غذاء فى التبن ومثل هذه الأشياء أشهر من أن تحتاج إلى رد وقد حكى ابو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذى قد أضعفه الجوع قاعداً أفضل من صلاته قائماً إذا قواه الأكل .

قال المصنف رحمه الله ، وهذا خطأ بل إذا تقوى على القيام كان أكله عبادة لأنه يعين على العبادة وإذا تجوع إلى أن يصلى قاعداً فقد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجز له ولو كان التناول مبتة لجاز هذا فكيف وهو حلال ثم أى قربة فى هذا الجوع المعطل أدوات العبادة . وأما قول أبى حامد إن نظر إلى جانب العلم أم اليقين فإنه جهل محض لأنه ليس بين العلم واليقين تضاد إنما اليقين أعلى مراتب العلم . وأين فى العلم واليقين ترك ما تحتاج إليه النفس من المطعم والمشرب وإنما أشار بالعلم إلى ما أمر به الشرع ، وأشار باليقين إلى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح . وهؤلاء قوم شددوا فلما ابتدعوا بكاؤا كقراش فى تشددهم حتى سموا الخبز بجحدا الأصل وشددوا فى الفرع ، وقول الآخر ، مالك وهذا فى البستان تتفكر أفضل الأشياء ، كيف يقال لمن استعمل ما أبيح له أكلت تفاحاً ، وأما من عد السكر من باب العوائق وقول الآخر الزبد بالعسل إسراف فقول مردود لأن الإسراف ممنوع منه شرعاً وهذا أذن فيه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه كان يأكل القثاء بالرطب ، وكان يحب الحلواء والعسل .

وأما ما روينا عن سهل أنه قال قسمت قوتى بيني وبين عيالى ... أجزاء فهل يمدح به ولا يمدح عليه إذا لم يأمر الشرع بمثله وهو إلى التحريم أقرب لأنه ذال للنفس وترك لحقها

وكذلك قول الذى قال : ما أكلت إلى وقت أن يباح لى أكل الميتة : فإنه فعل برأيه المرذول . وحمل على النفس مع وجود الحلال . وقول أبى يزيد : القوت عندنا لله . كلام ركيك فإن البدن قد بنى على الحاجة إلى الطعام حتى إن أهل النار فى النار يحتاجون إلى الطعام . وأما التقبيح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذى طوى ثلاثا لم يسلم من لوم الشرع ، وكذلك الذى عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع فى الضعف فإنه فعل مالا يحل له ، وقول إبراهيم له أحسنتم يا مبتدئون خطأ أيضا فإنه كان ينبغى أن يلزمه بالفطر ولو كان فى رمضان إذ من له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشى عليه لا يجوز له أن يصوم .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت ثنى الأزهرى ثنا على ابن عمر ثنا أبو حامد الحضرمى ثنا عبدالرحمن بن يونس السواح ثنا بقية بن الوليد عن عبيدالله ابن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر فمات دخل النار .

قال المصنف رحمه الله قلت ، كل رجاله ثقات وقد أخبرنا به عاليا محمد ابن عبدالباقى نا أبو يعلى محمد بن الحسين نا على بن عمر السكرى ثنا أحمد بن محمد الأسدى ثنا عبدالرحمن ابن يونس فذكره وقال : من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر دخل النار .

قال المصنف رحمه الله وأما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن وما يورد هذا الأخبار عنهم إيراد مستحسناً لها إلا جاهل بأصول الشرع ، فأما العالم المتمكن فإنه لا يهوله قول معظم فكيف بفعل جاهل مبرسم ، وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان والله عز وجل أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها وأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسىء الخلق ، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة ، ودخل يوماً فقدم إليه طعام من طعام البيت فقال : لم أر لكم برمة تفور ، وكان الحسن البصرى يشترى كل يوم لحما ، وعلى هذا كان السلف إلا أن يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم لأجل الفقر ، وأما من منع نفسه الشهوات فإن هذا على الإطلاق لا يصلح لأن الله عز وجل لما خلق بنى آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل

الإخلاط الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء فتارة يزيد بعض الاخلاط فتميل الطبيعة إلى ما ينقصه مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع إلى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النفس إلى المرطبات فقد ركب فى الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتوافقه فاذا مالت النفس إلى ما يصلحها فمنعت فقد قوبلت حكمة البارى سبحانه وتعالى بردها ثم يؤثر ذلك فى البدن فكان هذا الفعل مخالفاً للشرع والعقل . ومعلوم أن البدن مطية الآدمى ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ ، وإنما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة فان أسندوا فإلى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئاً ، ولقد عجبت لأبى حامد الغزالى الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم حتى إنه قال لا ينبغى للمريد اذا تاقت نفسه الى الجماع أن يأكل ويجامع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه .

قال المصنف رحمه الله . وهذا قبيح فى الغاية فان الإدام شهوة فوق الطعام فينبغى أن لا يأكل إداماً والماء شهوة أخرى . أوليس فى الصحيح أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه بغسل واحد فهلا اقتصر على شهوة واحده . أوليس فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يأكل القثاء بالرطب وهاتان شهوتان . أوما أكل عند أبى الهيثم بن النيهان خبزاً وشواء وبسراً وشرب ماء بارداً ، أو ما كان الثورى يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم فيصلى أو ما تعلف الفرس الشعير والتبن والقت . وتطعم الناقة الخبط والحمض . وهل البدن الا ناقة وإنما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا يتخذ عاده فيحوج إلى كلفة وانما تجنب فضول الشهوات لئلا يكون سبباً لكثرة الأكل وجلب النوم . ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الانسان إلى تضييع العمر فى كسبها وربما تناولها من غير وجهها . وهذا طريق السلف فى ترك فضول الشهوات .

والحديث الذى احتجوا به أحرموا أنفسكم طيب الطعام حديث موضوع عمله يداً بزيغ الراوى . وأما إذ اقتصر الانسان على خبز الشعير والملح الجريش فانه يضر [illegible] مزاجه لأن خبز الشعير يابس [illegible] [illegible] من [illegible] والجسد [illegible] المطعم [illegible] الحاجة [illegible] الهمدانى [illegible] عبدالله الحوفى أنه كان يأكل خبز البلوط بغير إدام وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئاً [illegible]

الدهن والدسومات فلا يفعل .

قال المصنف رحمه الله : وهذا يورث القولنج الشديد . واعلم أن المذموم من الأكل إنما هو فرط الشبع وأحسن الآداب فى المطعم أدب الشارع ﷺ . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن حمكان ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا أبو المغيرة ثنا سليمان بن سليم الكنانى ثنا يحيى بن جابر الطائى . قال : سمعت المقدام بن معدى كرب يقول . سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه . حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه . فان كان لابد فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه .

قال المصنف رحمه الله قلت . فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظاً لها وسعياً فى مصلحتها . ولو سمع أبقراط هذه القسمة فى قوله . ثلث وثلث وثلث . لدهش من هذه الحكمة لأن الطعام والشراب يربوان فى المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمور فان نقص منه قليلا لم يضر وإن زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجارى على الطعام .

« فصل » قال المصنف رحمه الله : واعلم أن الصوفية إنما يأمرون بالتقلل شبانهم ومبتدئيهم ومن أضر الأشياء على الشاب الجوع فإن المشايخ يصبرون عليه والكهول أيضاً وأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع . وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديدة فلذلك تجود هضمه ويكثر تحلل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد إلى كثرة الزيت . وإذا صابر الشاب الجوع وثبته فى أول النشوء قمع نشوء نفسه فكان كمن يعرقب أصول الحيطان ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء إلى أخذ الفضول المجتمعة فى البدن فتغذيه بالاخلاط فيفسد الذهن والجسم وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل

« فصل » قال المصنف رحمه الله : وذكر العلماء التقلل الذى يضعف البدن أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز ابن على الأزجى نا ابراهيم بن جعفر الساجى نا ابو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد بن هارون الخلال نا عبد الله بن ابراهيم بن يعقوب الجيلى قال سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل . قال : له عقبة بن مكرم . هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم . فقال

مايعجبنى سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرض . قال الخلال . وأخبرنى أبو بكر احمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ثنا اسحق داود بن صبيح . قال قلت لعبد الرحمن بن مهدى . يا أبا سعيد إن ببلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية . فقال : لاتقرب هؤلاء فانا قد رأينا من هؤلاء قوماً أخرجهم الأمر إلى الجنون . وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة . ثم قال : خرج سفيان الثورى فى سفر فشيعته وكان معه سفرة فيها فالوذج وكان فيها حمل . قال الخلال . وأخبرنى المروزى قال سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل . وقال له رجل : انى منذ خمس عشرة سنة قد ولع بى إبليس . وربما وجدت وسوسة أتفكر فى الله عز وجل فقال : لعلك كنت تدمن الصوم . افطر وكل دسما وجالس القصاص .

قال المصنف رحمه الله . وفى هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم فيجتمع فى معدته أخلاط بجة فتغتذى المعدة منها مدة لأن المعدة لابد لها من شىء تهضمه . فاذا هضمت ماعندها من الطعام ولم تجد شيئاً تناولت الاخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء . وذلك الغذاء الردىء يخرج إلى الوساوس والجنون وسوء الأخلاق . وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أردأ المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط . ويتفق لهم تعود التقلل بالتدريج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياماً . ويعينهم على هذا قوة الشباب فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة . وإنما السبب ماعرفتك . وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم قال حدثنى أبى قال كانت امرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالها . فقالت : كنت فى حال الشباب أجد من نفسى أحوالا أظنها قوة الحال . فلما كبرت زالت عنى . فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا . قال سمعت أبا على الدقاق يقول ماسمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ الا رق لهذه العجوز وقال أنها كانت منصفة .

وقال المصنف : فإن قيل كيف تمنعون من التقلل وقد رويتم أن عمر رضى الله عنه كان يأكل كل يوم إحدى عشرة لقمة . وإن ابن الزبير كان يبقى أسبوعا لا يأكل وإن ابراهيم التيمى بقى شهرين . قلنا : قد يجرى للإنسان من هذا الفن فى بعض الأوقات غير أنه لا يدوم عليه . ولا يقصد الترقى اليه . وقد كان فى السلف من يجوع

عوزاً وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه . وفى العرب من يبقى أياماً لا يزيد على شرب اللبن . ونحن لا نأمر بالشبع إنما نهى عن جوع يضعف القوة ويؤذى البدن . وإذا ضعف البدن قلت العبادة . فإن حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فأقذع بالراكب . وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا عبد القادر بن يوسف نا أبو إسحق البرمكى ثنا أبو يعقوب ابن سعد النسائى ثنا جدى الحسن بن سفيان ثنا حرملة ابن يحيى ثنا عبد الله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن إسحق بن عبيد الله بن أبى طلحة عن أنس رضى الله عنه . قال : كان يطرح لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه . وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم : أنه اشترى زبداً وعسلا وخبزاً حوارى فقيل له : هذا كله تأكله فقال : إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وأما الشرب من الماء الصافى : فقد تخيره رسول الله ﷺ . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا فليح بن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أتى قوما من الأنصار يعود مريضا فاستسقى وجدول قريب منه ، فقال إن كان عندكم ماء بات فى شن وإلا كرعنا ، أخرجه البخارى . وأخبرنا منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمرو بن مهدى ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملى ثنا محمد بن عمرو بن أبى مدعور ثنا عبد العزيز بن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا .

قال المصنف : وينبغى أن يعلم أن الماء الكدر يولد الحصا فى الكلى والسدد فى الكبد ، وأما الماء البارد فإنه إذا كانت برودته معتدلة فإنه يشد المعدة ، ويقوى الشهوة ، ويحسن اللون ، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة وإذا كان الماء حاراً أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن ، وأدى إلى الاستسقاء والدق فان سخن بالشمس خيف منه البرص ، وقد كان بعض الزهاد يقول إذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت وكذلك قال أبو حامد

الغزالى . إذا أكل الإنسان ما يستلذه قسا قلبه وكره الموت وإذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتهت نفسه الافلات من الدنيا بالموت .

قال المصنف رحمه الله واعجباً كيف يصدر هذا الكلام من فقيه أترى لو تقلبت النفس فى أى فن كان من التعذيب ما أحبت الموت ثم كيف يجوز لنا تعذيبها وقد قال عز وجل « ولا تقتلوا أنفسكم » ورضى منا بالافطار فى السفر رفقاً بها وقال « يريد بكم اليسرى ولا يريد بكم العسر » أو ليست مطيتنا التى عليها وصولنا .

وكيف لا نأوى لها وهى التى   بها قطعنا السهل والحزونا

وأما معاقبة أبى يزيد نفسه بترك الماء سنة فانها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة إلا الجهال ووجه ذمها أن للنفس حقاً ومنع الحق مستحقه ظلم ، ولا يحل للانسان أن يؤذى نفسه ، ولا أن يقعد فى الشمس فى الصيف بقدر ما يتأذى ، ولا فى الثلج فى الشتاء . والماء يحفظ الرطوبات الأصلية فى البدن وينفذ الأغذية وقوام النفس بالأغذية فاذا منعها اغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أفحش الخطأ . وكذلك منعه إياها النوم ، قال ابن عقيل ، وليس للناس إقامة العقوبات ولا استيفاؤها من أنفسهم ، يدل عليه أن إقامة الإنسان الحد على نفسه لا يجزى فان فعله أعاده الامام . وهذه النفوس ودائع الله عز وجل حتى ان التصرف فى الأموال لم تطلق لأربابها إلا على وجوه مخصوصة .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد روينا فى حديث الهجرة أن النبى ﷺ تزود طعاماً وشراباً وأن أبابكر فرش له فى ظل صخرة وحلب له لبناً فى قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله ، وكل ذلك من الرفق بالنفس . وأما ما رتبه أبو طالب المكى فحمل على النفس بما يضعفها . وانما يمدح الجوع إذا كان بمقدار . وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ وأما ما صنفه الترمذى فكان ابتداء شرع برأيه الفاسد . وما وجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة وما فائدة قطع الفواكه المباحة وإذا لم ينظر فى الكتب فبأى سيرة يقتدى . وأما الأربعينية فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له من أخلص لله أربعين صباحاً لم يضره الاخلاص (١) أبداً فما وجه تقديره بأربعين صباحاً ثم لو قدر ما ذلك

---

(١) [illegible] إذا صح

فالاخلاص عمل القلب فما بال المطعم ثم ما الذى حسن منع الفاكهة ومنع الخبز وهل هذا كله إلا جهل . وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى قال حدثنا أبى قال حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب . لأن الناس اما أصحاب نقل وأثر واما أرباب عقل وفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة والذى للناس غيب فلهم ظهور فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال فينبغى لمريدهم أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينام إلا غلبة وأن يقلل غذاءه بالتدريج .

قال المصنف رحمه الله قلت : من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود فى الناس وليس أحد من الخلق إلا وهو مستدل وذكر الوصال حديث فارغ . فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والأشياخ والله الموفق .

﴿ فصل فى ذكر أحاديث تبين خطأهم فى أفعالهم ﴾

أخبرنا يحيى بن على المدير نا أبو بكر محمد بن على الخياط ثنا الحسن بن الحسين ابن حمكان ثنا عبدان بن يزيد العطار وأخبرنا محمد بن أبى منصور أنبأنا الحسن ابن أحمد الفقيه ثنا محمد بن احمد الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد ابن عيسى البرورجردى ثنا عمير بن مرداس قالا حدثنا محمد بن بكير الحضرمى ثنا القاسم بن عبد الله بن عمر ابن حفص بن عاصم العمرى عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب . قال : جاء عثمان بن مظعون إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله غلبنى حديث النفس فلم أحب أن أحدث شيئا حتى أذكر ذلك فقال رسول الله ﷺ وما تحدثك نفسك ياعثمان . قال . تحدثنى نفسى بأن أختصى . فقال : مهلا ياعثمان فإن خصى أمتى الصيام . قال : يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى أن أترهب فى الجبال . قال : مهلا ياعثمان ، فإن ترهب أمتى الجلوس فى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة قال : يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى بأن أسيح فى الأرض ، قال : مهلا يا عثمان ، فإن سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة ، قال : يا رسول الله فإن نفسى تحدثنى بأن أخرج من مالى كله ، قال : مهلا يا عثمان فإن صدقتك يوما بيوم وتكف نفسك

وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن أطلق خولة امرأتي ، قال : مهلا يا عثمان فإن هجرة أمتي من هجر ما حرم الله عليه ، أو هاجر إليّ في حياتي ، أو زار قبري بعد موتي ، أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع . قال : يارسول الله فإن نفسي تحدثني أن لا أغشاها قال : مهلا ياعثمان فإن الرجل المسلم إذا غشى أهله فإن لم يكن من وقعته تلك ولد كان له فرطاً وشفيعاً يوم القيامة وإن كان بعده كان له نوراً يوم القيامة . قال : يارسول الله فإن نفسي تحدثني أن لا آكل اللحم . قال : مهلا يا عثمان فإني أحب اللحم وآكله إذا وجدته ولو سألت ربي أن يطعمني إياه كل يوم لأطعمني ، قال : يارسول الله فإن نفسي تحدثني أن لا أمس طيبا ، قال : مهلا ياعثمان فإن جبريل أمرني بالطيب غبا ويوم الجمعة لامترك له ياعثمان لاترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل ان يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي قال المصنف رحمه الله : هذا حديث عمير بن مرداس .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا الفضل بن دكين ثنا إسرائيل ثنا أبو إسحاق عن أبي بردة ، قال : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأينها سيئة الهيئة فقلن لها : مالك ما في قريش رجل أغنى من بعلك ، قالت : مالنا منه شيء ، أما ليله فقائم ، وأما نهاره فصائم ، فدخلن إلى النبي ﷺ فذكرن ذلك له فلقيه فقال : يا عثمان أما لك بي أسوة . فقال : بأبي وأمي أنت وما ذاك قال : تصوم النهار وتقوم الليل . قال : إني لأفعل قال . لا تفعل ان لعينك عليك حقا ، وإن لجسدك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ، فصل ونم وصم وافطر . قال ابن سعد وأخبرنا عارم بن الفضل ثنا حماد بن زيد ثنا معاوية بن عياش الحرمي عن أبي قلابة أن عثمان بن مظعون اتخذ بيتا فقعد يتعبد فيه ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاه فأخذ بعضادتي باب البيت الذي هو فيه وقال : يا عثمان إن الله عز وجل لم يبعثني بالرهبانية مرتين أو ثلاثا . وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة .

أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا البخاري قال : قال موسى بن إسماعيل بن حماد

ابن زيد بن مسلم ثنا أبو معاوية بن قرة عن كهمس الهلالى قال: أسلمت وأتيت النبي ﷺ فأخبرته بإسلامى . فمكثت حولا ثم أتيته وقد ضمرت ونحل جسمي فخفض فى البصر ثم صعده ، قلت : أما تعرفنى ، قال : ومن أنت ، قلت : أنا كهمس الهلالى ، قال : فما بلغ بك ما أرى ، قلت : ما أفطرت بعدك نهاراً ، ولا نمت ليلا . قال : ومن أمرك أن تعذب نفسك صم شهر الصبر ومن كل شهر يوما ، قلت : زدنى . قال : صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين ، قلت : زدنى . قال: صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون أنبأنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ثنا أبو حازم عمر ابن أحمد العبدوى نا أبو أحمد بن الغطريف ثنا أبو بكر الذهبى ثنا حميد بن الربيع ثنا عبدة بن حميد عن الأعمش عن جرير بن حازم عن أيوب عن أبى قلابة بلغ به ﷺ أن ناسا من أصحابه احتموا النساء واللحم اجتمعوا فذكروا ترك النساء واللحم فأوعد فيه وعيداً شديداً ، وقال : لو كنت تقدمت فيه لفعلت . ثم قال : إنى لم أرسل بالرهبانية ، إن خير الدين الحنيفية السمحة .

قال المصنف رحمه الله : وقد روينا فى حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده فى مأكله ومشربه ، وقال بكر بن عبد الله : من أعطى خيراً فرؤى عليه سمى حبيب الله محدثا بنعمة الله عز وجل ومن أعطى خيراً فلم ير عليه سمى بغيض الله عز وجل معاديا لنعمة الله عز وجل .

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وهذا الذى نهينا عنه من التقلل الزائد فى الحد قد انعكس فى صوفية زماننا فصارت همتهم فى المآكل كما كانت همة متقدميهم فى الجوع ، لهم الغداء والعشاء والحلوى ، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة وقد تركوا كسب الدنيا ، وأعرضوا عن التعبد وافترشوا فراش البطالة فلا همة لأكثرهم إلا الأكل واللعب فإن أحسن محسن منهم قالوا : طرحت شكراً وإن أساء مسىء . قالوا : استغفر . ويستوفون ما يلزمونه إياه واجباً ويسمونه ولم يسنه الشرع واجباً عليه . أخبرنا عبد الرحمن ابن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا محمد ابن أحمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابورى نا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى ثنا أحمد بن سلمة نا محمد بن عبدوس السراج البغدادى ، قالا : قال أبو رويم القاضى

بالبصرة يقص على الناس فأبكى فلما فرغ من قصصه قال من يطعمنا إرزة فى الله فقام شاب من المجلس فقال أنا فقال إجلس يرحمك الله فقد عرفنا موضعك ثم قام الثانية ذلك الشاب فقال إجلس فقد عرفنا موضعك فقام الثالثة فقال أبو مرحوم لأصحابه قوموا بنا إليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا بقدر من باقلاء فأكلنا بلا ملح ثم قال أبو مرحوم على بخوان خماسى وخمس مكاكيك أرز ، وخمسة أمنان سمن وعشرة أمنان سكر ، وخمسة أمنان صنوبر ، وخمسة أمنان فستق ، فجىء بها كلها ، فقال أبو مرحوم لأصحابه : يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها ، مبيضة شمسها ، قال : اخرقوا فيها أنهارها قال فأتى بذلك السمن فأجرى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا ، قالوا مشرق لونها، مبيضة شمسها ، بجراة فيها أنهارها فقال يا إخوانى إغرسوا فيها أشجارها قال فأتى بذلك الفستق والصنوبر . فألقى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال : يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا ، قالوا : مشرق لونها ، مبيض شمسها ، مجرى فيها أنهارها . وقد غرست فيها أشجارها ، وقد تدلت لنا ثمارها ، قال : يا إخوانى ارموا الدنيا بحجارتها قال : فأتى بذلك السكر فألقى فيها ، ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه ، فقال يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا قالوا : مشرق لونها مبيضة شمسها وقد أجريت فيها أنهارها وقد غرست فيها أشجارها ، وقد تدلت لنا ثمارها ، فقال يا إخوانى : ما لنا وللدنيا اضربوا فيها براحتها ، قال : فجعل الرجل يضرب فيها راحته ويدوسها ... قال أبو الفضل أحمد بن سلمة ذكرته لأبى حاتم الرازى فقال إمله على فأمليته عليه فقال . هذا شأن الصوفية .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ فى الأكل ثم اختار من الطعام وربما ملأ كمه من غير إذن صاحب الدار وذلك حرام بالإجماع ولقد رأيت شيخا منهم قد أخذ شيئا من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب الدار فأخذه منه .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى السماع والرقص والوجد

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين ، أحدهما أنه يلهى القلب عن التفكر فى عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته ، والثانى أنه يميله إلى اللذات ،

العاجلة التى تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته إلا فى المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس ولهذا جاء فى الحديث : الغناء رقية الزنا . وقد ذكر أبو جعفر الطبرى أن الذى اتخذ الملاهى رجل من ولد قابيل يقال له ثوبال . اتخذ فى زمان مهلائيل بن قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان فانهمك ولد قابيل فى اللهو وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمور .

قال المصنف رحمه الله : وهذا لأن الالتذاذ بشىء يدعو إلى التذاذه بغيره خصوصا ما يناسبه ولما يئس إبليس أن يسمع من المتعبدين شيئا من الأصوات المحرمة كالعود نظر إلى المعنى الحاصل بالعود فدرجه فى ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وإنما مراده التدريج من شىء إلى شىء والفقيه من نظر فى الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد فان النظر إلى الأمرد مباح ان أمن ثوران الشهوة فان لم يؤمن لم يجز . وتقبيل الصبية التى لها من العمر ثلاث سنين جائز إذ لا شهوة تقع هناك فى الأغلب فإن وجد شهوة حرم ذلك ، وكذلك الخلوة بذوات المحارم فإن خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد تكلم الناس فى الغناء فاطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الاباحة ، وفصل الخطاب أن نقول ينبغى أن ينظر فى ماهية الشىء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج فى الطرقات فان أقواماً من الأعاجم يقدمون للحج فينشدون فى الطرقات أشعاراً يصفون فيها الكعبة وزمزم وربما ضربوا مع إنشادهم بطبل فسماع تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال وفى معنى هؤلاء الغزاة : فإنهم ينشدون أشعاراً يحرضون بها على الغزو . وفى معنى هذا إنشاد المبارزين للقتال للاشعار تفاخراً عند النزال وفى معنى هذا أشعار الحداة فى طريق مكة كقول قائلهم :

بشرها دليلها وقالا   غداً ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الإبل والآدمى . إلا أن ذلك التحريك لا يوجب الطا ب المخرج عن حد الاعتدال . وأصل الحداء ما أنبأنا به يحي بن الحسن بن البنا ما أبو جعفر بن المسلمة المخلص نا احمدبن سليمان الطوسى ثنا الزبير بن بكار ثنى إبراهيم بن المنذر ثنا أبو البحترى وهب عن طلحة المكى عن بعض علمائهم : أن رسول الله ﷺ مال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم فسلم عليهم فقال ان حادينا نام[١] فسمعناحاديكم فلت الكم . فهل تدرون انى كان الحداء قالوا لا والله قال إن أباهم مضر خرج إلى بعض رعاته فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح بايداه بايداه[٢] فسمعت الابل ذلك فعطفت عليه فقال مضر : لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الإبل واجتمعت فاشتقت الحداء .

قال المصنف رحمه الله : وقد كان لرسول الله ﷺ حاديقال له أنجشة يحدو فتعنق[٣] الإبل . فقال رسول الله ﷺ : باأنجشة رويدك سوقا بالقوارير ، وفى حديث سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا لىلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع . ألاتسمعنامن هنياتك . وكان عامر رجلا شاعراً فنزل يحدو بالقول يقول :

لاهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصــدقنا ولا صلينا
فالقين سكينة علينا وثبت الاقدام إذ لاقينا

قال رسول الله ﷺ:من هذا السائق . قالوا : عامر بن الأكوع فقال : يرحمه الله

قال المصنف رحمه الله : وقد روينا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال أما استماع الحداء ونشيد الإعراب فلا بأس به .

قال المصنف رحمه الله : ومن إنشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله ﷺ عليهم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

(١) فى النسخة الثانية . ان حادينا ونا ـ أى تعب .

(٢) فى النسخة الثانية وايداه مره فقط

(٣) العنق منحنى نوع من السير سريع فسيح .

وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة . وربما ضربوا عليه بالدف عند إنشاده . ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن أحمد ثنا أبي ثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي ثني الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها : أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى عليه بثوبه ـ فانتهرهما أبو بكر ـ فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه . وقال : دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد . أخرجاه في الصحيحين .

قال المصنف رحمه الله . والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لأن عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله ﷺ يسرب(١) إليها الجواري فيلعبن معها . وقد أخبرنا محمد ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكي أنبأنا عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنا منصور بن الوليد بن جعفر بن محمد حدثهم قال : قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل حديث الزهري عن عروة عن عائشة عن جوار يغنين ـ أي شيء هذا الغناء قال : غناء الركب : أتيناكم أتيناكم . قال الخلال : وحدثنا أحمد بن فرج الحمصي ثنا يحيى بن سعيد ثنا أبو عقيل عن بهية عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلا من الأنصار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها . فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة إن الأنصار أناس فيهم غزل . فما قلت . قالت : دعونا بالبركة . قال : أفلا قلتم :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء لم تسمن عذاريكم

أخبرنا أبو الحسين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي [illegible] بن عامر نا أبو بكر [illegible] عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : أهديتم الجارية إلى بيتها .

---

(١) أي [illegible]

قالت : نعم . قال : فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول :

أتينـاكم أتينـاكم فحيـونا نحييـكم

فإن الأنصار قوم فيهم غزل .

قال المصنف رحمه الله : فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به وليس مما يطرب ولا كانت دفوفهن على مايعرف اليوم . ومن ذلك أشعار ينشدها المتزهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة ويسمونها الزهديات كقول بعضهم :

يا غاديا في غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبائحا

وكم إلى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا

يا عجباً منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح أيضاً وإلى مثله أشار أحمد بن حنبل في الإباحة فيما أنبأنا به أبو عبدالعزيز كاوس نا المظفر بن الحسن الهمداني نا أبو بكر بن لالى ثنا الفضل بن الفضل الكندى قال : سمعت عبدوس يقول : سمعت أبا حامد الخلفانى يقول لأحمد بن حنبـــل : يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها فقال : مثل أي شيء قلت يقولون :

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصينى

وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتينى

فقال : أعد على . وأعدت عليه ، فقام ودخل بيته ورد الباب . فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول :

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصينى

وتخفى الذنب من خلقى وبالعصـــيان تأتينى

ومن الأشعار أشعار ينشدها النواح ، يثيرون بها الأحزان والبكاء ، فيهى عنها لما في ضمنها[1] .

فأما الأشعار التي ينشدها المغنون المتهيئون للغناء ويصفون فيها المستحسنات والخمر ونحو ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو

---

(١) كذا في الأصل : وقد سقطت ذكر العلة

وهو الغناء المعروف فى هذا الزمان مثل قول الشاعر :

ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النــــار تقتدح
خوفونى من فضيحته ليتـــه وافى وافتضح

وقد أخرجوا لهذه الأغانى ألحاناً مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز الاعتدال ، وتثير حب الهوى ، ولهم شيء يسمونه البسيط يزعج القلوب عن مهل ثم يأتون بالنشيد بعده فيجعجع القلوب . وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القضيب والإيقاع به على وفق الإنشاد والدف بالجلاجل ، والشبابة النائبة عن الزمر فذا الغناء المعروف اليوم .

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وقبل أن نتكلم فى إباحته ، أو تحريمه ، أو كراهته نقول : ينبغى للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه . ويحذر تلبيس إبليس فى إجراء هذا الغناء مجرى الأقسام المتقدمة التى يطلق عليها اسم الغناء . فلا يحمل الكل محملا واحداً . فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان . فنبدأ بالكلام فى النصيحة للنفس والإخوان فنقول :

معلوم أن طباع الآدميين تتقارب ولا تكاد تتفاوت فاذا ادعى الشاب السليم البدن الصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر عنده ولا تضره فى دينه كذبناه لما نعلم من استواء الطباع . فان ثبتت صدقه عرفنا أن به مرضاً خرج به عن حيز الاعتدال ، فان تعالى يقال : إذا انظر إلى هذه المستحسنات معتبراً فانعجب من حسن الصنعة فى دعج العينين ، ورقة الأنف ، ونقاء البياض ، فقلنا له فى أنواع المباحات ما يكفى فى العبرة وههنا مثل طبعك يسوقك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة . فان ميل الطبع شاغلا عن ذلك . وكذا من قال ان هذا الغناء المطرب المزعج للطباع المحرك لها إلى العشق [illegible] الدنيا لا يؤثر عندى [illegible] الدنيا الموصوفة فيه فاما [illegible] الهوى [illegible] وأفصح [illegible] ثم ان كان الأمر كما [illegible] ان لا [illegible] والقوم قد أباحوه على الاطلاق [illegible] الغزالى . ان التشبب

بوصف الخدود . والأصداغ ، وحسن القد . والقامة . وسائر أوصاف النساء . الصحيح أنه لا يحرم .

قال المصنف رحمه الله . فأما من قال انى لا أسمع الغناء الدنيا . وإنما آخذ منه إشارات فهو يخطىء من وجهين . أحدهما أن الطبع يسبق إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات فيكون كمن قال انى أنظر إلى هذه المرأة المستحسنة لأتفكر فى الصنعة . والثانى أنه يقل فيه وجود شيء يشار به إلى الخالق رفيد جل الخالق تبارك وتعالى أن يقال فى حقه أنه يعشق . ويقع الهيمان به . وإنما نصيبنا من معرفه الهيبة والتعظيم فقط وإذ قد انتهت الصيحة فنذكر ما قيل فى الغناء .

(فصل) أما مذهب أحمد رحمه الله . فانه كان الغناء فى زمانه إنشاد قصائد الزهد إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه . فروى عنه ابنه عبد الله أنه قال : الغناء ينبت النفاق فى القلب ، لا يعجبنى . وروى عنه إسماعيل بن إسحاق الثقفى : أنه سئل عن استماع القصائد فقال : أكرهه ، هو بدعة ، ولا يجالسون . وروى عنه أبو الحارث أنه قال : التغبير بدعة . فقيل له : أنه يرقق القلب . فقال هو بدعة . وروى عنه يعقوب الهاشمى : التغبير بدعة محدث . وروى عنه يعقوب بن غياث(١) أكره التغبير وأنه نهى عن استماعه

قال المصنف . فهذه الروايات كلها دليل على كراهة الغناء . قال أبو بكر الخلال كره أحمد القصائد لما قيل له انهم يتماجنون ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بها . قال المروزى . سألت أبا عبد الله عن القصائد . فقال : بدعة . فقلت له انهم يهجرون . فقال لا يبلغ بهم هذا كله .

قال المصنف : وقد روينا أن أحمد سمع قوالا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه فقال له صالح يا أبت أليس كنت تكره هذا . فقال : إنما قيل لى أنهم يستعملون المنكر فكرهته . فأما هذا فانى لا أكرهه . قال المصنف رحمه الله : وقد ذكر أصحابنا عن أبى بكر

---

(١) فى الـ [illegible]

[illegible] ١٢٢

الخلال وصاحبه عبد العزيز إباحة الغناء : وإنما أشار إلى ما كان فى زمانهما من القصائد الزهديات . وعلى هذا يحمل ما لم يكرهه أحمد . ويدل على ما قلت أن أحمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية . فاحتاج الصبى إلى بيعها . فقال لا تباع على أنها مغنية فقيل له أنها تساوى ثلاثين ألف درهم ولعلها إذا بيعت ساذجة تساوى عشرين ديناراً فقال لا تباع إلا على أنها ساذجة .

قال المصنف : وإنما قال هذا لأن الجارية المغنية لا تغنى بقصائد الزهديات بل بالأشعار المطربة المثيرة الطبع إلى العشق ، وهذا دليل على أن الغناء محظور إذا لو لم يكن محظوراً ما أجاز تفويت المال على اليتيم . صار هذا كقول ابن طلحة للنبى ﷺ . عندى خمر لأيتام ، فقال أرقها . فلو جاز استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى .
وروى المروزى عن أحمد حنبل أنه قال : كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء وهذا لأن المخنث لا يغنى بالقصائد الزهدية إنما يغنى بالغزل والنوح . فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن أحمد فى الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملحنة ، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو علم ما أحدث الناس من الزيادات .

(فصل) قال المصنف : وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فأخبرنا محمد بن ناصر أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو اسحاق البرمكى نا عبد العزيز ابن جعفر ثنا أبو بكر الخلال وأخبرنا عالياً سعد بن الحسن بن البنا نا أبو نصر محمد بن محمد الدبنى نا أبو بكر محمد بن عمر الوراق نا محمد بن السرى ابن عثمان التمار قالا أخبرنا عبد الله بن أحمد عن أبيه عن اسحاق بن عيسى الطباع[1] قال سألت مالك ابن أنس عن ما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال : إنما يفعله الفساق .
أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريرى قال أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال : أما مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه . وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده فإنه قد حكى زكريا الساجى أنه كان لا يرى به بأساً

---

(١) فى نسخة الطباع

(فصل) وأما مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه. أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري عن أبي الطيب الطبري. قال كان أبو حنيفة يكره الغناء مع إباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب. قال: وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة: إبراهيم، والشعبي وحماد، وسفيان الثوري وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك. قال ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف في كراهة ذلك والمنع منه إلا ما روى عبيد الله بن الحسن العنبري أنه كان لا يرى به بأساً.

(فصل) وأما مذهب الشافعي رحمة الله عليه قال حدثنا إسماعيل بن أحمد نا أحمد ابن أحمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهاني ثنا محمد بن عبد الرحمن ثنا أحمد بن محمد بن الحارث ثنا محمد بن إبراهيم بن جباد ثنا الحسن بن عبد العزيز الحروي قال سمعت محمد ابن إدريس الشافعي يقول خلفت بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يشغلون به الناس عن القرآن.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكر أبو منصور الأزهري ـ المغبرة قوم يغبرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله عز وجل تغبيراً كأنهم إذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغبرة لهذا المعنى. وقال الزجاج سموا مغبرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة. وحدثنا هبة الله بن أحمد الحريري عن أبي الطيب طاهر ابن عبد الله الطبري قال قال الشافعي: الغناء لهو مكروه يشبه الباطل. ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته. قال: وكان الشافعي يكره التغبير. قال الطبري فقد أجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد[1] وعبيد الله العنبري وقد قال رسول الله ﷺ. عليكم بالسواد الأعظم ومن شذ شذ في النار. وقال من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.

قال المصنف: وقد كان رؤساء أصحاب الشافعي رضي الله عنهم ينكرون السماع وأما قدماؤهم فلا يعرف بينهم خلاف، وأما أكابر المتأخرين فعلى الإنكار. منهم أبو الطيب الطبري وله في ذم الغناء والمنع منه كتاب مصنف [illegible]

(1) في النسخة الأصلية [illegible] هنا وفيما تقدم منه

الحريرى ومنهم القاضى أبو بكر محمد بن مظفر الشامى أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الانماطي عنه . قال لا يجوز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب . قال ومن أضاف إلى الشافعى هذا فقد كذب عليه . وقد نص الشافعى فى كتاب أدب القضاء . على أن الرجل إذا دام على الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته .

قال المصنف رحمه الله : قلت : فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم وإنما رخص فى ذلك من متأخريهم من قلّ علمه وغلبه هواه . وقال الفقهاء من أصحابنا : لا تقبل شهادة المغنى والرقاص والله الموفق .

﴿ فصل فى ذكر الأدلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما ﴾

قال المصنف . وقد استدل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى . فأما الاستدلال من القرآن فبثلاث آيات . الآية الأولى قوله عز وجل « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالا نا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله ابن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال قال حميد الخياط أخبرنا عن عمار بن أبى معاوية عن سعيد بن جبير عن أبى الصهباء . قال سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال هو والله الغناء . أخبرنا عبد الله بن على المقرى ومحمد بن ناصر الحافظ قالا نا طراد بن محمد نا أبى بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » . قال هو الغناء وأشباهه . أخبرنا عبد الله بن محمد الحاكم ويحيى ابن على المدبر قالا نا أبو الحسين بن النقور نا ابن حياة ثنا البغوى ثنا هدبه ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال الغناء . أخبرنا ابن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكى نا احمد بن جعفر بن مسلم نا احمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى ثنا احمد بن حنبل ثنا عبدة ثنا إسماعيل عن سعيد بن يسار . قال سألت عكرمة عن لهو الحديث قال الغناء . وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم النخعى .

الآية الثانية قوله عز وجل « وأنتم سامدون » . أخبرنا عبد الله بن علي نا داراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا عبيد الله ابن عمر ثنا يحيى ابن سعد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس « وأنتم سامدون » قال هو الغناء بالحميرية ـ سمدلنا ـ غنى لنا . وقال مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن سمد فلان إذا غنى .

الآية الثالثة قوله عز وجل : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك » . أخبرنا موهوب بن احمد نا ثابت بن بندار نا عمر بن إبراهيم الزهري نا عبد الله بن إبراهيم بن ماسي ثنا الحسين بن الكميت ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمي عن سفيان الثوري عن ليث عن مجاهد : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك » . قال هو الغناء والمزامير

أما السنة أخبرنا ابن الحصين نا المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد ثني أبي ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه : أنه سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق . وهو يقول : يا نافع أتسمع فأقول : نعم فيمضي حتى قلت : لا فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال : رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راع فصنع مثل هذا .

قال المصنف رحمه الله : إذا كان هذا فعلهم في حق صوت لايخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك ابن عبد الجبار نا الحسين بن محمد النصيبي ثنا إسماعيل بن سعيد بن سويد ثنا أبو بكر بن الانباري ثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار ثنا ابن أبي مريم ثنا يحيى بن ايوب عن عبيد الله ابن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال نهى رسول الله ﷺ عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن . وقال : ثمنهن حرام وقرأ (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) .

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ نا أبو منصور محمد بن محمد المقرئ نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران نا أبو بكر احمد بن عبد الواحد الحمصي نا [illegible]

ابن أبي الأسود عن أبي المهلب عن عبيد الله بن عمر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة . قال نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن التجارة فيهن وعن تعليمهن الغناء . وقال ثمنهن حرام . وقال في هذا أو نحوه . أو وقال شبهه نزلت على « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » . وقال ما من رجل يرفع عقيرة صوته للغناء إلا بعث الله له شيطانين يرتد فإنه أعي هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب ولا يزالان يضربان بأرجلهما في صدره حتى يكون هو الذي يسكت . وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها ثم قرأ ومن الناس من يشتري لهو الحديث . وروى عبد الرحمن ابن عوف عن النبي ﷺ أنه قال : إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة

أخبرنا ظفر بن علي نا أبو علي الحسن بن أحمد المقتدي نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب بن الحسن بن علي بن الوليد ثنا محمد بن كليب ثنا خلف بن خليفة عن إبان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال دخلت مع رسول الله ﷺ فإذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ففاضت عيناه فقلت يا رسول الله أتبكي وتنهانا عن البكاء فقال لست أنهى عن البكاء إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة ضرب وجه وشق جيوب ورنة شيطان .

أخبرنا عبد الله بن علي المقرى نا جدي أبو منصور محمد بن أحمد الخياط نا عبد الملك بن محمد بن بشران ثنا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا محمد بن سويد الطحان ثنا عاصم بن علي ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير ابن نفير عن مالك بن نخامر الثقفي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه . أن النبي ﷺ قال : بعثت بهدم المزمار والطبل .

أخبرنا ابن الحصين نا أبو طالب بن غيلان نا أبو بكر الشافعي ثنا عبد الله ابن محمد بن ناجية ثنا عباد بن يعقوب ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي . قال قال رسول الله ﷺ بعثت بكسر المزامير . أخبرنا أبو الفتح

الكروحي نا أبو عامر الأزدي وأبو بكر الغورجي قالا نا الجراحي ثنا المحبوبي ثنا الترمذي ثنا صالح بن عبد الله ثنا الفرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد ابن عمر بن علي بن أبي طالب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها إذا اتخذت القيان والمعازف قال الترمذي وحدثنا علي بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعيد عن رميح الجذامي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا اتخذ الفيء دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرماً ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها . فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع . وقد روى عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال . يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ . قيل يا رسول الله متى . قال : إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر . أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الأنصاري في كتاب السنن لابن ماجه قال نا أبو العباس أحمد بن محمد الأسداباذي نا أبو منصور المقومي نا أبو طلحة القاسم بن المنذر نا أبو الحسن بن ابراهيم القطان ثنا محمد بن يزيد بن ماجه ثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني نا عبد الرزاق أخبرني يحيى بن العلاء أنه سمع مكحولا يقول أنه سمع يزيد ابن عبد الله يقول أنه سمع صفوان بن أمية قال كنا مع رسول الله ﷺ فجاء عمرو ابن قرة فقال يا رسول الله . ان الله عز وجل قد كتب علي الشقوة فما أراني أرزق إلا من دفي بكفي فأذن لي في الغناء في غير فاحشة . فقال له رسول الله ﷺ لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين . كذبت يا عدو الله لقد رزقك الله حلالا طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله ولو كنت تقدمت إليك لفعلت بك وفعلت قم عني وتب إلى الله عزوجل أما إنك إن فعلت بعد التقدمة إليك ضربتك ضربا وجيعا . وحلقت رأسك مثلة ونفيتك من أهلك . وأحللت سلبك نهبة لفتيان المدينة . فقام عمرو وبه من الشر والخزي ما لا يعلمه إلا الله

عزو جل . فلما ولى قال رسول الله ﷺ هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشره الله عزوجل عريان لايستتر بهدبة كلما قام صرع .

وأما الآثار فقال ابن مسعود : الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل . وقال : اذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان . وقال : تغنه فان لم يحسن . قال له : تمنه . ومر ابن عمر رضى الله عنه بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى . قال : ألا لا سمع الله لكم . ومر بجارية صغيرة تغنى فقال : لو ترك الشيطان أحداً لترك هذه . وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء فقال . أنهاك عنه وأكرهه لك . قال . أحرام هو؟ قال : انظر يا ابن أخى إذا ميز الله الحق من الباطل فى أيهما يجعل الغناء وعن الشعبى . قال : لعن المغنى والمغنى له . أخبرنا عبد الله بن على المقرى ومحمد بن ناصر قالا نا طراد ابن محمد نا أبو الحسين بن بشران نا أبو على بن صفوان ثنا أبوبكر القرشى ثنى الحسين ابن عبد الرحمن ثنى عبد الله بن عبد الوهاب قال : أخبرنى أبوحفص عمر بن عبيد الله الأرموى . قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن جل وعز . فإنه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب . ولعمرى لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه . وقال فضيل بن عياض : الغناء رقية الزنا . وقال الضحاك : الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب . وقال يزيد بن الوليد : يا بنى أمية إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وأنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر . فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء ، فإن الغناء داعية الزنا .

قال المصنف رحمه الله : قلت : وكم قد فتنت الأصوات بالغناء من عابد وزاهد وقد ذكرنا جملة من أخبارهم فى كتابنا المسمى بذم الهوى . وأخبرنا محمد بن ناصر نا ثابت بن بندار نا أبوالحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمه أبوسعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ثنى محمد بن يحيى عن معن بن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه . قال : كان سليمان بن عبد الملك فى بادية له . فسمر ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه : فدعا بوضوء فجاءت به جارية له فبينما هى تصب عليه إذ استمدها بيده ، وأشار إليها

فإذا هي ساهية مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله إلى صوت غناء في ناحية العسكر . فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت . فإذا صوت رجـــل يغني فأنصت له حتى فهم ما يغني به من الشعر . ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضا فلما أصبح أذن للناس إذناً عاماً . فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه فأفاضوا في التليين والتحليل والتسهيل . فقال : هل بقي أحد يسمع منه فقام رجل من القوم فقال : يا أمير المؤمنين عندي رجلان من أهل ايلة حاذقان ، قال : وأين منزلك من العسكر فأومى إلى الناحية التي كان الغناء منها . فقال سليمان : يبعث إليهما فوجد الرسول أحدهما فأقبل به حتى أدخله على سليمان ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : سمير، فسأله عن الغناء . كيف هو فيه . فقال : حاذق محكم . قال : ومتى عهدك به قال : في ليلتي هذه الماضية . قال : وفي أي نواحي العسكر كنت . فذكر له الناحية التي سمع منها الصوت . قال : فما غنيت فذكر له الشعر الذي سمعه سليمان . فأقبل سليمان فقال : هدر الجمل فضبعت الناقة ، وهب التيس فشكرت الشاة ، وهدل الحمام فزافت الحمامة ، وغنى الرجل فطربت المرأة . ثم أمر به فخصي . وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر ما يكون . قالوا : بالمدينة وهو في المخنثين وهم الحذاق به والأئمة فيه فكتب إلى عامله على المدينة ، وهو أبو بكر بن محمد بن حزم . أن أخص من قبلك من المخنثين المغنين .

قال المصنف رحمه الله : وأما المعنى فقد بينا أن الغناء يخرج الانسان عن الاعتدال ويغير العقل . وبيان هذا أن الانسان اذا طرب فعل ما يستقبحه في حال صحته من غيره من تحريك رأسه ، وتصفيق يديه ، ودق الأرض برجليه . إلى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة ، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر في تغطية العقل . فينبغي أن يقع المنع منه . أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابن جهضم ثنا يحيى ابن المؤمل ثنا أبو بكر السقاف ثنا أبو سعيد الخراز . قال ذكر عند محمد ابن منصور أصحاب القصائد فقال : هؤلاء الفرارون من الله عز وجل لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لأفادهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقي أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن علي العبادي . قال،

قال أبو عبد الله بن بطة العكبرى . سألنى سائل عن استماع الغناء فنهيته عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء وإنما تفعله طائفة سموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة . يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء . يسمعونه من الأحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم اليه . تعالى الله عما يقوله الجاهلون علواً كبيرا .

﴿ فصل فى ذكر الشبه التى تعلق بها من اجاز سماع الغناء ﴾

فمنها حديث عائشة رضى الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندها بدفين وفى بعض ألفاظه دخل علىّ أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث . فقال : أبو بكر أمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ . فقال رسول الله . دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا . وقد سبق ذكر الحديث : ومنها حديث عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الانصار . فقال النبى ﷺ يا عائشة ما كان معهم من اللهو . فإن الانصار يعجبهم اللهو ـ وقد سبق ومنها حديث فضالة ابن عبيد عن النبى ﷺ أنه قال : الله أشد اذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته . قال ابن طاهر : وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء إذ لا يجوز أن يقاس على محرم ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ . أنه قال : ما أذن الله عز وجل لشىء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن . ومنها حديث حاطب عن النبى ﷺ أنه قال : فصل ما بين الحلال والحرام والضرب بالدف .

والجواب : أما حديثا عائشة رضى الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبينا أنهم كانوا ينشدون الشعر وسمى بذلك غناء لنوع يثبت فى الإنشاد وترجيع ، ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال وكيف يحتج بذلك فى الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الأصوات المطربة الواقعة فى زمان كدر عند نفوس قد تملكها الهوى ماهذا إلا مغالطة للفهم أو ليس قد صح فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد . وإنما ينبغى للمفتى أن يزن

الأحوال كما ينبغي للطبيب أن يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك وأين الغناء بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث من غناء أمرد مستحسن بآلات مستطابة وصناعة تجذب إليها النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزالة والخال والخد والقد والاعتدال فهل يثبت هناك طبع هيهات بل ينزعج شوقاً إلى المستلذ ولا يدعي أنه لا يجد ذلك إلا كاذب أو خارج عن حد الآدمية ومن ادعى أخذ الاشارة من ذلك إلى الخالق فقد استعمل فى حقه ما لا يليق به على أن الطبع يسبقه إلى ما يجد من الهوى وقد أجاب أبو الطيب الطبري عن هذا الحديث بجواب آخر . فأخبرنا أبو القاسم الحريري عنه أنه قال : هذا الحديث حجتنا لأن أبا بكر سمى ذلك مزمور الشيطان ولم ينكر النبي ﷺ على أبي بكر قوله وإنما منعه من التغليظ فى الانكار لحسن رفعته لا سيما فى يوم العيد . وقد كانت عائشة رضي الله عنها صغيرة فى ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلا ذم الغناء . وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها .

قال المصنف رحمه الله : وأما اللهو المذكور فى الحديث الآخر فليس بصريح فى الغناء فيجوز أن يكون إنشاد الشعر أو غيره . وأما التشبيه بالاستماع إلى القينة فلا يمتنع أن يكون المشبه حراماً . فإن الإنسان لو قال وجدت للعسل لذة أكثر من لذة الخمر كان كلاماً صحيحاً وإنما وقع التشبيه بالاصغاء فى الحالتين فيكون أحدهما حلالا أو حراماً لا يمنع من التشبيه . وقد قال عليه الصلاة والسلام أنكم لترون ربكم كما ترون القمر فشبه أيضاً الرؤية بإيضاح الرؤية وإن كان وقع الفرق بأن القمر فى جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزه عن ذلك والفقهاء يقولون فى ماء الوضوء لا تنشف الأعضاء منه لأنه أثر عبادة فلا يسن مسحه كدم الشهيد فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاقهما فى كونهما عبادة . وإن افترقا فى الطهارة والنجاسة . واستدلال ابن طاهر بأن القياس لا يكون إلا على مباح فقه الصوفية لا علم الفقهاء . وأما قوله يتغنى بالقرآن فقد فسره سفيان بن عيينة فقال : معناه يستغنى به وفسره الشافعي فقال : معناه يتحزن به ويترنم وقال غيرهما يجعله مكان غناء الركبان إذا ساروا . وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا . وكيف لو رأوا هذه [illegible]

الدف من سنة المرسلين فى شيء . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ فى التأويل على رسول الله ﷺ . وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر فى الناس .

قال المصنف رحمه الله قلت : ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال أحمد ابن حنبل أرجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل . أخبرنا عبدالله بن على المقرى نا نصر بن أحمد بن النظر نا أبو محمد عبدالله بن عبيدالله المؤدب ثنا الحسين بن إسماعيل المحاملى ثنا عبيدالله بن جرير بن جبلة ثنا عمر بن مرزوق ثنا زهير عن أبى اسحق عن عامر بن سعد البجلى قال طلبت ثابت ابن سعد وكان بدرياً فوجدته فى عرس له قال وإذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف فقلت ألا تنهى عن هذا قال لا : أن رسول الله ﷺ رخص لنا فى هذا . أخبرنا عبد الله بن على نا جدى أبو منصور محمد ابن أحمد الخياط نا عبد الملك بن بشران ثنا أبو على أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا أحمد القاسم الطائى ثنا ابن سهم ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن القاسم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعنى الدف .

قال المصنف رحمه الله : وكل ما احتجوا به لا يجوز أن يستدل به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثر فى الطباع ، وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فمنهم أبو نعيم الأصفهانى فانه قال كان البراء بن مالك يميل الى السماع ويستلذ بالترنم .

قال المصنف رحمه الله : وإنما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لأنه روى عنه أنه استلقى يوماً فترنم فانظر إلى هذا الاحتجاج البارد فان الإنسان لا يخلو من أن يترنم فأين الترنم من السماع للغناء المطرب . وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لأنها ليست بشيء فمنها أنه قال فى كتابه باب الاقتراح على القوال والسنة فيه . فجعل الاقتراح على القوال سنة واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه قال : استنشدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعر أمية وأخذ يقول هى هى حتى أنشدته مائة قافية وقال ابن طاهر باب الدليل على استماع الغزل قال الحجاج

سألت أبا هريرة رضى الله عنه طاف الخيالات فهاجا سقما . فقال أبو هريرة رضى الله عنه كان ينشد مثل هذا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال المصنف رحمه الله : فانظر إلى احتجاج ابن طاهر ما أعجبه كيف يحتج على جواز الغناء بإنشاد الشعر وما مثله إلا كمثل من قال : يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره أو قال : يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه فى يومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام ، وقد نسى أن إنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء .
وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه ، قال : أخبرنا محمد التميمى قال : سألت الشريف أبا على بن أبى موسى الهاشمى عن السماع فقال : ما أدرى ما أقول فيه غير إنى حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمى سنة سبعين وثلاثمائة فى دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهرى شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركى شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين ابن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر ابن الباقلانى فى دار شيخنا أبى الحسن التميمى شيخ الحنابلة فقال : أبو على لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتى فى حادثة بسنة . ومعهم أبو عبد الله غلام ، وكان يقرأ القرآن بصوت حسن فقيل له : قل شيئاً . فقال وهم يسمعون :

خطت أناملها فى بطن قرطاس رسالة بعبير لا بأنفاس
أن زرفديتك قف لى غير محتشم فإن حبك لى قد شاع فى الناس
فكان قولى لمن أدى رسالتها قف لى لأمشى على العينين والراس

قال أبو على فبعد ما رأيت هذا لا يمكننى أن أفتى فى هذه المسألة بحظر ولا إباحة .

قال المصنف رحمه الله : وهذه الحكاية إن صدق فيها محمد بن طاهر فإن شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول . ليس محمد بن طاهر بثقة حملت هذه الأبيات على أنه أنشدها لا أنه غنى بها بقضيب ومخدة إذ لو كان كذلك لذكره ثم فيها كلام يحتمل قوله لا يمكننى أن أقول فيها بحظر ولا إباحة لأنه إن كان مقلداً لهم فينبغى أن يفتى بالإباحة وإن كان ينظر فى الدليل فيلزمه مع حضورهم أن يفتى بالحظر ثم بعد ذلك يجعلها أهلا بكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب . وقد ذكرنا عن أبى حنيفة ومالك والشافعى

وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين ما يكفي في هذا وشيدنا ذلك بالأدلة . وقال ابن طاهر في كتابه : باب إكرامهم للقوال وإفرادهم الموضع له ـ واحتج بأن النبي ﷺ رمى بردة كانت عليه إلى كعب بن زهير لما أنشده بانت سعاد . وإنما ذكرت هذا ليعرف قدر فقه هذا الرجل واستنباطه وإلا فالزمان أشرف من أن يضيع بمثل هذا التخليط . وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر نا أبو سعيد إسماعيل بن الحجاجي ثنا أبو محمد ابن العباس بن بلال قال : سمعت سعيد بن محمد قال : حدثني إبراهيم بن عبد الله وكان الناس يتبركون به قال : حدثنا المزني قال : مررنا مع الشافعي وإبراهيم بن إسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم :

خليلي ما بال المطايا كأننا نراها على الأعقاب بالقوم تنكص

فقال الشافعي : ميلوا بنا نسمع . فلما فرغت قال الشافعي لإبراهيم : أيطربك هذا قال . لا . قال : فما بالك حس .

قال المصنف رحمه : قلت : وهذا محال على الشافعي رضي الله عنه ، وفي الرواية مجهولون وابن طاهر لا يوثق به وقد كان الشافعي أجل من هذا كله . ويدل على صحة ما ذكرناه ما أخبرنا به أبو القاسم الحريري عن أبي الطيب الطبري . قال : أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فإن أصحاب الشافعي قالوا : لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة قال : وقال الشافعي : وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته . ثم غلظ القول فيه فقال : وهو دياثة .

قال المصنف رحمه الله : وإنما جعل صاحبها سفيهاً فاسقاً لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا إلى الباطل كان سفيهاً فاسقاً .

قال المصنف رحمه الله : قلت : وقد أخبرنا محمد بن القاسم البغدادي عن أبي محمد التيمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : اشترى سعد بن عبد الله الدمشقي جارية قوالة للفقراء وكانت تقول لهم القصائد .

قال المصنف رحمه الله . قلت : وقد ذكر أبو طالب المكي في كتابه قال : أدركنا مروان القاضي وله جوار يسمعن التلحين قد أعدهن للصوفية . قال : وكانت لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يسمعون التلحين منهما .

قال المصنف رحمه الله : قلت : أما سعد الدمشقي فرجل جاهل ، والحكاية عن عطاء محال وكذب ، وإن صحت الحكاية عن مروان[1] فهو فاسق والدليل على ما قلنا : ما ذكرنا عن الشافعي رضى الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فمالوا إلى الهوى . وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال : أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قالا : أنبأنا الحاكم أبو عبد الله النيسابوري قال : أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفي في دار أبي بكر الأبريسمي للسماع من هزارة رحمها الله فإنها كانت من مستورات القوالات .

قال المصنف : قلت : وهذا أقبح شيء من مثل الحاكم كيف خفي عليه أنه لا يحل له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثم يذكر هذا في كتاب تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قد حافي عدالته .

قال المصنف رحمه الله : فإن قيل ما تقول فيما أخبركم به إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عمر بن عبد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد نا حنبل بن إسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا جرير عن مغيرة قال : كان عون بن عبد الله يقص فإذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب . قال المغيرة : فأرسلت إليه أو أردت أن أرسل إليه إنك من أهل بيت صدق وأن الله عز وجل لم يبعث نبيه ﷺ بالحمق . وإن صنيعك هذا صنيع أحمق . فالجواب : انا لا نظن بعون أنه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب أن يسمعها منفرداً وهي ملكه . فقال له مغيرة الفقيه : هذا القول وكره أن تطرب الجارية ويرقصهن ويطربهن . وقد ذكر أبو طالب المكي أن عبد الله بن جعفر كان يسمع الغناء .

قال المصنف رحمه الله . وإنما كان يسمع إنشاد جواريه وقد أردف ابن طاهر الحكاية التي ذكرها عن الشافعي وقد ذكرناها آنفاً بحكاية عن أحمد بن حنبل رواها من طريق عبد الرحمن السلمي قال حدثنا الحسين بن أحمد قال سمعت أبا العباس الفرغاني يقول سمعت صالح بن أحمد بن حنبل يقول : كنت أحب السماع وكان أبي أحمد يكره ذلك فوعدت ليلة ابن الخبازة فمكث عندي إلى أن علمت أن أبي قد نام

(١) في النسخة الثانية أبي مروان

وأخذ يغني فسمعت حس أبي فوق السطح فصعدت فرأيت أبي فوق السطح يسمع وذيله تحت أبطه يتبخطر على السطح كأنه يرقص .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق ففي بعض الطرق عن صالح قال : كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبي في الزقاق يذهب ويجيء ويسمع إليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من وراء الباب يستمع وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا أحمد بن علي ابن الحسين النوري ثنا يوسف بن عمر القواس قال سمعت أبا بكر بن مالك القطيعي يحكي أظنه عن عبد الله بن أحمد قال كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبي ينهاني عن التغني فكنت إذا كان ابن الخبازة عندي أكتمه عن أبي لئلا يسمع فكان ذات ليلة عندي وكان يغني[1] فعرضت لأبي عندنا حاجة وكنا في زقاق فجاء فسمعه يغني فتسمع فوقع في سمعه شيء من قوله فخرجت لأنظر فإذا بأبي ذاهباً وجائياً فرددت الباب فدخلت فلما كان من الغد . قال لي : يابني إذا كان هذا : نعم .. الكلام أو معناه .

قال المصنف رحمه الله . وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزهديات التي فيها ذكر الآخرة . ولذلك استمع إليه أحمد ، وقول من قال يزعج فإن الإنسان قد يزعجه الطرب فيميل يميناً وشمالا . وأما رواية ابن طاهر التي فيها فرأيته وذيله تحت أبطه يبخترعلى السطح كأنه يرقص فإنما هو من تغيير الرواة وتغييرهم لا يظنونه المعنى[2] تصحيحا لمذهبهم في الرقص . وقد ذكرنا القدح في السلمي وفي ابن طاهر الراويين لهذه اللفظات . وقد احتج لهم أبو طالب المكي على جواز السماع بمنامات وقسم السماع الى أنواع وهو تقسيم صوفي لا أصل له . وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحرك النفس إلى الهوى فهو كاذب . وقد أخبرنا أبو القاسم الحريري عن أبي طالب الطبري قال : قال بعضهم . انا لا نسمع الغناء

(١) في النسخة الثانية وكان يقول أي ينشد بدل قوله ويغني في المكانين .

(٢) كذا في النسختين وفي العبارة نقص أو تصحيف [illegible]

بالطبع الذى يشترك فيه الخاص والعام : قال وهذا تجاهل منه عظيم لأمرين . أحدهما أنه يلزمه على هذا أن يستبيح العود والطنبور وسائر الملاهى لأنه يسمعه بالطبع الذى لايشاركه فيه أحد من الناس فإن لم يستبح ذلك فقد نقض قوله وإن استباح فقد فسق والثانى أن هذا المدعى لايخلو من أن يدعى أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة . فإن قال هذا فقد تخرص على طبعه وعلم كل عاقل كذبه إذا رجع إلى نفسه ووجب أن لا يكون مجاهداً لنفسه ولا مخالفاً لهواه ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات . وهذا لايقوله عاقل وإن قال أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشهوة : قلنا له : فكيف تسمع الغناء المطرب بغير طبعك ، أو تطرب لسماعه لغير ما غرس فى نفسك .

اخبرنا ابن ناصر نا أحمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال . سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول : سئل أبو على الروذبارى عمن سمع الملاهى ويقول هى لى حلال لأنى قد وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الأحوال فقال نعم . قد وصل لعمرى ولكن إلى سقر .

قال المصنف رحمه الله : فإن قيل قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا من المنشد شيئاً فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به قلنا : لا ننكر أن يسمع الإنسان بيتاً من الشعر أو حكمة فيأخذها إشارة فتزعجه بمعناها لا لأن الصوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول :

كل يوم تتـــلون غير هذا بك أجمل

فصاح ومات فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت إلى التلحين وإنما قتله المعنى ثم ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالاستعداد لسماع الأبيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق إلى غير ذلك ثم إن ذلك السامع لم يقصد السماع ولو سألنا هل يجوز لى أن أقصد سماع ذلك منعناه

قال المصنف رحمه الله : وقد احتج لهم أبو حامد الطوسى بأشياء نزل فيها من رتبته عن الفهم [illegible] [illegible] أنه قال : ما يدل على تحريم السماع نص ، ولا قياس وجواب

هذا ما قد أسلفناه وقال : لا وجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزوناً فلا يحرم أيضاً وإذا لم يحرم الآحاد فلا يحرم المجموع . فان أفراد المباحثات إذا اجتمعت كان المجموع مباحاً قال : ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شيء محظور حرم نثره ونظمه ، وحرم التصويت به .

قال المصنف رحمه الله : قلت : وإنى لأتعجب من مثل هذا الكلام فان الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج ، وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم . وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم . وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم . وكذلك هذا المجموع يوجب طربا يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك . وقال ابن عقيل : الأصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح . فالمحرم الزمر والناى والسرنا والطنبور والمعزفه والرباب وما ماثلها ، نص الإمام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك . ويلحق به الجرافة(١) والجنك لأن هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل فى طباع الغالب من الناس مايفعله المسكر ، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور . لأن النبى ﷺ نهى عن صوتين أحمقين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة ، والمكروه القضيب لكنه ليس بمطرب فى نفسه وإنما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول ، والقول مكروه ، ومن أصحابنا من يحرم القضيب كما يحرم آلات اللهو فيكون فيه وجهان كالقول(٢) نفسه والمباح الدف وقد ذكرنا عن أحمد أنه قال أرجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل وقد قال أبو حامد : من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسماع فى حقه مؤكد لعشقه .

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أى توكيد لعشقه فى قول المغنى :

(١) فى الثانيه : الجراية وهذه كلها أسماء لآلات الملاهى وفى نسخة الجرانه

(٢) وفى نسخة كالعود .

ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح

قال المصنف رحمه الله قلت : وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول : أن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حـــداها الحادى إلى الله بالأناشيد فقال ابن عقيل : لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله فى القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى قال : (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) وما قال : وإذا أنشدت عليه القصائد طربت . فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتعدد عنه فتنه . ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون . بل ينبغى النظر إلى المحال التى أحالنا عليها الإبل والخيل والرياح ونحو ذلك ، فانها منظورات لاتهيج طبعاً بل تورث استعظاما للفاعل . وإنما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم ، ولم تقفوا حتى قلتم هذه الحقيقة . وأنتم زنادقة فى زى عباد ، شرهين فى زى زهاد مشبهة تعتقدون أن الله عز وجل يعشق ويهام فيه . ويؤلف ويؤنس به ، وبئس التوهم لأن الله عز وجل خلق الذوات مشاكلة لأن أصولها مشاكلة فهى تتؤانس وتتألم بأصولها العنصرية وتراكيبها المثالية فى الأشكال الحديثة . فمن ههنا جاء التلاوم والميل وعشق بعضهم بعضا ، وعلى قدر التقارب فى الصورة يتأكد الأنس . والواحد منا يأنس بالماء لأن فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النمائية وهو بالحيوان آنس لمشاركته فى أخص النوع به أو أقربه اليه فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق وما الذى بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة وإنما هؤلاء يصورون البارى سبحانه وتعالى صورة تثبت فى القلوب ، وما ذاك الله عز وجل ذاك صنم شكله الطبع والشيطان وليس لله وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه الأنفس وإنما مباينة الإلهية للمحدث أوجبت فى الأنفس هيبة وحشمة فما يدعيه عشاق الصوفية لله فى محبة الله إنما هو وهم اعترض . وصورة شكلت فى نفوس فحجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس فاذا غابت بحكم مايقتضيه العقل أقلقهم الشوق إليها فنالهم من الوجد وتحرك الطبع والهيمان ماينال الهائم فى العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التى يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام .

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدى السماع لعلمهم بما يثير من قلبه . أخبرنا عمر بن ظفر المقرى نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن على الأزجى ثنا بن جهضم ثنى أبو عبد الله المقرى ثنا عبد الله ابن صالح قال قال لى جنيد . إذا رأيت المريد يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد ابن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه قال: سمعت أحمد بن محمد البردعي يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول لبعض أصحابه : إذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترج خيره .

قال المصنف رحمه الله : هذا قول مشايخ القوم وإنما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين . أحدهما سوء ظن العوام بقدمائهم لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا . والثانى أنهم جرأوا العوام على اللعب فليس للعامى حجة فى لعبه إلا أن يقول فلان يفعل كذا ويفعل كذا .

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وما ذاك إلا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوازن وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبى وقال سمعت أبا حاتم محمد بن أحمد بن يحيى السجستانى قال سمعت أبا نصر السراج يقول : حكى لى بعض إخوانى عن أبى الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سألت عن منزله وكل من أسأله عنه يقول إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت جئت إلى هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد فى المحراب بين يديه رجل على يديه مصحف وهو يقرأ فدنوت فسلمت فرد السلام وقال من أين قلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال تحسن أن تقول شيئاً فقلت نعم وقلت :

رأيتك تبنى دائماً فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه .

ثم قال لى يابنى لاتلوم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن لم تقطر من عينى قطرة وقد قامت علىّ القيامة بهذا البيت .

وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن نا أبى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول : فأخرجت إلى مرو فى حياة الأستاذ أبى سهل الصعلوكى وكان له قبل خروجى أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات فوجدته عند خروجى قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرغانى فى ذلك الوقت مجلس القوال يعنى المغنى فتداخلنى من ذلك شىء فكنت أقول قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال . فقال لى يوماً : أى شىء تقول فى الناس . فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول فقال : من قال لاستاذه لمَ لم يفلح .

قال المصنف رحمه الله : هذه دعاة الصوفية يقولون الشيخ يسلم له حاله وما لنا أحد يسلم إليه حاله . فان الآدمى يرد عن مراداته بالشرع والعقل والبهائم بالسوط .

(فصل) وقد اعتقد قوم من الصوفية أن هذا الغناء الذى ذكرنا عن قوم تحريمه وعن آخر كراهته مستحب فى حق قوم . وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى قال حدثنا أبى قال سمعت أبا على الدقاق يقول : السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم ، ومستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .

قال المصنف رحمه الله قلت . وهذا غلط من خمسة أوجه . أحدها انا قد ذكرنا عن أبى حامد الغزالى أنه يباح سماعه لكل أحد . وأبو حامد كان أعرف من هذا القائل . والثانى أن طباع النفوس لا تتغير وإنما المجاهدة تكف عاديتها فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال . فاذا جاء ما يثير الطباع وانهدم الذى كان يكفها عادت العادة . والثالث أن العلماء اختلفوا فى تحريمه وإباحته ولم [illegible] السامع لعلمهم أن الطباع تتساوى [illegible] عن طباع الآدميين ادعى المحال . والرابع أن الإجماع انعقد على أنه ليس بمستحب وإنما غايته الإباحة [illegible] خروج عن الإجماع [illegible] والخامس أنه [illegible] أن يكون سماعه [illegible] عند من لا يقدر [illegible] لأنه إنما حرم لأنه يؤثر فى الطباع ويدعوها إلى الهوى فاذا أمن ذلك فينبغى أن يباح ، وقد ذكرنا هذا عن أبى الطيب الطبرى .

(فصل) قال المصنف رحمه الله . وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة إلى الله عز وجل . قال أبو طالب المكي . حدثني بعض أشياخنا عن الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن . عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة . وعند المذاكرة لأنهم يتجاوزون في مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً .

قال المصنف رحمه الله قلت ، وهذا إن صح عن الجنيد وأحسنا به الظن كان محمولا على ما يسمعونه من القصائد الزهدية فإنها توجب الرقة والبكاء ، فاما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى ويحمل ذلك على صفات الباري سبحانه وتعالى فلا يجوز اعتقاد هذا ولو صح أخذ الإشارة من ذلك كانت الإشارة مستغرقة في جنب غلبة الطباع . ويدل على ما حملنا الأمر عليه أنه لم يكن ينشد في زمان الجنيد مثل ما ينشد اليوم إلا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال . فحدثني أبو جعفر أحمد بن أزهر بن عبد الوهاب السباك عن شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال كان أبو الوفا الفيروزبادي شيخ رباط الزوزني صديقاً لي ، فكان يقول لي والله إني لأدعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة والقول ، قال فكان الشيخ عبد الوهاب يتعجب ويقول أترون هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة إن هذا لعظيم . وقال ابن عقيل : قد سمعنا منهم أن الدعاء عند حدو الحادي وعند حضور المخدة مجاب وذلك أنهم يعتقدون أنه قربة يتقرب بها إلى الله تعالى ، قال وهذا كفر ، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً ، قال والناس بين تحريمه وكراهيته . أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرني علي بن أيوب قال أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا الحسين بن فهم قال حدثني أبو همام قال حدثني ابراهيم بن أعين قال قال صالح المري ، أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قربة ، وأثبت الناس قدماً يوم القيامه آخذهم بكتاب الله وسنة نبيا محمد ﷺ . أنبأنا ابو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري قال حدثنا ابي قال سمعت ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت

محمد بن عبد الله ابن شاذان يقول سمعت أبا بكر النهاوندي يقول سمعت علياً السائح
يقول سمعت أبا الحارث الأولاسي يقول رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح
أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف . فقال
لطائفة منهم قولوا وغنوا ، فاستغرقني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح
ثم قال ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون . ثم قال لي يا أبا الحارث ما أصبت منكم
شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الوجد ﴾

قال المصنف رحمه الله : هذه الطائفة إذا سمعت الغناء تواجدت ، وصفقت
وصاحت ومزقت الثياب ، وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالغ . وقد احتجوا بما
أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد ابن الفضل
الكرماني قال أخبرنا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبد الله بن
علي السراج الطوسي . قال وقد قيل له : إنه لما نزلت : «وإن جهنم لموعدهم أجمعين» :
صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام . واحتجوا بما
أخبرنا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو الحسن بن عبد الجبار قال
أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف بن دوست قال أخبرنا
الحسين بن صفوان قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي قال أخبرنا علي بن الجعد
قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل . قال خرجنا مع عبد الله
ومعنا الربيع بن خثيم فمررنا على حداد فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار فنظر الربيع
إليها فمال ليسقط ثم إن عبد الله مضى حتى أتينا على أتون على شاطىء الفرات فلما رآه
عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية : «إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظاً وزفيراً» إلى قوله «ثبوراً» فصعق الربيع واحتملناه إلى أهله ورابطه عبد الله
حتى صلى الظهر فلم يفق ثم رابطه إلى العصر فلم يفق ثم رابطه إلى المغرب فأفاق فرجع
عبد الله إلى أهله . قالوا : وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا إذا سمعوا
القرآن فمنهم من يموت ، ومنهم من يصعق ويغشى عليه ، ومنهم من يصيح ، وهذا كثير
في كتب الزهد . والجواب : أما ما ذكروه عن سلمان فمحال وكذب ، ثم ليس له إسناد

والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلا . وأما حكاية الربيع بن خثيم فان راويها عيسى بن سليم وفيه معمر . أنبأنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد المظفر الشامى قال أخبرنا أبو الحسن أحمد ابن محمد العتيق قال أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد الصيدلانى قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي : قال قال أحمد بن حنبل عيسى بن سليم عن أبي وائل لا أعرفه . قال العقيلي : وحدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثنى أبي قال حدثنى بن آدم . قال سمعت حمزة الزيات قال لسفيان أنهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق . قال : ومن يروى هذا إنما يرويه ذاك القاص ـ يعنى عيسى بن سليم ـ فلقيته فقلت . عمن تروى أنت ذا ـ منكراً عليه .

قال المصنف رحمه الله قلت : فهذا سفيان الثورى ينكر أن يكون الربيع ابن خثيم جرى له هذا لأن الرجل كان على السمت الأول ، وما كان فى الصحابة من يجرى له مثل هذا ولا التابعين . ثم نقول على تقدير الصحة . ان الإنسان قد يخشى عليه الخوف فيسكنه الخوف ويسكته فيبقى كالميت وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب . فأما من يدعى الوجد ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى إلى تخريق الثياب وفعل المنكرات فى الشرع فإنا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به .

وأخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن على بن ثابت قال أخبرنا محمد بن على بن الفتح قال أخبرنا محمد بن الحسين النيسابورى قال سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول : كان للشبلى يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوماً صيحة تشوش من حوله من الخلق وكان بجنب حلقته حلقة أبي عمران الأشيب فحرد أبو عمران وأهل حلقته .

قال المصنف رحمه الله . واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب . وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع . فجرى من بعض غرائبهم نحو ما أنكرناه فبالغ رسول الله ﷺ فى الإنكار عليه . فأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال أنبأنا أحمد بن خلف أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وأنبأنا بن الحصين قال أنبأنا أبو على بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال حدثنا عثمان بن أحمد

ابن عبدالله قال حدثنا أحمد بن محمدبن عبدالحميد الجعفى قال حدثنا عبدالمتعال بن طالب قال حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس قال . وعظ رسول الله ﷺ يوماً فإذا رجل قدصعق . فقال النبي ﷺ من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذبا فحته الله . قال ابن شاهين وحدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيرى قال حدثنا روح بن عطاء بن أبي ميمون عن أبيه عن انس بن مالك . قال ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال أنس : لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنيناً حين أخذتهم الموعظة وماسقط منهم أحد .

قال المصنف رحمه الله : وهذا حديث العرباض بن سارية . وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب . قال أبو بكر الآجرى ولم يقل صرخنا ولاضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان . أخبرنا عبدالله بن على المقرى قال أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار ابن إبراهيم قال أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال أخبرنا أحمد بن جعفر ابن حمدان قال اخبرنا ابراهيم بن عبدالله البصرى قال حدثنا ابو عمر حفص ابن عبدالله الضرير قال أخبرنا خالدبن عبدالله الواسطى قال حدثنا حصين ابن عبد الرحمن . قال : قلت لأسماء بنت أبي بكر . كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله عند قراءة القرآن ، قالت : كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم . فقلت لها : إن ههنا رجالا إذ قرىء على أحدهم القرآن غشى عليه فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا الوليد بن شجاع ثنا اسحاق الحلبي ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة قال : سألت أسماء بنت أبي بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف قالت : لا ولكنهم كانوا يبكون .

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى وأخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قالا : أخبرنا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا سريج بن يونس ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحى عن

أبي حازم قال : مر ابن عمر رضى الله عنه برجل ساقط من العراق . فقال : ما شأنه ؟ فقالوا : إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا : قال : إنا لنخشى الله عز وجل وما نسقط .

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن على الرستمى نا أبو الحسين بن بشران ثنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة عن عبد الله ابن أبي بردة عن ابن عباس : أنه ذكر الخوارج ومايلقون عند تلاوة القرآن . فقال : إنهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم مضلون .

أنبأنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن بكر ابن عبد الرازق نا إبراهيم بن فهد عن إبراهيم بن الحجاج الشامى ثنا شبيب بن مهران عن قتادة قال : قيل لأنس بن مالك : إن ناساً إذا قرئ عليهم القرآن يصعقون فقال : ذاك فعل الخوارج .

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا عمر ابن على ابن الفتح نا أحمد بن محمد الكاتب ثنا عبد الله بن المغيرة ثنا أحمد بن سعيد الدمشقى قال : بلغ عبد الله بن الزبير أن ابنه عامراً صحب قوماً يتصعقون عند قراءة القرآن . فقال له : يا عامر لأعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعك جلداً .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن العباس ثنا الزبير بن بكار ثنى عبد الله بن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال : ثنى أبى عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : جئت إلى أبى فقال لى : أين كنت . فقلت : وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم . يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عز وجل فقعدت معهم قال : لا تقعد معهم بعدها . فرآنى كأنى لم يأخذ ذلك فىّ فقال : رأيت رســـول الله ﷺ يتلو القرآن ولا يصيبهم هذا أفتراهم أخشع لله من أبى بكر وعمر . فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا محمد بن أحمد فى كتابه ثنا محمد بن أيوب ثنا حفص بن عمر النميرى ثنا حماد بن زيد ثنا عمرو بن مالك قال : بينا نحن عند أبى الجوزاء يحدثنا إذ خر رجل فاضطرب فوثب أبو الجوزاء

يسعى قبله فقيل له : يا أبا الجوزاء ، إنه رجل به الموتة . فقال : إنما كنت أراه من هؤلاء القفازين ولوكان منهم لأمرت به فاخرج من المسجد إنما ذكرهم الله تعالى فقال: (تفيض أعينهم من الدمع) أو قال : (تقشعر جلودهم) .

اخبرنا أبومحمد بن على المقرى نا أحمد بن بندار بن إبراهيم نا محمد بن عمر بن بكير النجار نا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا إبراهيم بن عبد الله البصرى ثنا أبوعمر حفص بن عمر الضرير نا حماد بن زيدنى عمر بن مالك البكرى قال : قرأ قارئ عند أبي الجوزاء قال : فصاح رجل من أخريات القوم أو قال من القوم . فقام إليه أبو الجوزاء فقيل له : يا با الجوزاء إنه رجل به شيء فقال طبيب : إنه من هؤلاء النفارين فلوكان منهم لوضعت رجلى على عنقه . وقال أبوعمر : أخبرنا جرير بن حازم إنه شهد محمد بن سيرين وقيل له : أن ههنا رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غشى عليه . فقال محمد بن سيرين : يقعد أحدهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن[1] من أوله إلى آخره فإن وقع فهو صادق . قال أبو عمرو : وكان محمد بن سيرين يذهب إلى هذا تصنع ولاس بحق من قلوبهم .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى ثنا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو محمد ابن حبان ثنا محمد بن العباس ثنا زياد عن يحي عن عمران بن عبد العزيز قال سمعت محمد بن سيرين وسئل عن من يستمع القرآن فيصعق . فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان سقطوا فهم كما يقولون .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن على العشارى نا محمد بن عبد الله الدقاق نا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا محمد بن على عن إبراهيم بن الأشعث . قال سمعت أبا عصام الرملى عن رجل عن الحسن انه وعظ يوماً فتنفس رجل فى مجلسه . فقال الحسن إن كان لله تعالى فقد شهرت نفسك ، وإن كان لغير الله فقد هلكت .

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا روح ثنا السرى بن يحي ثنا عبد الكريم بن رشيد قال : كنت

(١) فى الثانية : المصحف بدل القرآن .

فى حلقة الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته . فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلانى نا أبو العلاء الواسطى نا محمد بن الحسين الأزدى ثنا ابراهيم بن رحمون ثنا اسحق بن إبراهيم البغدادى قال سمعت أبا صفوان يقول : قال الفضيل بن عياض لابنه وقد سقط يابنى إن كنت صادقاً لقد فضحت نفسك وإن كنت كاذباً فقد أهلكت نفسك .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا محمد بن أحمد النجار ثنا المرتعش قال رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد إنسان بين يديه . فقال له : يابنى إن كنت صادقاً فقد أظهرت كل مالك ، وإن كنت كاذباً فقد أشركت بالله .

(فصل) قال المصنف رحمه الله . فان قال قائل إنما نفرض الكلام فى الصادقين لا فى أهل الرياء . فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه فالجواب إن أول الوجد انزعاج فى الباطن فان كف الانسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه فبعد عنه كما كان أيوب السختيانى إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال ما أشد الزكام . وإن أهمل الانسان نفسه ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه ، كما أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ثنى أبى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن يحيى بن الجزار عن بن أخى زينب عن امرأة عبد الله قالت جاء عبد الله ذات يوم وعندى عجوز ترقينى من الحمرة فأدخلتها تحت السرير . قالت فدخل فجلس إلى جنبى فرأى فى عنقى خيطا . فقال ما هذا الخيط . قلت خيط رقى لى فيه رقية فأخذه وقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن فى الرقى والتمائم والتولة شركا قالت فقلت له لم تقول هذا . وقد كانت عينى تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقيها فكان إذا رقاها سكنت قال إنما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقيتها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولى

كما قال رسول الله ﷺ أذهب الباس رب الناس إشف انت الشافى لاشفاء إلاشفاؤك ، شفاء لايغادر سقما .

قال المصنف رحمه الله : التولة — ضرب من السحر يحبب المرأة إلى زوجها .
أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا الحسن ابن عبد الملك بن يوسف نا أبو محمد الخلال ثنا أبو عمر بن حياة ثنا أبو بكر بن داود ثنا هارون ابن زيد عن أبى الزرقاء ثنا أبى ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب ابن أبى السنى عن أبى عيسى أوعيسى قال : ذهبت إلى عبد الله بن عمر فقال أبو السوار يا أبا عبد الرحمن ان قوما عندنا إذا قرىء عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله . قال كذبت . قال بلى ورب هذه البنية . قال ويحك إن كنت صادقاً فان الشيطان ليدخل جوف أحدهم . والله ماهكذا كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

(فصل) فان قال قائل : فنفرض أن الكلام فيمن اجتهد فى دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الأمر فمن أين يدخل الشيطان فالجواب إنالا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع إلا أن علامة الصادق أنه لايقدر على أن يدفع ، ولا يدرى مايجرى عليه فهو من جنس قوله عز وجل « وخر موسى صعقا » .

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن أحمد بن عبد الله ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحق الثقفى ثنى حاتم بن الليث الجوهرى ثنا خالد بن خداش . قال : قرىء على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة . فخر مغشيا عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد مات خلق كثير فى سماع الموعظة وغشى عليهم فاما . هذا التواجد الذى يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبطهم فظاهره أنه متعمل والشيطان معين عليه .

قال المصنف رحمه الله . فان قيل فهل فى حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه قيل : نعم من جهتين . أحدهما أنه لو قوى العلم أمسك . والثانى أنه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفى هذا نقصاً .

أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا هبة الله بن عبد الرزاق السنى وأخبرنا سعيد بن

أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن علي الرستمي قالا نا ابو الحسين بن بشران نا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة قال سمعت خلف بن حوشب يقول . كان خوات يرعد عند الذكر فقال له إبراهيم : إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتد بك . وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك . وفي رواية فقد خالفت من هو خير منك .

قال المصنف رحمه الله قلت : إبراهيم هو النخعي الفقيه ، وكان متمسكا بالسنة شديد الاتباع للأثر . وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع وهذا خطاب إبراهيم له . فكيف بمن لا يخفى حاله من التصنع .

(فصل) فاذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا . أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا سليمان المغربي يقول سمعت أبا علي بن الكاتب يقول كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخراز يصفق له .

قال المصنف رحمه الله قلت : والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية . وهي التي ذمهم الله عز وجل بها فقال : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » — فالمكاء الصفير — والتصدية التصفيق . أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الفضل بن خيرون نا أبو علي بن شاذان نا أحمد بن كامل ثنى محمد بن سعد ثنى عمي عن أبيه عن جده عن ابن عباس « إلا مكاء » يعني التصفير « وتصدية » يقول التصفيق .

قال المصنف رحمه الله قلت : وفيه أيضا تشبه بالنساء . والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والنسوة .

(فصل) فاذا قوي طربهم رقصوا وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لأيوب « اركض برجلك » .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا الاحتجاج بارد . لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء . قال ابن عقيل أين

(فصل) فاذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغنى فمنهم من يرمى بها صحاحاً ومنهم من يخرقها ثم يرمى بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء فى غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ماصنع : والجواب ، أن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمى كاسر والذى ذكر فى القرآن إلقاءها فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت ، ثم لو قيل تكسرت فمن أين لنا أنه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا : كان فى غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلا غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره ويحذرون من بئر إن كانت عندهم ، ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء ولقد رأيت شابا من الصوفية يمشى فى الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج إلى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلى الجمعة فسئلت عن صلاته فقلت : إن كان وقت صياحه غائباً فقد بطل وضوءه وإن كان حاضراً فهو متصنع وكان هذا الرجل جلداً لا يعمل شيئا بل يدار له بزنبيل فى كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين . ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فان تعرضهم لما يغطى على العقول من سماع ما يطرب منهى عنه كالتعرض لـكل ما غالبه الأذى وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال خطأ وحرام وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال وعن شق الجيوب فقال له قائل : فانهم لا يعقلون ما يفعلون . قال إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التى تفضى إلى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر فاذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال ولم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذى يسميه أهل التصوف وجداً إن صدقوا فيه فسكر طبع وإن كذبوا فنبيذ ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب . واحتج لهم ابن طاهر فى تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضى الله عنها قالت : نصبت حجلة لى فيها رقم فمدها النبى ﷺ فشقها .

قال المصنف رحمه الله : فانظر إلى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من

بمزق ثيابه فيفسدها وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال على مدستر ليحط فانشق لا عن قصد أو كان عن قصد لأن الصور التى كانت فيه : وهذا من التشاغل حق الشارع المنهيات كما أمر بكسر الدنان فى الخمور فإن ادعى مخرق ثيابه أنه غائب قلنا الشيطان غيبك لأنك لو كنت مع الحق لحفظك والحق لا يفسد .

وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن على ابن حشيش ثنا عبد الله بن الصقر ثنا الصلت بن مسعود ثنا جعفر بن سليمان قال : أبا عمران الجونى يقول وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوما فشق رجل منهم قيصه فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قيصه . أيشرح لى عن قلبه .

(فصل) وقد تكلم مشايخ الصوفية فى الخرق المرمية . فقال محمد بن طاهر : الدليل على أن الخرقة إذا طرحت صارت ملكا لمن طرحت بسببه حديث جرير جاء قوم مجتابى النمار فحض رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء رجل من الأنصار بصرة فتتابع النـاس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام قال والدليل على أن الجماعة إذا قدموا عند تفريق الخرقة أسهم لهم حديث أبى موسى قدم على رسول الله ﷺ بغنيمة وسلب فاسهم لنـا .

قال المصنف رحمه الله : لقد تلاعب هذا الرجل بالشريعه واستخرج بسوء فهمه مايظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية . فإنا ما عرفنا هـذا فى أوائلهم وبيان فساد استخراجه أن هذا الذى خرق الثوب ورمى به إن كان حاضراً فمـا جازله تخريقه وإن كان غائبا فليس له تصرف جائز شرعا لاهبة ولا تمليكا . وكذلك يزعمون بأن ثوبه كان كالشيء الذى يقع من الإنسان ولا يدرى به فلا يجوز لأحد أن يتملكه وإن كان رماه فى حال حضوره لاعلى أحد فلا وجه لتملكه ولو رماه على المغنى لم يتملكه لأن التملك لا يكون إلى بعقد شرعى والرمى ليس بعقد : ثم نقدر أنه ملك للمغنى فما وجه تصرف الباقين فيه . ثم إذا تصرفوا فيه خرقوه خرقا وذلك لايجوز لوجهين : أحدهما أنه تصرف فيما لا يملكونه : والثانى أنه اضاعة للمال . ثم ما وجه أسهام من لم يحضر فأما حديث أبى موسى فقال العلماء منهم الخطابي يحتمل أن يكون

رسول الله ﷺ أجازه عن رضى ممن شهد الواقعة أو من الخمس الذى هو حقه . وعلى مذهب الصوفية تعطى هذه الخرقة لمن جاء . وهذا مذهب خارج عن إجماع المسلمين وما أشبه ما وضع هؤلاء بآرائهم الفاسدة إلا بما وضعت الجاهلية من أحكام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام . قال ابن طاهر أجمع مشايخنا على أن الخرقة الخرقة وما انبعث من الخرق الصحاح الموافقة لهـــا أن ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشايخ . واحتجوا بقول عمر رضى الله عنه : الغنيمة لمن شهد الواقعة . وخالفهم شيخنا أبو إسماعيل الانصارى فجعل الخرقه على ضربين . ما كان مجروحا قسم على الجميع وما كان سليما دفع إلى القوال واحتج بحديث سلمة من قتل الرجل ؟ قالوا : سلمة ابن الأكوع : قال له سلبه أجمع . فالقتل إنما وجد من جهة القوال فالسلب له .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إخوانى عصمنا الله وإياكم من تلبيس إبليس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة وإجماع مشايخهم الذى لا يساوى إجماعهم بعرة فإن مشايخ الفقهاء أجمعوا على أن الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقاً أو سليما ولا يجوز لغيره التصرف فيه : ثم إن سلب القتيل كل ما عليه فما بالهم جعلوه مارمى به ثم ينبغى أن يكون الأمر على عكس ما قاله الأنصارى لأن المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبغى أن يكون المجروح للمغنى دون الصحيح وكل أقوالهم فى هذا محال وهذيان وقد حكى لى أبو عبد الله التكريتى الصوفى عن أبى الفتوح الاسفرايني وكنت أنا قد رأيته وأنا صغير السن وقد حضر فى جمع كثير فى رباط وهناك المخاد والقضبان ودف بجلاجل فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقى مكشوف الرأس قال التكريتى إنه رقص يوماً فى خف له ثم ذكر أن الرقص فى الخف خطأ عند القوم فانفرد وخلعه ثم نزع مطرفا كان عليه فوضعه بين أيديهم كفارة لتلك الجناية فاقتسموه خرقا ، قال ابن طاهر : والدليل على أن الذى يطرح الخرقة لا يجوز أن يشتريها من الجمع حديث عمر لا تعودن فى صدقتك .

قال المصنف : أنظر إلى بعد هذا الرجل عن فهم معانى الأحاديث فان الخرقـــة المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج إلى أن يشتريها .

(فصل) وأما تقطيعهم الثياب المطروحة خرقاً وتفريقها فقد بينا أنه إن كان

صاحب الثوب رماه إلى المغنى لم يملكه بنفس الرمى حتى يملكه إياه فإذا ملكه إياه فما وجه تصرف الغير فيه . ولقد شهدت بعض فقهائهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول هذه الخرق ينتفع بها وليس بتفريط ، فقلت : وهل التفريط إلا هذا ، ورأيت شيخاً آخر منهم يقول خرقت خرقا فى بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنفا فباعه بخمسة دنانير فقلت له : إن الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر . وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسى فانه قال : يباح لهم تمزيق الثياب إذا خرقت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الثوب يمزق حتى يخاط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعا ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهبه التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعى فنظر إلى انتفاع خاص ثم مامعنى قوله مربعة فان المطاولة ينتفع بها أيضاً ثم لو مزق الثوب قرامل[1] لا تنتفع بها ولو كسر السيف نصفين لا تنتفع بالنصف غير أن الشرع يتلمح الفوائد العامة ويسمى مانقص منها للانتفاع إتلافا ولهذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لأنه يذهب منه قيمة بالإضافة الى المكسور وليس العجب من تلبيس ابليس على الجهال منهم بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبى حنيفة والشافعى ومالك وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين .

﴿ فصل ﴾ ولقد أغربوا فيما ابتدعوا . وأقام لهم الأعذار من إلى هواهم مال . ولقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه باب السنة فى أخذ شيء من المستغفر ، واحتج بحديث كعب بن مالك فى توبته : يجزئك الثلث ثم قال باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزموه أكثر منها . واستدل بحديث معاوية بن جعدة عن النبى ﷺ أنه قال فى الزكاة « من منعها فانا آخذها وشطر ماله » .

قال المصنف رحمه الله . قلت فانظر إلى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه غرامة وتسمية ذلك واجباً وليس لنا غرامة ولا وجوب إلا بالشرع ومتى اعتقد الإنسان ماليس بواجب وجباً كفر . ومن مذهبهم كشف الرؤوس

---

(١) القرامل من الشعر والصوف ما وصلت به المرأة شعرها .

عن الاستغفار وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافى الوقار ولولا ورود الشرع بكونه فى الاحرام ما كان له وجه وربما سحبت كعب بن مالك فإ . قال : إن من توبتى أن انخلع من مالى . فقال له رسول الله ﷺ أمسك عليك الثلث لا على سبيل الإلزام له . وإنما تبرع بذلك فأخذه منه وأين إلزام الشرع تارك الزكاة بما يزيد عليها عقوبة من إلزامهم المريد غرامة لا تجب عليه فإذا امتنع ضاعفوها ليس اليهم الإلزام إنما ينفرد بالالزام الشرع وحده . وهذا كله جهل وتلاعب بالشريعة فهؤلاء الخوارج عليها حقا .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على كثير من الصوفية فى صحبة الأحداث ﴾

قال المصنف : اعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على أنفسهم باب النظر إلى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصد الزهادة فأمالهم إبليس اليهم ، واعلم أن المتصوفة فى صحبة الأحداث على سبعة أقسام : القسم الأول أخبث القوم وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول . أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد بن سليمان نا أبو على الحسين بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن على السراج قال بلغنى أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعانى الربوبية ، ومنهم من قال هو حال فى المستحسنات ، وذكر أبو عبدالله بن حامد من أصحابنا . أن طائفة من الصوفية قالوا انهم يرون الله عز وجل فى الدنيا وأجازوا أن يكون فى صفة الآدمى ولم يأبوا كونه حالا فى الصورة الحسنة حتى استشهدوه فى رؤيتهم الغلام الأسود . القسم الثانى : قوم يتشبهون بالصوفية فى ملبسهم . ويقصدون الفسق . القسم الثالث : قوم يستبيحون النظر إلى المستحسن . وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمى كتاباً سماه سنن الصوفية فقال فى أواخر الكتاب : باب فى جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى وجه الحسن . وذكر فيه ما روى عن النبى عليه السلام أنه قال : اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ، وانه قال : ثلاثة تجلو البصر : النظر إلى الخضرة والنظر إلى الماء والنظر إلى الوجه الحسن .

قال المصنف رحمه الله : وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول الله ﷺ أما

الحديث الأول فأخبرنا به عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن أحمد بن حمويه نا إبراهيم بن خزيم ثنا عبد بن حميد ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عبد الرحمن بن المخير عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه . قال يحيي بن معين محمد بن عبد الرحمن ليس بشيء . قال المصنف قلت وقد روى هذا الحديث من طرق قال العقيلي لايثبت عن النبي عليه السلام فى هذا شيء ، وأما الحديث الآخر فأنبانا أبو منصور بن خيرون نا أحمد بن على بن ثابت نى أحمد بن محمد بن يعقوب نا بن نعيم الضبي نا أبو بكر محمد بن أحمد ابن عمر بن عبيد الريحانى قال سمعت أبا البختري وهب بن وهب يقول :كنت أدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر اليه فقال : أراك تدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه اليك . قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس فى . وأما ادمان النظر اليه فان جعفراً الصادق ثنا عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ ثلاث يزدن فى قوة النظر . النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجارى وإلى الوجه الحسن .

قال المصنف رحمه الله : هذا حديث موضوع ولا يختلف العلماء فى أبي البختري انه كذاب وضاع ، وأحمد بن عمر بن عبيد أحد المجهولين ، ثم قد كان ينبغى لأبى عبد الرحمن السلمى إذ ذكر النظر إلى المستحسن أن يقيده بالنظر إلى وجه الزوجة أو المملوكة فأما اطلاقه ففيه سوء ظن . وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ كان ابن طاهر المقدسى قد صنف كتابا فى جواز النظر إلى المرد .

قال المصنف رحمه الله : قلت والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر إلى الأمرد حرم عليه أن ينظر اليه ومتى ادعى الإنسان أنه لا تثور شهوته عند النظر إلى الأمرد المستحسن فهو كاذب وإنما أبيح على الاطلاق لئلا يقع الحرج فى كثرة المخالطة بالمنع فاذا وقع الإلحاح فى النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى . قال سعيد ابن المسيب إذا رأيتم الرجل يلح النظر إلى غلام أمرد فاتهموه . القسم الرابع قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة وإنما ننظر نظر اعتبار فلا يضرنا النظر وهذا محال منهم فان الطباع تتساوى فمن ادعى تنزه نفسه عن أبناء جنسه فى الطبع ادعى المحال

وقد كشفنا هذا فى أول كلامنا فى السماع . أخبرتنا شهدة بنت احمد الأبرى قالت باسناد مرفوع إلى محمد بن جعفر الصوفى قال قال أبو حمزة الصوفى حدثنى عبد الله ابن الزبير الحنفى قال كنت جالساً مع أبى النضر الغنوى وكان من المبرزين العابدين فنظر إلى غلام جميل فلم تزل عيناه واقفتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع إلا وقفت علىّ أروى من النظر إليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمضى فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدى المعيد ألا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر إليه ويصوبه ثم ذهب ليمضى فقال سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذى لم يلد ولم يولد إلا وقفت فوقف ساعة فنظر إليه طويلا ثم ليمضى فقال سألتك باللطيف الخبير السميع البصير وبمن ليس له نظير إلا وقفت فوقف فأقبل ينظر إليه ثم أطرق رأسه إلى الأرض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكى فقال قد ذكرنى هـذا بنظرى إليه وجهاً جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد والله لأجهدن نفسى فى بلوغ رضاه بمجاهدتى جميع أعدائه وموالاتى لأوليائه حتى أصير إلى ما أردته من نظرى إلى وجهه الكريم وبهائه العظيم . ولوددت أنه قد أرانى وجهه وحبسنى فى النار ما دامت السموات والأرض ثم غشى عليه . وحدثنا محمد بن عبد الله الفزارى قال سمعت خيراً النساج يقول كنت مع محارب بن حسان الصوفى فى مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس إلينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً ينظر إليه نظراً أنكرته فقلت له : بعد أن قام انك محرم فى شهر حرام فى بلد حرام فى مشعر حرام وقد رأيتك تنظر إلى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون . فقال لى تقول هذا : يا شهوانى القلب والطرف ألم تعلم أنه قد منعنى من الوقوع فى شرك إبليس ثلاث فقلت وما هى قال سر الإيمان وعفة الإسلام وأعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع علىّ وأنا جاثم على منكر نهانى عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا .

قال المصنف رحمه الله : قلت أنظروا إلى جهل الأحمق الأول ورمزه إلى التشبيه وإن تلفظ بالتنزيه وإلى حماقة هذا الثانى الذى ظن أن المعصية هى الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم . ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التى تكذبها

شهوة النظر . وقد حدثني بعض العلماء أن صبيا أمرد حكى له قال قال لى فلان الصوفى وهو يحبنى : يا بنى لله فيك اقبال والتفات . حيث جعل حاجتى اليك . وحكى أن جماعة من الصوفية دخلوا على أحمد الغزالى وعنده أمرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر إلى الورد تارة . وإلى الأمرد تارة . فلما جلسوا قال بعضهم لعلنا كدرنا . فقال : أى والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد .

وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب اليه فى رقعة انك تحب غلامك التركى فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد اليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة .

قال المصنف رحمه الله قلت : إنى لا أعجب من فعل هذا الرجل وإلقائه جلباب الحياء عن وجهه وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الانكار عليه ولكن الشريعة بردت فى قلوب كثير من الناس . وأخبرنا أبو القاسم الحريرى أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال : بلغنى عن هذه الطائفة التى تسمع السماع إنها تضيف إليه النظر إلى وجه الأمرد وربما زينته بالحلى والمصبغات من الثياب والحواشى وتزعم أنها تقصد به الازدياد فى الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية فى متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » وقال « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » وقال : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه ، وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والمآكل الشهية فاذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر إلى وجوه المرد ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا إلى سماع ونظر. قال أبو الطيب وقد أخبر بعضهم فى شعره عن أحوال المستمعين للغناء وما يجدونه حال السماع فقال :

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا على طيب السماع إلى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغانى فأسكرت النفوس بغير راح
فلم تر فيهم إلا نشاوى سرورا والسرور هناك صاحى

إذا لى أخو اللذات فيه مناذى اللهوحى على الفلاح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً أرقناها لألحاظ ملاح

قال فاذا كان السماع تأثيره فى قلوبهم ما ذكره هذا القائل فكيف يجدى السماع نفعا أو يفيد فائدة . قال ابن عقيل قول من قال لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة ليس بشيء . فإن الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تمييز الأشخاص . وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى قال الله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » . وقال : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت » ، فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل للنفس إليها ولا حظ فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة . ولا تعتريها لذة فأما صور الشهوات فإنها تعبر عن العبرة بالشهوة وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغى أن ينظر إليها لأنها قد تكون سبباً للفتنة . ولذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضياً ولا إماما ولا مؤذناً كل ذلك لأنها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة كبراً كذبناه . وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه وإنما هذه خدع الشيطان المدعين . القسم الخاص قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات وقد كان قدماؤهم على غير هذا وقيل كانوا على هذا بدليل وهو ما أخبرنا أحمد بن على بن ثابت قال أنشدنا أبو على الروزبارى :

أنزه فى روض المحاسن مقلتى وأمنع نفسى أن تنال محرماً
وأحمل من ثقل الهوى مالو أنه على الجبل الصلد الأصم تهدما

قال المصنف رحمه الله : وسيأتى حديث يوسف بن الحسين . وقوله : عاهدت ربى أن لا أصحب حدثا مائة مرة ففسحنا على قوام القدود وغنج العيون . أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبى المختار الصبى قال : حدثنى أبى قال قلت لأبى الكميت الأندلسى وكان جولا فى أرض الله حدثنى بأعجب ما رأيت من الصوفية قال صحبت رجلا منهم يقال له مهرجان وكان مجوسياً فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاماً جميلا لا يفارقه وكان

إذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلى ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مراراً وتكراراً فإذا أسفر الصبح أوكاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى علىّ سليما لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت علىّ الحفظة فيه معصية وأن الذى أضمره بقلبى لو حملته الجبال لتصدعت أوكان بالأرض لتدكدكت ثم يقول ياليل إشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام ، ثم يقول سيدى أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من عنده قلت سمعتك تقول إذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتنى قلت نعم ، قال فو الله يا أخى إنى لأدارى من قلبى مالو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقا بالمغفرة له فقلت وما الذى يدعوك إلى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله[1] وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفى قال أبو حمزة الصوفى رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاما مدة طويلة فمات الفتى وطال حزن الغـــلام عليه حتى صار جلداً وعظما من الضنا والكمد فقلت له يوما لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبداً فقال كيف أسلو عن رجل أجلّ الله عز وجل أن يصيبه معى طرفة عين أبداً وصاننى عن نجاسة الفسوق فى خلول صحبتى له وخلواتى معه فى الليل والنهار .

قال المصنف رحمه الله : هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش فحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقامة النفس فى ضدها عن الفاحشة فإن صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذى ينبغى أن يكون شغله بالله تعالى لا بغيره وصرف الزمان الذى ينبغى أن يخلو فيه القلب بما ينفع به الآخرة بمجاهدة الطبع فى كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فإن الله عز وجل أمر بغض البصر لأنه طريق القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب تخاف منه وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل الى سباع فى غيضة متشاغلة عنه لا تراه فأثارها وحاربها وقاومها فيابعد سلامته من جراحه ان لم يهلك

(١) هكذا الأصل ولعل الجواب محذوف .

(فصل) وفى هؤلاء من قويت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه إلى الفاحشة فامتنع حينئذ من صحبة المرد . أخبرتنا شهدة الكاتبة عن عمر بن يوسف الباقلانى قال : قال أبو حمزة قلت لمحمد بن العلاء الدمشقى وكان سيد الصوفية وقد رأيته يماشى غلاما وضيئا مدة ثم فارقه ، فقلت له : لم هجرت ذلك الفتى الذى كنت أراه معك بعد أن كنت له مواصلا وإليه مائلا . فقال والله لقد فارقته عن غير قلا ولا ملل . قلت : ولم فعلت ذلك ؟ . قال : رأيت قلبى يدعونى إلى أمر إذا خلوت به وقرب منى لو اتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرته لذلك تنزيها لله تعالى ولنفسى من مصارع الفتن .

(فصل) ومنهم من تاب وأطال البكاء عن إطلاق نظره . أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى بإسناد عن عبيد الله . قال سمعت أخى أبا عبد الله محمد بن محمد يقول : سمعت خيراً النساج يقول : كنت مع أمية بن الصامت الصوفى إذ نظر إلى غلام فقرأ ، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ، ثم قال : وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكة غلاظ شداد تبارك الله فما أعظم ما امتحننى به من نظرى إلى هذا الغلام ما شبهت نظرى اليه إلا بنار وقعت على قصب فى يوم ريح فما أبقت ولا تركت ثم قال : استغفر الله من بلاء جنته عيناى على قلبى . لقد خفت ألا أنجو من معرته ولا أتخلص من إثمه ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقا . ثم بكى حتى كاد يقضى نحبه فسمعته يقول فى بكائه ياطرف لأشغلنك بالبكاء عن النظر إلى البلاء .

(فصل) ومنهم من تلاعب به المرض من شدة المحبة . أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبى حمزة الصوفى قال : كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر إلى غلام حسن فى بعض الأسواق فبلى به وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحباً وكان يقف كل يوم فى طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا وكان لايقدر أن يمشى خطوة فأتيته يوماً لأعوده . فقلت يا أبا محمد ماقصتك وماهذا الأمر الذى بلغ بك ماأرى ، فقال : أمور امتحننى الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لى بها طاقة ، ورب ذنب يستصغره الانسان هو عند الله أعظم من كبير . وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الاسقام ثم بكى قلت مايبكيك ؟ قال أخاف أن يطول فى النار شقائى فانصرفت عنه وأنه راحم له لما رأيت به من

سوء الحال، قال أبو حمزة ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقي وكان من خيار عباد الله إلى غلام جميل فغشي عليه، فحمل إلى منزله واعتاده السقم حتى أقعد من رجليه وكان لايقول عليهما زماناً طويلا فكنا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره وكان لايخبرنا بقصته ولاسبب مرضه، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائداً فهش إليه وتحرك وضحك في وجهه واستبشر برؤيته فما زال يعوده حتى قام على رجليه وعاد إلى حالته فسأله الغلام يوما أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل ذلك، فسألني أن أسأله أن يتحول إليه فسألته فأبى أن يفعل، فقلت للشيخ، وما الذي تكره من ذلك، فقال: لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة، وأخاف أن يقع على من الشيطان محنة فتجرى بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين.

(فصل) وفيهم من همت نفسه إلى الفاحشة فقتل نفسه. حدثني أبو عبد الله الحسين ابن محمد الدامغاني قال: كان ببلاد فارس صوفي كبير فابتلى بحدث فلم يملك نفسه أن دعته إلى فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال ووراء منزله بحر من الماء فلما أخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه إلى الماء وتلى قوله تعالى «فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم» فغرق في البحر.

قال المصنف رحمه الله. انظر إلى إبليس كيف درج هذا المسكين من رؤية هذا الأمرد وإلى ادمان النظر إليه إلى أن مكن المحبة من قلبه إلى أن حرضه على الفاحشة فلما رأى استعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه، ولعله هم بالفاحشة ولم يعزم، والهمة معفو عنها لقوله عليه السلام. عفي لأمتي عما حدثت به نفوسها، ثم إنه ندم على همته والندم توبة فأراه إبليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو إسرائيل فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالى «فاقتلوا أنفسكم» ونحن نهينا عنه بقوله تعالى «ولاتقتلو أنفسكم» فلقد أتى بكبيرة عظيمة، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً.

(فصل) وفيهم من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه. بلغني عن بعض الصوفية أنه كان في رباط عندنا ببغداد ومعه صبي في البيت الذي هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفي إلى الصبي ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكي فجاء أهل الرباط

فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبي فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبي يبكي ويقول له بالله عليك إلا ما أقدتني به ، فقال الآ قد عفوت عنك : فقام الصوفى إلى قبر الصبي فجعل يبكي عليه ثم لم يزل يحج عن الصبي ويهدى له الثواب .

(فصل) ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة ، والحديث باسناد عن إدريس بن ادريس قال : حضرت بمصر قوما من الصوفية . ولهم غلام أمرد يغنيهم قال : فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر مايصنع فقال : ياهذا قل لا إله إلا الله ، فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أقبل الفم الذى قال لا إله إلا الله .

(القسم السادس) قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبي ويتزهد ويصحبهم على طريق الإرادة فيلبس إبليس عليهم ويقول لاتمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم اليه لا عن قصد فيثير فى القلب الفتنة إلى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه وربما وثقوا بدينهم فاستفزهم الشيطان فرماهم إلى أقصى المعاصى كما فعل ببرصيصا .

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا قصته فى أول الكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة فى صحبته .

(القسم السابع) قوم علموا أن صحبة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك . والحديث بإسناد عن الرازى يقول : قال يوسف ابن الحسين : كل ما رأيتمونى أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن . ولقد عاهدت ربى أكثر من مائة مره أن لا أصحب حدثا ففسخها علىّ حسن الخدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألنى الله معهم عن معصية . وأنشد صريع الغوانى فى معنى ذلك شعراً :

إن ورد الخدود والحدق النجـ ... ل ومافى الثغور من أقحوان
واعوجاج الأصداغ فى ظاهر الخد ... وما فى الصـــدور من رمان
تركتنى بين الغوانى صريعاً ... فلهذا أدعى صريع الغوانى

قال المصنف رحمه الله : قلت هذا الرجل قد فضح نفسه فى شىء ستره الله عليه وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف فى حمل النفس على المشاق ثم ظن بجهله أن المعصية هى الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر إليهم معصية . فانظر إلى الجهل كيف يصنع بأربابه . والحديث باسناد عن محمد بن عمر أنه

قال : حكى لى عن أبى مسلم الخشوعى أنه نظر إلى غلام جميل فأطال . ثم قال سبحان الله ما أهجم طرفى عن مكروه نفسه وأدمنه على سخط سيده وأغراه بما قد نهى عنه وأبهجه بالأمر الذى قد حزر عنه . لقد نظرت إلى هـــذا نظراً لا أحسب إلا أنه سيفضحنى عند جميع من عرفنى فى عرصات القيامة ولقد تركنى نظرى هذا وأنا أستحى من الله تعالى وإن غفر لى ثم صعق . وبإسناد عن أبى بكر محمد بن عيد يقول : سمعت أبا الحسين النورى يقول : رأيت غلاماً جميلا ببغداد فنظرت إليه ثم أردت أن أردد النظر فقلت له تلبسون النعال الصرارة ، وتمشون فى الطرقات فقال أحسنت الحشر بالعلم .

(فصل) وكل من فاته العلم تخبط فإن حصل له وفاته العمل به كان أشد تخبيطاً . ومن استعمل أدب الشرع فى قوله عز وجل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » سلم فى البدايه مما صعب أمره فى النهاية ، وقد ورد الشرع بالنهى عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك . والحديث بإسناده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لاتجالسوا أبناء الملوك فإن النفوس تشتاق إليهم ما لا تشتاق إلى الجوارى العوانق . والحديث بإسناد عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : لا تملأوا أعينكم من أولاد الملوك فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذارى . والحديث بإسناد عن الشعبى قال : قدم وفد عبدالقيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاة فأجلسه النبى عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال : كانت خطيئة داود عليه السلام النظر . وعن أبى هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ ان يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد . وقال عمر بن الخطاب : ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد . وبإسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى .

وبإسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السرى قال : كان يقال لا يبيت الرجل فى بيت مع المرد وبإسناد عن عبد العزيز بن أبى السائب عن أبيه قال : لانا أخوف على عابد من غلام من سبعين عذراء . وعن أبى على الروزبارى قال سمعت جنيدا يقول جاء رجل إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فقال له من هذا ، قال : ابنى فقال أحمد لاتجىء به معك مرة أخرى فلما قام قال له محمد بن عبد الرحمن الحافظ وفى رواية

الخطيب فقيل له أيد الله الشيخ أنه رجل مستور وابنه أفضل منه فقال أحمد الذى قصدنا اليه من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما على هذا رأينا أشياخنا وبه أخبرونا عن أسلافهم . وبإسناد عن أبى بكر المروزى قال : جاء حسن البزاز إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فتحدث معه فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عبد الله يا أبا على لا تمش مع هذا الغلام فى طريق فقال له إنه ابن أختى ، قال وإن كان لا يهلك الناس فيك . وباسناد من شجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول احذروا هؤلاء الأحداث . وباسناد عن فتح الموصلى أنه قال : صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصونى عند فراقى لهم اتق معاشرة الأحداث . وباسناد عن الحلبى أنه يقول نظر سلام الأسود إلى رجل ينظر إلى حدث فقال له يا هذا ابق على جاهك عند الله فإنك لا تزال ذا جاه ما دمت له معظما . وباسناد عن أبى منصور عبد القادر بن طاهر يقول من صحب الأحداث وقع فى الاحداث وعن أبى عبد الرحمن السلمى ، قال قال مظفر القرميسينى من صحب الاحداث على شرط السلامة والنصيحة أداه ذلك إلى البلاء ، فكيف بمن يصحبهم على غير وجه السلامة .

﴿ فصل ﴾ وقد كان السلف يبالغون فى الاعراض عن المرد . وقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره والحديث باسناد عن عطاء ابن مسلم قال كان سفيان لا يدع أمرداً يجالسه . وروى إبراهيم بن هانىء عن يحيى ابن معين قال ما طمع أمرد بصحبتى : ولأحمد بن حنبل قال فى طريق . وباسناد عن أبى يعقوب . قال كنا مع أبى نصر بن الحرث فوقفت عليه جارية ما رأينا أحسن منها فقالت : يا شيخ أين مكان باب حرب . فقال لها هذا الباب الذى يقال له باب حرب ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه : فسأله فقال يا شيخ أين باب حرب فأطرق الشيخ رأسه فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعالى إيش تريد فقال باب حرب . فقلنا له هاهو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ يا أبا نصر جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه . فقال : نعم يروى عن سفيان الثورى أنه قال : مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسى من شيطانيه وباسناد عن عبد الله بن المبارك يقول . دخل سفيان الثورى الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال

اخرجوه . فإنى أرى مع كل امرأة شيطانا . ومع كل غلام بضعة عشر شيطاناً . وباسناد عن محمد بن احمد بن أبى القسم . قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيى بن معين وكان يقال انه ما رفع رأسه إلى السماء من منذ أربعين سنة وكان معنا غلام حدث فى المجلس بين يديه . فقال له : قم من حذائى فاجلسه من خلفه . وباسناد عن أبى إمامة قال : وكنا عند شيخ يقرى فبى عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأخذ بثوبى وقال اصبر حتى يفرغ هذا الغلام : وكره أن يخلو مع هذا الغلام . وباسناد عن أبى الروزبارى قال قال لى أبو العباس أحمد المؤدب ياأبا على من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الإنس بالاحداث فقلت له ياسيدى انت بهم أعرف ، وقد تصحبهم السلامة فى كثير من الأمور فقال هيهات قد رأينا من كان أقوى وإيماناً منهم إذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف وإنما ذلك حسب الأوقات التى تغلب الأحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط .

﴿ فصل ﴾ وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التى يصيد بها الصوفية أخبرنا ابن ناصر عن أبى عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قال يوسف ابن الحسين نظرت فى آفات الخلق فعرفت من أين أتو ورأيت آفة الصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد وارفاق النسوان . وباسناد عن ابن الفرج الرستمى الصوفى يقول رأيت إبليس فى النوم فقلت له - كيف رأيتنا أعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك الينا طريق فقال كيف رأيت ما اشتملت به قلوبكم باستماع الغناء ومعاشرة الأحداث . وباسناد عن ابن سعيد الخرازى يقول رأيت إبليس فى النوم يمر عنى ناحية فقلت تعال ، فقال إيش أعمل بكم ، أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس ، قلت ما هو : قال الدنيا ، فلما ولى التفت إلى فقال غير أن فيكم لطيفة . قلت وما هى قال : صحبة الأحداث . قال أبو سعيد وقل من يتخلص منها من الصوفية .

(فصل) فى عقوبة النظر إلى المردان ، عن أبى عبد الله بن الجلاء قال كنت أنظر إلى غلام نصرانى حسن الوجه فمر بى أبو عبد الله البلخى . فقال إيش وقوفك فقلت : يا عم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار . فضرب بيده بين كتفى . وقال لتجدن غبها ولو بعد حين . قال فوجدت غبها بعد أربعين سنة أن أنسيت القرآن .

وباسناد عن أبي الأديان وقال كنت مع أستاذى وأبي بكر الدقاق فر حدث فنظرت إليه فرآني أستاذى وأنا أنظر اليه فقال يابني لتجدن غبه ولو بعدحين . فبقيت عشرين سنة وأنا أراعي فما أجد ذلك الغب فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله . وعن أبي بكر الكتاني قال رأيت بعض أصحابنا في المنام فقلت ما فعل الله بك قال عرض على سيئاتى وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم . ثم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقره فقلت إني أستحي أن أقر فقال إني غفرت لك بما أقررت فكيف بما استحييت فقلت له ما كان ذلك الذنب فقال مر بي غلام حسن الوجه فنظرت إليه . وقد روى نحو هذه الحكاية عن أبي عبد الله الزراد أنه رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفرلى كل ذنب أقررت به في الدنيا إلا واحد فاستحييت أن أقربه فوقفنى في العرق حتى سقط لحم وجهى . فقيل له ما الذنب فقال نظرت إلى شخص جميل . وقد بلغنا عن أبي يعقوب الطبرى أنه قال كان معى شاب حسن الوجه يخدمني فجاءني إنسان من بغداد صوفى فكان كثير الالتفات إلى ذلك الشاب فكنت أجد عليه لذلك فنمت ليلة من الليالى فرأيت رب العزة في المنام فقال يا أبا يعقوب لمَ لم تنهه وأشار إلى البغدادى عن النظر إلى الأحداث فوعزتى إنى لا أشغل بالأحداث إلا من باعدته عن قربى . قال أبو يعقوب فانتبهت وأنا اضطرب فحكيت الرؤيا للبغدادى فصاح صيحة ومات فغسلناه ودفناه ، واشتغل عليه قلبي فرأيته بعد شهر في النوم فقلت له ما فعل الله بك قال وبخنى حتى خفت أن لا أنجو ثم عفا عنى قلت . إنما مددت النفس يسيراً في هذا الباب لأنه مما تعم به البلوى عند الأكثرين فمن أراد الزيادة فيه وفيما يتعلق باطلاق البصر وجميع أسباب الهوى فلينظر في كتابنا المسمى بذم الهوى . ففيه غاية المراد من جميع ذلك .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ادعاء التوكل ﴾ وقطع الأسباب وترك الاحتراز في الأموال

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي باسناد عن أحمد بن أبي الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى يقول لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقاً مخافة اللصوص . وباسناد عن ذى النون المصرى أنه قال ..افرد،

سنين وما صح لى التوكل إلا وقتاً واحداً ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة من خشب المركب فقالت لى نفسى ان حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل .

أخبرنا محمد قال سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة فى التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابنى . فأعطى التوكل حقه ثم قال استحييت أن أجيبك وعندى شىء وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال جاء رجل الى عبد الله بن الجلاء فسأله عن مسألة فى التوكل وعنده جماعته فلم يجبه ودخل البيت فأخرج اليهم صرة فيها أربعة دوانق فقال اشتروا بهذه شيئاً . ثم أجاب الرجل عن سؤاله فقيل له فى ذلك فقال: استحييت من الله تعالى أن أتكلم فى التوكل وعندى أربعة دوانق . وقال سهل بن عبد الله من طعن فى الاكتساب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان .

قال المصنف قلت : قلة العلم أوجبت هذا التخليط ، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضاد . وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن فى التعلق بالأسباب ولا ادخار المال . فقد قال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » أى قواماً لأبدانكم وقال ﷺ . نعم المال الصالح مع الرجل الصالح » وقال ﷺ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس . واعلم أن الذى أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر ، فقال « خذوا حذركم » وقال « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقال « أن أسر بعبادى ليلا » وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين وشاور طبيبين واختفى فى الغار . وقال من يحرسنى الليلة . وأمر بغلق الباب . وفى الصحيحين من حديث جابر أن النبى ﷺ قال اغلق بابك . وقد أخبرنا أن التوكل لا ينافى الاحتراز .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندى نا عبد الله بن يحيى الموصلى ونصر بن أحمد قالا : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ثنا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنى أبو جعفر الصيرفى ثنا يحيى بن سعيد ثنا المغيرة بن أبى قرة السدوسى قال : سمعت أنس ابن مالك رضى الله عنه يقول : جاء رجل إلى النبى ﷺ وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال : أطلقتها وتوكلت على الله قال : أعقلها وتوكل .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الأزجى نا إبراهيم بن جعفر نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنى حرب بن إسماعيل الكرمانى ثنى عبد الرحمن بن محمد بن سلام ثنا الحسين بن زياد المروزى قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول : تفسير التوكل أن يرضى بما يفعل به . وقال ابن عقيل : يظن أقواماً أن الاحتياط والاحتراز ينافى التوكل . وإن التوكل هو إهمال العواقب وإطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذى يقتضى من العقلاء والتوبيخ والتهجين ولم يأمر الله بالتوكل إلا بعد التحرز واستفراغ الوسع فى التحفظ فقال تعالى : (وشاورهم فى الأمر) ، (فإذا عزمت فتوكل على الله) فلو كان التعلق بالاحتياط قادحاً فى التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له : (وشاورهم فى الأمر) وهل المشاورة إلا استفادة الرأى الذى منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو ولم يقنع فى الاحتياط بأن يكله إلى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملا فى نفس الصلاة وهى أخص العبادات . فقال : (فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم) وبين علة ذلك بقوله تعالى : (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقال أن التوكل عليه ترك ما علم . لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة . قال عليه الصلاة والسلام : « اعقلها وتوكل » ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق ﷺ فى خير الأحوال وهى حالة الصلاة . وقد ذهب الشافعى رحمه الله إلى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله: (وليأخذوا أسلحتهم) فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز فإن موسى عليه السلام لما قيل له : (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) خرج . ونبينا ﷺ خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضى الله عنه بسد أثقاب الغار وأعطى القوم التحرز حقه ثم توكلوا وقال عز وجل فى باب الاحتياط : (لا تقصص رؤياك على إخوتك) وقال : (لا تدخلوا من باب واحد) وقال : (فامشوا فى مناكبها) وهذا لأن الحركة للذب عن النفس استعمال لنعمة الله تعالى . وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمه المبدأة يريد إظهار ودائعه فلا وجه لتعطيل ما اودع اعتماداً على ما جاد به . لكن يجب استعمال ما عندك ثم اطلب ما عنده وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم عدة وأسلحة تدفع عنها

الشرور كالمخاب والظفر والناب وخلق للآدمى عقلا يقوده إلى حمل الأسلحة ويهديه إلى التحصين بالأبنية والدروع ، ومن عطل نعمة الله تعالى بترك الاحتراز فقد عطل حكمته كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعاً أو مرضا . ولا أبله ممن يدعى العقل والعلم ويستسلم للبلاء إنما ينبغي أن تكون أعضاء المتوكل فى الكسب وقلبه ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطى . لأنه لا يرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف إلا بحكمة ومصلحة . فمنعه عطاء فى المعنى . وكم زين للعجزة عجوزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا فى غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزماً . ومتى وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلا بحكمة الواضع . مثل وضع الطعام سبباً للشبع والماء للرى والدواء للمرض . فإذا ترك الإنسان ذلك إهواناً بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له : قد جعلنا لعافيتك سبباً فإذا لم تتناوله كان إهوانا لعطائنا فربما لم نعافك بغير سبب لإهوانك للسبب ، وما هذا إلا بمثابة من بين قراحه وماء الساقية رفسه بمسحاة فأخذ يصلى صلاة الاستسقاء طلباً للمطر فإنه لا يستحسن منه ذلك شرعاً ولا عقلا .

قال المصنف رحمه الله : فإن قال قائل : كيف أحترز مع القدر. قيل له : وكيف لا تحترز مع الأوامر من المقدر فالذى قدر هو الذى أمر . وقد قال تعالى : (وخذوا حذركم) أنبأنا إسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسين نا ابن بشران ثنا أبو صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى شريح بن يونس نا على بن ثابت عن خطاب بن القاسم عن أبى عثمان قال : كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأتاه إبليس فقال : أنت الذى تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر . قال : نعم . قال . فألق نفسك من الجبل وقل قدر علىّ . فقال . يا لعين الله يختبر العباد وليس للعباد أن يختبروا الله تعالى .

(فصل) وفى معنى ما ذكرنا من تلبيسه عليهم فى ترك الأسباب أنه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافى الكسب . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال : سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول : سمعت محمد ابن المنذر يقول : سمعت سهل بن عبد الله التسترى يقول : من طعن فى التوكل فقد طعن فى الايمان ، ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن علي بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول : سأل رجل أبا عبد الله بن سالم وأنا أسمع : أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال : التوكل حال رسول الله ﷺ والكسب سنة رسول الله ﷺ وإنما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل وسقط عن درجة الكمال التي هي حاله فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال إلا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه ومن ضعف عن حال التوكل التي هي حال رسول الله ﷺ أبيح له طلب المعاش في الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله .

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبي قال : سمعت محمد بن الحسين قال : سمعت أبا القاسم الرازي يقول : سمعت يوسف بن الحسين قال : إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجيء منه شيء .

قال المصنف رحمه الله : قلت : هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل ، وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين ، فقد كان آدم عليه السلام حراثاً ونوح وزكريا نجارين وإدريس خياطا وإبراهيم ولوط زراعين وصالح تاجرا ، وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين . وقال نبينا ﷺ : « كنت أرعى غنما لأهل مكة بالقراريط » . فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفيء لم يحتج إلى الكسب . وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزازين ، وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين . وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين[1] وكذلك أبو حنيفة . وكان سعد ابن أبي وقاص يبري النبل ، وكان عثمان بن طلحة خياطا . وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة أبو الحسن ابن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا مسلم بن إبراهيم نا هشام الدستوائي قال حدثنا

---

(١) أي يعملون الخز وهي ثياب تنسج من صوف وإبريسم

عطاء بن السائب قال : لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه أصبح غاديا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا : أين تريد ، فقال السوق قالا ماذا تصنع . وقد وليت أمور المسلمين قال . فمن أين أطعم عيالى . قال ابن سعد وأخبرنا أحمد بن عبدالله بن يونس ثنا أبو بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين . فقال زيدونى فان لى عيالا وقد شغلتمونى عن التجارة فزادوه خمسمائة .

قال المصنف رحمه الله : قلت لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالى لقالوا قد أشركت ، ولو سئلوا عمن يخرج إلى التجارة لقالوا ليس بمتوكل ولا موقن وكل هذا لجهلهم بمعى التوكل واليقين ، ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين أما الغالب من الناس فمنهم من يسعى إلى الدنيا مستجدياً ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له . . وإما الجلوس فى الرباط فى هيئة المساكين وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح كما لا تخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء .

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الحسين بن الجبار نا أبو طالب العشارى نا ابن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ثنا أبو بكر بن عبيد قال حدثت عن الهيثم بن خارجة ثنا سهل بن هشام عن إبراهيم أدهم قال : كان سعيد ابن المسيب يقول من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه ألحف فى السؤال .

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبدالباقى قالا : نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جدى إسماعيل بن نجيدى يقول : كان أبو تراب يقول لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد فى خانقاه أو مسجد فقد سأل .

قال المصنف رحمه الله . قلت وقد كان السلف ينهون عن التعرض لهذه الأشياء ويأمرون بالكسب . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين ابن عبد الجبار نا محمد بن على بن الفتح نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله ابن عبد الرحمن السكرى نا أبو بكر بن عبيد القرشى نا عبيد بن الجعد نا المسعودى عن خوات التيمى

قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . يا معشر الفقراء ارفعوا رؤسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهرى وأبو الخير القزويني قالوا نا أبو عمر بن حياة نا محمد بن خلف ثنا أبو جعفر اليماني نا أبو الحسن المدايني عن بن عاصم قال : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فإن قيل لا قال سقط من عيني .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله النقال نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان ابن أحمد الدقاق نا حنبل ثنى أبو عبد الله نا معاذ بن هشام ثنى أبى عن قتادة عن سعيد ابن المسيب قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى تجر الشام منهم طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا جعفر بن أحمد السراج نا عبد العزيز بن الحسن ابن إسماعيل الضراب نا أبى نا أحمد بن مروان المالكى نا أبو القاسم الختلى : سألت أحمد بن حنبل وقلت : ما تقول فى رجل جلس فى بيته أو فى مسجده وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتينى رزقى فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمعت قول رسول الله ﷺ جعل الله رزقى تحت ظل رمحى ، وحديث الآخر فى ذكر الطير تغدوا خماصاً فذكر انها تغدو فى طلب الرزق ، قال تعالى (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله) وقال : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم ولنا القدوة بهم . وقد ذكرنا فيما مضى عن أحمد أن رجلا قال له : أريد الحج على التوكل فقال له فاخرج فى غير القافلة . قال لا . قال فعلى جراب الناس توكلت .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الأزجى نا ابراهيم ابن محمد بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال نا أبو بكر المروزى قال : قلت لأبى عبد الله هؤلاء المتوكلة يقولون نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل . فقال هذا قول ردىء . أليس قد قال الله تعالى . (وإذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) ثم قال إذا قال لا أعمل

وجيء إليه بشيء قد عمل واكتسب لأي شيء يقبله من غيره . قال الخلال : وأخبرنا عبد الله بن أحمد قال : سألت أبي عن قوم يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب فقال: ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله . ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب . وهذا قول إنسان أحمق .

قال الخلال : وأخبرني محمد بن علي قال ثنا صالح أنه سأل أباه يعني أحمد ابن حنبل عن التوكل فقال التوكل حسن ولكن ينبغي أن يكتسب ويعمل حتى يغني نفسه وعياله ولا يترك العمل . قال وسئل أبي وأنا شاهد عن قوم لا يعملون ويقولون نحن المتوكلون فقال هؤلاء مبتدعون . قال الخلال وأخبرنا المروزي انه قال لأبي عبد الله أن ابن عيينة كان يقول مبتدعة . فقال أبو عبد الله هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا . وقال الخلال وأخبرنا المروزي قال سألت أبا عبد الله عن رجل جلس في بيته وقال اجلس واصبر واقعد في البيت ولا أطلع على ذلك أحداً فقال . لو خرج فاحترف كان أحب إلي فإذا جلس خفت أن يخرجه جلوسه إلى غير هذا قلت إلى أي شيء يخرجه . قال يخرجه إن أن يكون يتوقع أن يرسل إليه قال الخلال وحدثنا أبو بكر المروزي قال سمعت رجلا يقول لأبي عبد الله أحمد بن حنبل إني في كفاية قال إلزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك . وقال لرجل آخر إعمل وتصدق بالفضل على قرابتك . وقال أحمد بن حنبل قد أمرتهم يعني أولاده أن يختلفوا إلى السوق وأن يتعرضوا للتجارة .

قال الخلال وأخبرني محمد بن الحسين أن الفضل بن محمد بن زياد حدثهم قال سمعت أبا عبد الله يأمر بالسوق ويقول : ما أحسن الاستغناء عن الناس . وقال الخلال وأخبرني يعقوب بن يوسف المطوعي قال : سمعت أبا بكر بن جناد يقول . الجصاصي قال سمعت أحمد بن حنبل يقول أحب الدراهم إليّ درهم من تجارة وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان .

قال المصنف رحمه الله : قلت وكان ابراهيم بن أدهم يحصد وسليمان الخواص يلقط وحذيفة المرعشي يضرب اللبن ، وقال ابن عقيل التسبب لا يقدح في التوكل لأن تعاطي رتبة ترقى على رتبة الأنبياء نقص في الدين . ولما قيل لموسى عليه السلام (أن

الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) خرج ولما جاع واحتاج إلى عفة نفسه أجر نفسه ثمان سنين . وقال الله تعالى (فامشوا فى مناكبها) وهذا لأن الحركة استعمال بنعمة الله وهى القوى فاستعمل ماعندك ثم اطلب ما عنده وقد يطلب الانسان من ربه وينسى ما له عنده من الذخائر فاذا تأخر عنه ما يطلبه بسخط . فترى بعضهم يملك عقاراً وأثاثاً فإذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين فقيل له : لو بعت عقارك . قال كيف أفرط فى عقارى وأسقط جاهى عند الناس وإنما يفعل هذه الحماقات العادات . وإنما قعد أقوام عن الكسب استثقالا له فكانوا بين أمرين قبيحين . إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم انه متوكل فيحن عليهم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لأجلهم وأعطوهم . وهذه الرذيلة لم تدخل قط إلا على دنىء النفس الرذيلة وإلا فالرجل كل الرجل من لم يضيع جوهره الذى أودعه الله إيثاراً للكسل أو لإسم يتزين به بين الجهال فإن الله تعالى قد يحرم الانسان المال ويرزقه جوهراً يتسبب به إلى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه .

(فصل) وقد تشبث القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة . منها أنهم قالوا لا بد من أن يصل إلينا رزقنا وهذا فى غاية القبح فإن الانسان لو ترك الطاعة وقال لا أقدر بطاعتى أن أغير ماقضى الله علىّ فإن كنت من أهل الجنة فإنا إلى الجنة أو من أهل النار فإنامن أهل النار . قلنا له هذا يرد الأوامر كلها ولو صح لأحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة لأنه كان يقول مافعلت إلا ماقضى على . ومعلوم إننا مطالبون بالأمر لا بالقدر. ومنها أنهم يقولون أين الحلال حتى نطلب وهذا قول جاهل لأن الحلال لا ينقطع أبداً لقوله ﷺ « الحلال بين والحرام بين » ومعلوم أن الحلال ما أذن الشرع فى تناوله وإنما قولهم هذا احتجاج للكسل . ومنها أنهم قالوا إذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاة مثل ما أخبرنا به عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبدالعزيز بن على نا ابن جهضم نا على ابن محمد السيروانى قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت الحلال فى كل شىء حتى طلبته فى صيد السمك فأخذت قصبة وجعلت فيها شعراً وجلست على الماء فألقيت الشص فخرجت سمكة فطرحتها على الأرض وألقيت الثانية فخرجت لى سمكة فانا أطرحها ثالثة إذا من ورائى لطمة لا أدرى من يد من هى ولا رأيت أحداً وسمعت قائلا

يقول أنت لم تصب رزقاً فى شىء إلا أن تعمد إلى من يذكرنا فتقتله قال فقطعت الشعر وكسرت القصبة وانصرفت . أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى ثنا أبى قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمى قال سمعت إبراهيم الخواص يقول طلبت فقصدت الخ ماتقدم .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذه القصة إن صحت فإن فى الروايتين بعض من يتهم فإن اللاطم إبليس وهو الذى هتف به لأن الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه وكيف يقال له تعمد إلى من يذكرنا فتقتله وهو الذى أباح له قتله وكسب الحلال ممدوح ولو تركنا الصيد وذبح الأنعام لأنها تذكر الله تعالى لم يكن لنا مايقيم قوى الأبدان لأنه لا يقيمها إلا اللحم فالتحرى من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة فانظر إلى الجهل مايصنع والى ابليس كيف يفعل . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا عبد العزيز بن على الأزجى ثنا على بن عبد الله الهمدانى ثنا محمد بن جعفر ثنا أحمد بن عبد الله بن عبد الملك قال سمعت شيخاً يكنى أبا تراب يقول : قيل لفتح الموصلى أنت صياد بالشبكة ولم تصد شيئاً إلا وتطعمه لعيالك فلم تصد وتبيع ذلك الناس فقال اخاف أن أصطاد مطيعاً لله تعالى فى جوف الماء فأطعمه عاصياً لله على وجه الأرض .

قال المصنف رحمه الله قلت : إن صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلى فهو من التعلل البارد المخالف للشرع والعقل لأن الله تعالى أباح الكسب وندب إليه فإذا قال قائل ربما خبزت خبزاً فأكله عاص كان حديثاً فارغا لأنه لايجوز لنا إذاً أن نبيع الخبز لليهود والنصارى .

﴿ ذكر تلبيس إبلس على الصوفية فى ترك التداوى ﴾

قال المصنف رحمه الله : لايختلف العلماء أن التداوى مباح وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه . وقد ذكرنا كلام الناس فى هذا وبينا بما اخترناه فى كتابنا لقط المنافع فى الطب . والمقصود ههنا انا نقول إذا ثبت أن التداوى مباح بالإجماع مندوب إليه عند بعض العلماء فلا يلتفت إلى قول قوم قد رأوا أن التداوى خارج من التوكل لأن

لإجماع على أنه لا يخرج من التوكل وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه تداوى وأمر بالتداوى ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل . وفى الصحيح من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبى ﷺ رخص إذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصبر . قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على فساد ما يقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعباد من أن التوكل لا يصح لأحد عالج علة به فى جسده بدواء إذ ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع . وفى إطلاق النبى ﷺ للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على أن معنى التوكل غير ما قاله الذين ذكرنا قولهم . وإن ذلك غير مخرج فاعله من الرضا بقضاء الله كما أن من عرض له كلب الجوع لا يخرجه فزعه إلى الغذاء من التوكل والرضا بالقضاء لأن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل الله له دواء إلا الموت وجعل أسبابا لدفع الأدواء كما جعل الأكل سبباً لدفع الجوع . وقد كان قادراً أن يحيى خلقه بغير هذا ولكنه خلقهم ذوى حاجة فلا يندفع عنهم أذى الجوع إلا بما جعل سبباً لدفعه عنهم فكذا الداء العارض والله الهادى .

﴿ ذكر تلبس إبليس على الصوفية ﴾
فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف : كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعبد إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق . وإنما هى عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل فى جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم . وعمومهم اعتزل فى الأربطة ففاتهم السعى إلى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب وقد قال أبو حامد الغزالى فى كتاب الاحياء مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلوة فى مكان مظلم وقال فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه فى جبته أو يتدثر بكساء ، أو إزار . ففى مثل الحالة يسمع نداء الحق ، ويشاهد جلال حضرة الربوبية .

قال المصنف رحمه الله قلت : أنظر إلى هذه الترتيبات والعجبُ كيف تصدر من فقيه عالم ومن أين له أن الذى يسمعه نداء الحق وأن الذى يشاهده جلال الربوبية ومايؤمنه أن يكون مايجده من الوساوس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل فى المطعم فانه يغلب عليه الماليخوليا . وقد يسلم الإنسان فى مثل هذه الحالة من الوساوس إلا أنه إذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الأشياء لأن فى الدماغ ثلاث قوى : قوة يكون بها التخيل وقوة يكون بها الفكرة وقوة يكون بهما الذكر وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ وموضع التفكر البطن الأوسط من بطون الدماغ وموضع الحفظ الموضع المؤخر فإن أطرق الإنسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ماذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر البجلى يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمى قال كان أبو عبيد التسترى إذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته طينى باب البيت والق إلىّ كل ليلة من الكوة رغيفاً فإذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفاً فى الزاوية ولا أكل ولا شرب ولا يتهيأ لصلاة ويبقى على طهر واحد إلى آخر الشهر .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية عندى بعيدة عن الصحة من وجهين أحدها بقاء الآدمى شهراً لايحدث بنوم ولا بول ولاغائط ولاريح : والثانى ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهى واجبة لا يحل تركها فإن صحت هذه الحكاية فما أبقى إبليس لهذا فى التلبيس بقية . قال أنبأنا زاهر بن طاهر نا أحمد بن الحسين البيهقى ثنا الحاكم أبى عبد الله النيسابورى وسمعت أبا الحسن البوشنجى الصوفى غير مرة يعاتب فى ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول : ان كانت البركة فى الجماعة فإن السلامة فى العزلة .

(فصل) وقد جاء النهى عن الانفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو . أخبرنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبى ثنا أبو المغيرة ثنا معان بن رفاعة ثنى على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فى سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شىء من ماء

ماء قال فحدث نفسه بأن يقيم فى ذلك الغار فيقوته ما كان فيه وفيه شيء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا ثم قال : لو أنى أتيت نبى الله ﷺ فذكرت ذلك له فإن أذن لى فعلت وإلا لم أفعل فأتاه فقال يا نبى الله إنى مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل فحدثتنى نفسى بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا . قال : فقال نبى الله ﷺ « إنى لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم فى الصف خير من صلاته ستين سنة .

﴿ ذكر تلبيس إبليس فى الصوفية ﴾
فى التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس

قال المصنف رحمه الله : إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقا متأدباً متذللا وقد كانوا يجتهدون فى ستر ما يظهر منهم من ذلك . وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل . ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم . فقد روى عن على رضى الله عنه إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم إذا تفسح فى المباح فينبغى أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكى ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فتهيأ للدعاء كأنه يستنزل الإجابة وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعى أنه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان فى الخائفين من حمله الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ . وفى صحيح مسلم من حديث أبى موسى قال كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء . وفى هذا الحديث دليل على استحباب النظر الى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى (أولم يروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) وقال (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) وفى هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء . وقد ضم هؤلاء إلى ابتداعهم

الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن اطراقهم كرفعهم فى باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة . فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره .

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلانى نا القاضى أبو العلاء الواسطى نا أبو نصر أحمد بن محمد نا أبو الخير أحمد بن محمد البزار ثنا البخارى ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد أحد منهم على شىء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون . أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز الحسن بن إسماعيل الضراب نا أبى ثنا أحمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربى ثنا محمد بن الحارث عن المداينى عن محمد بن عبد الله القرشى عن أبيه قال : نظر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له : يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه فإنما أظهر نفاقا على نفاق .

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا على بن أحمد الملطى ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى يعقوب بن إسماعيل قال : قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر أو قال لكمه .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن عاصم ابن كليب الجرمى : قال لقى أبى عبد الرحمن بن الأسود وهو يمشى وكان إذا مشى يمشى جنب الحائط منخشعاً هكذا : وامال أبو بكر عنقه شيئاً فقال أبى مالك إذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط : أما والله ان عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض جهورى الصوت .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر نا أبو محمد الجوهرى نا ابن حيوية نا أبو الحسن بن

معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد يرفعه إلى سليمان بن أبي خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبد الله ورأت فتياناً يقصرون فى المشى ويتكلمون رويداً فقالت ما هـــذا قالوا نساك . قالت : كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذ مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناسك حقاً .

قال المصنف رحمه الله : قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع . وقد ذكرنا عن أيوب السختيانى أنه كان فى ثوبه بعض الطول ليستر حاله . وكان سفيان الثورى يقول لا أعتد بما ظهر من عملى وقال لصاحب له ورآه يصلى ما أجرأك تصلى والناس يرونك قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر بن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعى ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبو عبد الله يعنى السلمى ثنا بقية عن محمد بن زياد قال : مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يا لها من سجدة لو كانت فى بيتك .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهرى ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الأنبارى ثنا الحارث بن محمد ثنا يحي بن أيوب ثنا شعيب بن حرب ثنا الحسين بن عمار . قال رجل فى مجلس الحسن بن عمارة آه قال . فجعل يتبصره ويقول من هذا حتى ظننا أنه لو عرفه أمر به . أخبرنا إسماعيل بن أحمد المقرى نا أحمد بن أحمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ نا أبو عبد الله محمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن محمد بن يعقوب ثنا أبو حاتم ثنا حرملة قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول :

ودع الذين إذا أتوك تنسكوا   وإذا خلوا فهم ذئاب خفاف

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا أبو عمر الحسن ابن عثمان الواعظ نا جعفر بن محمد الواسطى نا الحسين بن عبد الله الابزارى قال سمعت ابراهيم بن سعيد يقول . كنت واقفاً على رأس المأمون فقال لى يا ابراهيم : قلت لبيك قال عشرة من أعمال البر لا يصعد إلى الله والله منها شيء . قلت ماهى يا أمير المؤمنين فقال بكاء ابراهيم على المنبر ، وخشوع عبد الرحمن بن اسحاق ، وتقشف ابن سماعة ، وصلاة خبعويه بالليل ، وصلاة عباس الضحى ، وصيام ابن السندى الاثنين والخميس ، وحديث أبى رجاء ، وقصص الحاجبى ، وصدقة حفصويه وكتاب الشامى ليعلى بن قريش .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك النكاح ﴾

قال المصنف : النكاح مع خوف العُنت واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء . ومذهب أبى حنيفة وأحمد ابن حنبل أنه حينئذ أفضل من جميع النوافل لأنه سبب فى وجود الولد قال عليه الصلاة والسلام « تناكحوا تناسلوا » وقال رسول الله ﷺ « النكاح من سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » . أخبرنا محمد بن أبى طاهر نا الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا سليمان بن داود الطيالسى نا إبراهيم ابن سعد عن الزهرى عن سعيد ابن المسيب عن سعد بن أبى وقاص قال : لقد رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له فى ذلك لاختصينا . قال ابن سعد وأخبرنا ابن عفان نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك « أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبى عليه السلام عن عمله فى السر فأخبروهم فقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام الليل على فراش . وقال بعضهم أصوم ولا أفطر فحمد الله النبى عليه الصلاة والسلام وأثنى عليه ثم قال : ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى » قال ابن سعد وأخبرنا سعيد بن منصور نا أبو عوانة عن عطاء بن السايب عن سعيد ابن عبيد قال قال ابن عباس رضى الله عنه : « إن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء » قال ابن سعد وأخبرنا أحمد ابن عبدالله بن قيس ثنا مبذل عن أبى رجاء الجزرى عن عثمان بن خالد بن محمد بن مسلم قال قال شداد بن أوس . زوجونى فإن رسول الله ﷺ أوصانى أن لا ألقى الله عزباً . وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الرزاق نا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبى ذر قال : دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكاف بن بشر التميمى الهلالى فقال له النبى ﷺ « يا عكاف هل لك من زوجة قال لا قال ولا جارية قال لا قال وأنت موسر بخير قال أنت إذاً من إخوان الشياطين لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم إن سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم أبالشياطين تمرسوم ما للشياطين ... لاح ابلغ فى الصالحين من ترك النساء » . أخبرنا ابن الحصين نا

ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنى أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال : « لعن رسول الله ﷺ مخنثى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال . والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء اللاتى يقلن ذلك » . أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد القادر بن محمد قال نا أبو بكر الخياط نا أبو الفتح بن أبي الفوارس نا أحمد بن جعفر الجيلى ثنا أحمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : ليس العزوبة من أمر الإسلام فى شىء النبي عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع ثم قال لو كان بشر بن الحارث تزوج كان قدتم أمره كله . لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يصبح وما عندهم شىء وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل فمن رغب عن فعل النبى عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق . ويعقوب عليه السلام فى حزنه قد تزوج وولد له . والنبى عليه الصلاة والسلام قال حبب إلى النساء : قلت فإن إبراهيم ابن آدم يحكى عنه بأنه قال لروعة صاحب عيال فما قدرت أن أتم الحديث حتى صاح بى وقال وقعنا فى بنيات الطريق أنظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد ﷺ وأصحابه ثم قال : لبكاء الصبى بين يدى أبيه يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا انى يلحق المتعبد المتعزب المتزوج .

(فصل) وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقدماؤهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد ورأوا النكاح شاغلا عن طاعة الله عز وجل وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إلى النكاح أو بهم نوع تشوق إليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم وإن لم يكن بهم حاجة إليه فاتتهم الفضيلة . وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر قالوا نعم قال وكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر » ثم قال « أفتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير » ومنهم من قال النكاح يوجب النفقة والكسب صعب وهذه حجة للترفه عن تعب الكسب وفى الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ إنه

قال «دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار أنفقته فى الصدقةودينار أنفقته على عيالك أفضلها الدينار الذى أنفقته على عيالك» ، ومنهم من قال النكاح يوجب الميل إلى الدنيا فروينا عن أبى سليمان الدارانى أنه قال : إذا طلب الرجل الحديث أو سافر فى طلب المعاش أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا كله مخالف للشرع وكيف لا يطلب الحديث والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم . وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت من سعى على رجلى أطلب كفاف وجهى أحب إلىّ من أن أموت غازياً فى سبيل الله . وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول : « تناكحوا تناسلوا » ، فما أرى هذه الأوضاع إلا على خلاف الشرع . فأما جماعة من متأخرى الصوفية فانهم تركوا النكاح ليقال زاهد والعوام تعظم الصوفى إذا لم تكن له زوجة فيقولون ما عرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا . قال أبو حامد ينبغى أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى .

قال المصنف رحمه الله : وإنى لأعجب من كلامه أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فانه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبيعى بالزوجة ينافى أنس القلوب بطاعة الله تعالى والله تعالى قد منّ على الخلق بقوله (وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) . وفى الحديث الصحيح عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال له « هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك » ، وما كان بالذى ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى . أترى رسول الله ﷺ لما كان ينبسط إلى نسائه ويسابق عائشة رضى الله عنها أكان خارجا عن الأنس بالله . هذه كلها جهالات بالعلم .

(فصل) واعلم أنه إذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع : الأول المرض بحبس الماء فان المرء إذا طال احتقانه تصاعد إلى الدماغ منه منيه . قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازى . أعرف قوماً كانوا كثيرى المنى فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت

عليهم الكآبة بلا سبب وعرضت لهم أعراض الماليخوليا وقلت شهواتهم وهضمهم قال : ورأيت رجلا ترك الجماع ففقد شهوة الطعام وصار إن أكل القليل لم يستمره وتقايأه فلما عاد إلى عادته من الجماع سكنت عنه الأعراض سريعاً . النوع الثانى الفرار إلى المتروك فان منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا جموا فلامسوا النساء ولابسوا من الدنيا أضعاف مافروا منه فكانوا كمن أطال الجوع ثم أكل ما ترك فى زمن الصبر . النوع الثالث الانحراف إلى صحبة الصبيان فان قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون إلى صحبة المرد .

(فصل) وقد لبس على قوم منهم تزوجوا وقالوا انا لا ننكح شهوة فان أرادوا أن الأغلب فى طلب النكاح إرادة السنة جاز وان زعموا أنه لا شهوة لهم فى نفس النكاح فمحال ظاهر .

(فصل) وقد حمل الجهل أقواماً فجبوا أنفسهم وزعموا أنهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى وهذه غاية الحماقة لأن الله تعالى شرف الذكر على الأنثى بهذه الآلة وخلقها لتكون سبباً للتناسل والذى يجب نفسه يقول بلسان الحال الصواب ضد هـــذا ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس فما حصل لهم مقصودهم .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك طلب الأولاد ﴾

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا : نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد ابن عبد الله ثنا إسحاق بن أحمد ثنا إبراهيم بن يوسف ثنا أحمد بن أبى الحوارى قال : سمعت أبا سليمان الدارانى يقول : الذى يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة إن أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه وإن اراد أن يتعبد شغله .

قال المصنف رحمه الله . قلت : وهذا غلط عظيم وبيانه أنه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الدنيا اتصال دوامها إلى أن تنقضى أجالها وكان الآدمى غير ممتد البقاء فيها إلا أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله وحثه على سبب ذلك تارة من حيث الطبع بإيقاد نار الشهوة وتارة من باب الشرع بقوله تعالى (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم) وقول الرسول ﷺ . تناكحوا تناسلوا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة

ولو بالسقط ، وقد طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأولاد . فقال تعالى حكاية عنهم: (رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) ، (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى) إلى غير ذلك من الآيات . وتسبب الصالحون إلى وجودهم ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعى وأحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة ألف سنة . وقد جاءت الأخبار بإثابة المباضعة والإنفاق على الأولاد والعيال ومن يموت له ولد ومن يخلف ولداً بعده فمن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقد خالف المسنون والأفضل وحرم أجراً جسيما ومن فعل ذلك فإنما يطلب الراحة . أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر ابن السراج نا أبو القاسم الأزجى ثنا ابن جهضم ثنا الخلدى قال: سمعت الجنيد يقول: الأولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام .

قال المصنف رحمه الله : وهذا غلط فإن تسمية المباح عقوبة لايحسن لأنه لايباح شيء ثم يكون ما تجدد منه عقوبة ولا يندب إلى شيء إلا وحاصله مثوبة .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الأسفار والسياحة ﴾

قد لبس إبليس على خلق كثير منهم فأخرجهم إلى السياحة لا إلى مكان معروف ولا إلى طلب علم وأكثرهم يخرج على الوحدة ولا يستصحب زاداً ويدعى بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى أنه فى ذلك على طاعة وأنه يقرب بذلك من الولاية وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله ﷺ . وأما السياحة والخروج لا إلى مكان مقصود فقد نهى رسول الله ﷺ عن السعى فى الأرض فى غير أرب حاجة . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم ابن عمر البرمكى نا ابن حياة نا عبيد الله ابن عبد الرحمن السكرى قال : سمعت أبا محمد بن قتيبة يقول: ثنى محمد بن مسلم عن طاوس أن رسول الله ﷺ قال : « لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة فى الإسلام » قال ابن قتيبة : الزمام فى الأنف والخزام حلقة من شعر يجعل فى أحد جانبي المنخرين . وأراد ﷺ ما كان عباد بنى إسرائيل يفعلونه من خزم التراقى وزم الأنوف والتبتل ترك النكاح والسياحة مفارقة الأمصار والذهاب فى الأرض . وروى أبو داود فى سننه من حديث أبى أمامة أن رجلا قال : يارسول الله إئذن لى فى السياحة فقال النبى ﷺ : « إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله » .

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا فيما تقدم من حديث ابن مظعون أنه قال : يارسول الله إن نفسي تحدثني بأن أسيح في الأرض . فقال النبي ﷺ له : « مهلا ياعثمان فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة » . وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانىء عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن الرجل يسيح يتعبد أحب إليك أو المقيم في الأمصار قال : ما السياحة من الإسلام في شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين .

(فصل) وأما الخروج على الوحدة فقد نهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحـــده . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن علي بن ثابت نا محمد بن الطيب الصباغ نا أحمد بن سلمان النجاد ثنا يحيى بن جعفر بن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا عبد الرحمن بن يزيد ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الراكب شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب » أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم راكب الفلاة وحده » .

(فصل) وقد يمشون بالليل أيضا على الوحدة . وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك . وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا محمد بن عبيد ثنا عاصم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ . لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار أحد وحده بليل ابداً . قال عبد الله وحدثني أبي ثنا محمد ابن إسحق عن محمد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أقلوا الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله تعالى يبث في خلقه ما شاء » .

قال المصنف رحمه الله : ومنهم من جعل دابه السفر والسفر لا يراد لنفسه قال النبي ﷺ : « السفر قطعة من العذاب فاذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله . فمن جعل دأبه السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب النفس وكلاهما مقصود فاسد . أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي قال سمعت محمد بن أبي الطيب العكي يقول سمعت أبا الحسن المصري يقول سمعت أبا حمزة الخراساني يقول : كنت قد

بقيت محرماً فى عباء أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس عليّ وتغرب كلما أحللت أحرمت .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى دخول الفلاة بغير زاد ﴾

قال المصنف رحمه الله : قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا فى جهلة القوم ، وجاء حمقى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك وبأفعال أولئك ومدح هؤلاء لهؤلاء فسدت الأحوال وخفيت على العوام طرق الصواب . والأخبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة . أنبأنا محمد بن عبد الملك نا أبو بكر نا رضوان بن محمد الدينورى ثنا طاهر بن عبد الله ثنا الفضل بن الفضل الكندى ثنى أبو بكر محمد بن عبد الواحد بن جعفر الواسطى ثنا محمد بن السفاح عن على بن سهل المصرى قال أخبرنى فتح الموصلى قال خرجت حاجاً فلما توسطت البادية إذا أنا بغلام صغير فقلت يا عجبا بادية بيداء وأرض قفراء ، وغلام صغير ، فأسرعت فلحقته فسلمت عليه ثم قلت يابنى إنك غلام صغير لم تجر عليك الأحكام قال ياعم قد مات من كان أصغر سنا منى فقلت وسع خطاك فإن الطريق بعيد حتى تلحق المنزل . فقال ياعم عليّ المشى وعلى الله البلاغ ، أماقرأت قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) . فقلت له مالى لا أرى معك لازاداً ولا راحلة . فقال يا عم زادى يقينى وراحلتى رجلاى . قلت : سألتك عن الخبز والماء قال ياعم أخبرنى لو أن أخا من إخوانك أو صديقاً من أصدقائك دعاك إلى منزله أكنت تستحسن أن تحمل معك طعاما فتأكله فى منزله . فقلت : أزودك فقال اليك عنى يا بطال هو يطعمنا ويسقينا قال فتح . فما رأيت صغيراً أشد توكلا منه ولا رأيت كبيراً أشد زهداً منه .

قال المصنف رحمه الله : مثل هذه الحكاية تفسد الأمور ويظن أن هذا هو الصواب ويقول الكبير إذا كان الصغير قد فعل هذا فأنا أحق بفعله . [illegible] العجب من الصبى [illegible] لم يعرفه إن هذا الذى يفعله منكر ولأن الشرع استدعاك أمرك بالتزود ومن ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم فكيف الصغار . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد ابن على الحافظ نا أبو نعيم

الأصفهانى قال سمعت محمد بن الحسن بن على اليعيظى يقول حضرت أبا عبد الله الجلاء وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة يزعمون أنهم متوكلون فيموتون فى البرارى . فقال هذا فعل رجال الحق فإن ماتوا فالدية على القاتل أخبرنا ابن ناصر أنبأنا أحمد بن على بن خلف نا أبوعبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت أحمد بن على يقول : قال رجل لأبى عبد الله بن الجلاء : ماتقول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد . قال : هذا من فعل رجال الله ، قال فان مات قال : الدية على القاتل

قال المصنف رحمه الله : قلت هذه فتوى جاهل بحكم الشرع إذ لا خلاف بين فقهاء الإسلام أنه لا يجوز دخول البادية بغير زاد وإن من فعل ذلك فمات بالجوع فإنه عاص لله تعالى مستحق لدخول النار . وكذلك إذا تعرض بما غالبه العطب فإن الله جعل النفوس ودبعة عندنا فقال : (ولا تقتلوا أنفسكم) وقد تكلمنا فيما تقدم فى وجوب الاحتراز من المؤذى ولو لم يكن المسافر بغير زاد إلا أنه خالف أمر الله فى قوله « وتزودوا » . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال : سمعت أبا أحمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف قال خرجت من شيراز فى السفرة الثالثة فتهت فى البادية وحدى وأصابنى من الجوع والعطش ما أسقط من أسنانى ثمانية وانتثر شعرى كله .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذا قد حكى عن نفسه ما ظاهره طلب المدح على ما فعل والذم لاحق به : أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا عبد الكريم بن هوازن قال سمعت أبا عبدالرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبدالله الواعظ . وأخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا أبو عبد الله ابن باكويه واللفظ له ثنا أبو الفضل يوسف بن على البلخى ثنا محمد بن عبد الله أبو حمزة الصوفى . قال : إنى لأستحى من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعى زاداً تزودته .

قال المصنف رحمه الله : قلت وقد سبق الكلام على مثل هذا وإن هؤلاء القوم ظنوا أن التوكل ترك الأسباب . ولو كان هكذا لكان رسول الله ﷺ حين تزود

لما خرج إلى الغار قد خرج من التوكل . وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود حوتا . وأهل الكهف حين خرجوا فاستصحبوا دراهم واستخفوا ما معهم وإنما خفي على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم وقد اعتذر لهم أبو حامد . فقال لا يجوز دخول المفازة بغير زاد إلا بشرطين أحدهما أن يكون الإنسان قد راض نفسه حيث يمكنه الصبر على الطعام أسبوعا ونحوه والثاني أن يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلو البادية من أن يلقاه آدمي بعد أسبوع أو ينتهي إلى حلة أو حشيش يرجى به وقته .

قال المصنف رحمه الله قلت : أقبح ما في هذا القول أنه صدر من فقيه فإنه قد لا يلقى أحداً وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلقى من لا يطعمه ويتعرض بمن لا يضيفه وتفوته الجماعة قطعاً وقد يموت ولا يعلم به أحد . ثم قد ذكرنا ما جاء في الوحدة ثم ما المخرج إلى هذه المحن إن كان يعتمد فيها على عادة أو لقاء شخص والاجتزاء بحشيش وأى فضيلة في هذه الحال حتى يخاطر فيها بالنفس . وأين أمر الإنسان أن يتقوت بحشيش ومن فعل هذا من السلف وكأن هؤلاء القوم يحزمون على الله سبحانه هل يرزقهم في البادية . ومن طلب الطعام في البرية فقد طلب مالم تجر به العادة الا ترى ، أن قوم موسى عليه السلام لما سألوا من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها اوحى الله إلى موسى (أن اهبطوا مصرا) وذلك لأن الذى طلبوه في الأمصار فهؤلاء القوم على غاية الخطأ في مخالفة الشرع والعقل والعمل بموافقات النفس .

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابراهيم ابن محمد بن جعفر الساجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال نا الحسن بن أحمد الوراق نا ابو بكر ثنا شبابة ثنا ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس [illegible] كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيحجون [illegible] مكة فيسألون الناس فأنزل الله عز وجل (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) [illegible] [illegible] ما يحيى بن عبد [illegible] نا أبو طاهر محمد بن [illegible] حسان نا أبو بكر أحمد بن هارون البردنجي ثنا عبد الله بن [illegible] ثنا أسباط ثنا محمد بن موسى الجرجاني قال سألت محمد بن كثير الصنعاني عن الذين لا يتزودون ولا ينتعلون ولا يلبسون الخفاف .

فقال سألتنى عن أولاد الشياطين ولم تسألنى عن الزهاد . فقلت له : فأى شيء الزهد: قال التمسك بالسنة والتشبيه بأصحاب النبي ﷺ . أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين ابن عبدالجبار نا عبدالعزيز بن على الأزجى نا ابراهيم ابن محمد الساجى نا أبو بكر عبدالعزيز ابن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال نا أحمد بن الحسين بن حسان . أن أبا عبدالله أحمد ابن حنبل سئل عن الرجل يريد المفازة بغير زاد فأنكره إنكاراً شديداً وقال أف أف لا لا ومد بها صوته إلا بزاد ورفقاء قافلة . قال الخلال : وقال أبو بكر المروزى وجاء رجل إلى أبي عبدالله . فقال رجل يريد سفراً أيما أحب اليك يحمل معه زاداً أو يتوكل . فقال له أبو عبدالله . يحمل معه زاداً أو يتوكل حتى لا يتشرف للناس . قال الخلال : وأخبرنى إبراهيم بن الخليل أن أحمد بن نصر حدثهم أن رجلا سأل أبا عبد الله أيخرج الرجل إلى مكة متوكلا لا يحمل معه شيئاً قال لا يعجبنى فمن أين يأكل قال فيتوكل فيعطيه الناس قال فاذا لم يعطوه أليس يتشرف لهم حتى يعطوه لا يعجبنى هذا . لم يبلغنى أن أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين فعل هــــذا . قال الخلال . وأخبرنا محمد بن على السمسار أن محمد بن موسى بن مسيس حدثهم أن أبا عبدالله سأل رجل فقال أحج بلا زاد فقال لا : اعمل واحترف وأخرج النبي صلى الله عليه وسلم زود أصحابه(١) فقال : فهؤلاء الذين يعرفون ويحجون بلا زادهم على الخطأ . قال نعم هم على الخطأ . قال الخلال وأخبرنى محمد بن أحمد بن جامع الرازى قال سمعت الحسين الرازى قال شهدت أحمد ابن حنبل وجاءه رجل من أهل خراسان فقال له يا أبا عبد الله معى درهم أحج بهذا الدرهم فقال له أحمد اذهب إلى باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حبا واحمل على رأسك حتى يصير عندك ثلثمائة درهم فحج . قال يا أبا عبد الله اما ترى مكاسب الناس قال أحمد لا تنظر إلى هذا فإنه من رغب فى هذا يريد أن يفسد على الناس معايشهم قال يا أبا عبد الله أنا متوكل قال فتدخل البادية وحدك أو مع الناس قال لا مع الناس قال كذبت إذن لست بمتوكل فادخل وحدك وإلا فأنت متوكل على جراب الناس .

---

(١) قوله واخرج النبي الخ هذه الجملة غير موجودة فى بعض النسخ ولعلها حشو.

﴿ سياق ماجرى للصوفية فى أسفارهم وسياحاتهم ﴾
(من الأفعال المخالفة للشرع)

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على ابن ثابت نا محمد بن عبد الباقى نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد ابن محمد بن مقسم ثنى أبو بدر الخياط الصوفى قال سمعت أبا حمزة يقول : سافرت سفرة على التوكل فبينا أنا أسير ذات ليلة والنوم فى عينى إذ وقعت فى بئر فرأيتنى قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها فجلست فيها فبينا أنا جالس إذ وقف على رأس البئر رجلان فقال أحدهما لصاحبه نجوز ونترك هذه البئر فى طريق المسلمين السابلة والمارة ، فقال الآخر : فما نصنع قال : فبدرت نفسى أن أناديهما فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا إلى سوانا . فسكت فمضيا ثم رجعا ومعهما شىء فجعلاه على رأسها غطوها به . فقال لى نفسى أمنت طمها ولكن حصلت فيها مسجوناً . فمكثت يومى وليلتى فلما كان الغد نادانى شىء يهتف بى ولا أراه تمسك بى شديداً فمددت يدى فوقعت على شىء خشن فتمسكت به فعلاها وطرحنى فوق الأرض فاذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسى من ذلك مايلحق من مثله فهتف بى هاتف وهو يقول : يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ماتخاف بما تخاف . أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن أبى نصر الحميدى نا أبو بكر محمد ابن أحمد الأردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن حسن المخرمى سمعت ابن المالكى يقول قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشى فى الطريق وقعت فى الطريق وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما أتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر فى هذا الطريق فأتوا بقصب وبارية فهممت فقلت إلى من هو أقرب إليك منهما وسكت حتى طموا رأس البئر فإذا بشىء قد جاء فكشف عن رأس البئر ودلى رجليه وكان يقول فى همهمة له تعلق بى فتعلقت به فأخرجنى فنظرت فإذا هو سبع نهتف بى هاتف وهو يقول : يا أبا حمزة أليس ذا حسن نجيناك من التلف بالتلف . أخبرنا أبو منصور القزاز أحمد بن على ابن ثابت نا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى قال سمعت أحمد بن

محمد بن عبد الله النيسابورى يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكى عن أبيه حمزة الصوفى الدمشق أنه لما خرج من البئر أنشد يقول :

نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى	فأغنيتنى بالقرب منك عن الكشف
تراءيت لى بالغيب حتى كأنى	تبشرنى بالغيب إنك فى الكف
أراك وبى من هيبتى لك وحشة	وتؤنسنى بالعطف منك وباللطف
وتحيى محباً أنت فى الحب حتفه	وذا عجب كون الحياة مع الحتف

قال المصنف رحمه الله قلت : اختلفوا فى أبى حمزة هذا الواقع فى البئر فقال أبو عبد الرحمن السلمى : هو أبو حمزة الخراسانى وكان من أقران الجنيد . وقد ذكرنا فى رواية أخرى أنه دمشق . وقال أبو نعيم الحافظ : هو أبو حمزة البغدادى واسمه محمد بن إبراهيم وذكره الخطيب فى تاريخه وذكر له هذه الحكاية ، وأيهم كان فهو مخطىء فى فعله مخالف للشرع بسكوته معين بصمته على نفسه وقد كان يجب عليه أن يصيح ويمنع فى طم البئر كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد قتله . وقوله لا أستغيث كقول القائل : لا آكل الطعام ولا أشرب الماء وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة فى وضع الدنيا فان الله تعالى وضع الأشياء على حكمة فوضع للآدمى يداً يدافع بها ولساناً ينطق به وعقلا يهديه إلى دفع المضار واجتلاب المصالح . وجعل الأغذية والأدوية لمصلحة الآدميين فمن أعرض عن استعمال ما خلق له وأرشد إليه فقد رفض أمر الشرع وعطل حكمة الصانع . فإن قال جاهل فكيف احترز مع أمر المقدر قلنا وكيف لايحترز مع أمر المقدر وقد قال الله تعالى « خذوا حذركم » ، وقد اختفى النبي ﷺ فى الغار وقال لسراقة « اخف عنا » واستأجر دليلا إلى المدينة ، ولم يقل أطرح على التوكل وما زال ببدنه مع الأسباب وبقلبه مع المسبب . وقد أحكمنا هذا الأصل فيما تقدم . وقول أبى حمزة فنوديت من باطنى هذا من حديث النفس الجاهلة التى قد استقر عندها بالجهل أن التوكل ترك التمسك بالأسباب لأن الشرع لايطلب من الإنسان ما نهاه عنه وهلا نافره باطنه فى حديثه بتعلقه بذلك المتدلى اليه وتمسكه به فإن ذلك أيضاً نقض لما ادعاه من ترك الأسباب الذى يسميه التوكل لأنه أى فرق بين فراره أولا فى البئر وبين تمسكه بما نزل عليه ثانيا هذا آكد لأن الفعل

آكد من القول فهلا يسكت حتى يحمل بلا سبب . فان قال : هذا بعثه الله لى . قلنا : والذى جاز على البئر من بعثه واللسان المستغيث من خلقه فإنه لو استغاث كان مستعملا للأسباب التى خلقها الله تعالى لينتفع بها للدفع عنه فلم يستعمها وإنما بسكوته عطل الأسباب التى خلقها الله تعالى له ودفع الحكمة فصح لومه على ترك السبب . وأما تخليصه بالأسد فإن صح هذا فقد يتفق مثله ثم لاينكر أن الله تعالى يلطف بعبده وإنما ينكر فعله المخالف للشرع .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز ابن أبى الحسن قال سمعت على بن عبد الله بن جهضم المكى يقول : ثنا الخلدى قال : قال الجنيد قال لى محمد السمين : كنت فى طريق الكوفة بقرب الصحراء التى بين قباء والصخرة التى تفريقنا منها والطريق منقطع فرأيت على الطريق جملا قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع تتناهش لحمه يحمل بعضها على بعض فلما أن رأيتهم كأن نفسى اضطربت وكانوا على قارعة الطريق . فقالت لى نفسى تميل يميناً أو شمالا فأبيت عليها إلا أن آخذ على قارعة الطريق فحملتها على أن مشيت حتى وقفت منهم كأحدهم ثم رجعت إلى نفسى لأنظر كيف فإذا هى الروع معى قائم فأبيت أن أبرح وهذه صفتى فقعدت بينهم ثم نظرت بعد قعودى فإذا الروع معى فأبت أن أبرح وهذه صفتى فوضعت جنبى فنمت مضطجعاً فتغاشانى النوم فنمت وأنا على تلك الهيئة والسباع فى المكان الذى كانوا عليه فمضى بى وقت وأنا نائم فاستيقظت فإذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شىء وإذا الذى كنت أجده قد زال فقمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت .

قال المصنف رحمه الله قلت : فهذا الرجل قد خالف الشرع فى تعرضه للسباع ولا يحل لأحد أن يتعرض لسبع أو لحية بل يجب عليه أن يفر مما يؤذيه أو يهلكه . وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال « إذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليه » وقال ﷺ « فر من المجذوم فرارك من الأسد » ومر عليه الصلاة والسلام بحائط مائل فأسرع . وهذا الرجل قد أراد من طبعه أن لاينزعج . وهذا شىء ماسلم منه موسى عليه السلام فإنه لما رأى الحية خاف وولى مدبراً . فان صح ما ذكره وهو بعد الصحة

لأن طباع الآدميين تتساوى . فمن قال لا أخاف السبع بطبعي كذبناه كما لو قال أنا لا أشتهي النظر إلى المستحسن . وكأنه قهر نفسه حتى نام بينهم استسلاما للهلاك لظنه ان هذا هو التوكل . وهذا خطأ لأنه لوكان هذا هوالتوكل مانهى عن مقاربة مايخاف شره . ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الجمل والسبع إذا شبع لا يفترس ولقد كان أبو تراب النخشبي من كبار القوم فلقيته السباع البرية فنهشته فمات . ثم لاينكر أن يكون الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه غير أنا نبين خطأ فعله للعامي الذي إذا سمع هذه الحكاية ظن أنها عزيمة عظيمة ويقين قوى وربما فضل حالته على حالة موسى عليه السلام إذ هرب من الحية . وعلى حالة نبينا ﷺ إذ مر بجدار مائل فهرول وعلى لبسه ﷺ الدرع في غزواته كلها وقت الحرب حتى قال عليه الصلاة والسلام في غزوة الخندق « ليس لنبي أن يلبس لامة حربه ثم ينزعها من غير قتال » وعلى حالة أبي بكر رضي الله عنه إذ سد خروق الغار اتقاء ذي الحيات : وهيهات أن تعلو مرتبة هذا المخالف للشرع على مرتبة النبيين والصديقين بما يخايل له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل .

وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا إسماعيل بن أحمد الجبرى ثنا محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني قال سمعت مؤملا المغابي يقول : كنت أصحب محمد بن السمين فسافرت معه مابين تكريت والموصل فبينا نحن في برية نسير إذ زرأ السبع من قريب منا فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهي وهممت أن أبادر فأفر فضبطني وقال يامؤمل التوكل ههنا ليس في المسجد الجامع .

قال المصنف رحمه الله : قلت لا أشك في أن التوكل يظهر أثره في المتوكل عند الشدائد وليس من شروطه الاستسلام للسبع فانه لا يجوز .

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن على الأرجى نا ابن جهضم ثنا إبراهيم بن أحمد بن العطار . قال له الخواص : حدثني بعض المشايخ أنه قيل لعلى الرازى . مالنا لا نراك مع أبي طالب الجرجاني . قال : خرجنا في سياحة فنمنا في موضع فيه سباع فلما نظر إلىّ رآني لم أنم طردني . وقال : لاتصاحبني بعد هذا اليوم

قال المصنف رحمه الله : لقد تعدى هذا الرجل إذ أراد من صاحبه أن يغير ما طبع عليه ولبس ذلك فى قدرته ولا فى وسعه . ولا يطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية فهذا كله مبناه على الجهل :

أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأزجى ثنا بن جهضم . قال سمعت الخلدى يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول : سمعت حسناً أخا سنان يقول : كنت أسلك طريق مكة فتدخل فى رجلى الشوكة فيمنعنى ما أعتقده من التوكل أن أخرجها من رجلى فأدلك رجلى على الأرض وأمشى .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الحساب نا عبد الله بن على السراج قال سمعت أحمد بن على الوجدى يقول : حج الدنورى اثنتى عشرة حجة حافياً مكشوف الرأس وكان إذا دخل فى رجله شوك يمسح رجله فى الأرض ويمشى ولا يتطاطى من صحة توكله .

قال المصنف رحمه الله . قلت : انظروا إلى ما يصنع الجهل بأهله وليس من طاعة الله تعالى أن يقطع الإنسان تلك البادية حافياً لأنه يؤذى نفسه غاية الأذى . ولا مكشوف الرأس وأى قربة تحصل بهذا ولولا وجوب كشف الرأس فى مدة الإحرام لم يكن لكشفه معنى . فمن ذا الذى أمره ألا يخرج الشوك من رجله وأى طاعة تقع بهذا ولو أن رجله انتفخت بما يبقى فيها من الشوك وهلك كان قد أعان على نفسه وهل ذلك الرجل بالأرض إلا دفع بعض شر الشوك فهلا دفع الباقى بالإخراج وأين التوكل من هذه الأفعال المخالفة للعقل والشرع لأنهما يقضيان بجلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر فى إحرامه أن يخرق حرمة الإحرام ويلبس ويغطى رأسه ويفدى . ولقد سمعت أبا عبيد يقول : إنى لأتبين عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشى فى الظل .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن أبى الحسن القرميسينى قال سمعت على بن عبد الله بن جهضم قال سمعت أبا بكر الرقى يقول حدثنى أبو بكر الدقاق قال : خرجت فى وسط السنة إلى مكة وأنا حدث السن فى وسطى نصف جل وعلى كتفى نصف جل فرمدت عينى فى الطريق وكنت أمسح دموعى بالجل فأفرح الجل

الموضع فكان يخرج الدم مع الدموع فمن شدة الإرادة وقوة سروري بحالي لم أفرق بين الدموع والدم وذهبت عيني فى تلك الحجة وكانت الشمس إذا أثرت فى بدنى قبلت يدى ووضعتها على عيني سرورامني بالبلاء . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا احمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران يقول سمعت محمد بن داود الرقي يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول : كان سبب ذهاب بصرى أني خرجت فى وسط السنة أريد مكة وفى وسطى نصف جل وعلى وسطى نصف جل فرمدت إحدى عيني فسحت الدموع بالجل ففرح المكان وكانت الدموع والدم تسيلان من عيني . أخبرنا أبو محمد التميمي أنا عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر الرازي يقول قلت لأبي بكر الدقاق . وكان بفرد عين ما سبب ذهاب عينك قال كنت أدخل البادية على التوكل فجعلت على نفسى أن آكل لأهل المنازل شئنا تورعا فسالت إحدى عيني على خدى من الجوع .

قال المصنف رحمه الله : إذا سمع مبتدىء حالة هذا الرجل ظن أن هذه مجاهدات وقد جمعت هذه السفرة التى افتخر فيها فنوناً من المعاصي والمخالفات منها خروجه فى تنصيف السنة على الوحدة . ومشيه بلا زاد ولا راحلة ، ولباسه الجل ومسح عينيه به وظنه أن ذلك يقربه إلى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكف عنه ، فلو أن إنسانا قال أريد أن أضرب نفسى بعصا لأنها عصت أتقرب بذلك إلى الله كان عاصياً وسرور هذا الرجل بهذا خطأ قبيح إنما يفرح بالبلاء إذا كان بغير تسبب منه لنفسه ، فلو أن إنسانا كسر رجل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كان نهاية فى الحماقة ثم تركه السؤال وقت الاضطرار وحمله على النفس فى شدة المجاعة حتى سالت عينه ثم يسمى هذا تورعا حماقات زهاد أكبرها الجهل والبعد عن العلم . وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا احمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس بن أيوب الأصفهاني ثنا عبد الرحمن بن يوسف الرقي ثنا مطرف بن مازن عن سفيان الثوري قال : من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار .

قال المصنف رحمه الله : فانظر إلى كلام الفقهاء ما أحسنه . ووجهه إن الله تعالى قد جعل للجائع مدافعة التسبب فإذا عدم الأسباب الظاهرة فله قدرة السؤال التى هى كسب

مثله فى تلك الحال فإذا تركه فقد فرط فى حق نفسه التى هى وديعة عنده فاستحق العقاب وقد روى لنا فى ذهاب عين هذا الرجل ما هو أظرف مما ذكرنا فأخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد ثنا حمد بن أحمد الحداد ثنا أبو نعيم قال: سمعت أبو على الروزبارى يحكى عن أبى بكر الدقاق قال: استضفت حياً من العرب فرأيت جارية حسناء فنظرت إليها فقلعت عينى التى نظرت بها إليها. وقلت: مثلك من نظر لله.

قال المصنف رحمه الله: قلت: فانظروا إلى جهل هذا المسكين بالشريعة والبعد عنها لأنه إن كان نظر إليها عن غير تعمد فلا إثم عليه وإن تعمد فقد أتى صغيرة قد كان يكفيه منها الندم. فضم إليها كبيرة وهى قلع عينه ولم يتب عنها لأنه اعتقد قلعها قربة إلى الله سبحانه ومن اعتقد المحظور قربة فقد انتهى خطؤه إلى الغاية ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بنى اسرائيل أنه نظر إلى امرأه فقلع عينه وتلك مع بعد صحتها ربما جازت فى شريعتهم. فأما شريعتنا فقد حرمت هذا، وكأن هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ﷺ نعوذ بالله من تلبيس إبليس. وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا. أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال: أخبرنى أبو الحسن على بن أحمد البصرى غلام شعوانة قال: أخبرتنى شعوانة أنه كان فى جوارنا امرأة صالحة فخرجت ذات يوم إلى السوق فرآها بعض الناس فافتتن بها وتبعها الى باب دارها. فقالت له المرأة: أى شىء تريد منى، قال: فتنت بك، فقالت: ما الذى استحسنت منى، قال: عيناك. فدخلت إلى دارها فقلعت عينيها وخرجت إلى خلف الباب ورمت بها إليه وقالت له: خذهما فلا بارك الله فيك

قال المصنف رحمه الله: فانظروا اخوانى كيف يتلاعب إبليس بالجهلة فإن ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر وأتت هى بكبيرة ثم ظنت أنها فعلت طاعة وكان ينبغى أنها لا تكلم رجلا أجنبياً. وقد وجد من القوم ضد هذا كما يروى عن ذى النون المصرى وغيره أنه قال: لقيت امرأة فى البرية فقلت لها ما قالت لى وهـــذا لا يحل له. وقد أنكرت عليه امرأة متيقظة. فأخبرنا عبد الملك بن عبد الله الطروحى نا محمد بن على ابن عمر نا أبو الفضل محمد بن محمد العامى، نا ابو عبد محمد بن أحمد بن يوسف ثنى

سكر ثني محمد بن يعقوب العرجي قال : سمعت ذي النون يقول : رأيت امرأة بنحو أرض البهجة فناديتها ، فقالت : وما للرجال أن يكلموا النساء لولا نقص عقلك لرميتك بشيء

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن علي بن ثابت ثنا عبد العزيز الأزجي ثنا علي ابن عبد الله الهمذاني ثني علي بن إسماعيل الطلا ثني محمد بن الهيثم قال : قال لي أبو جعفر الحداد : دخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوماً لا آكل فيها شيئاً وضعفت عن المشي فبقيت أياماً أخر لم أذق فيها شيئاً فسقطت على وجهي وغشي عليّ وغلب عليّ من القمل شيء ما رأيت مثله ولا سمعت به فبينما أنا كذلك إذ مر بي ركب فرأوني على تلك الحالة فنزل أحدهم عن راحلته فحلق رأسي ولحيتي وشق ثوبي وتركني في الرمضاء وسار ، فمر بي ركب آخر فحملوني إلى حيهم وأنا مغلوب فطرحوني ناحية فجاءتني امرأة فجلست على رأسي وصبت اللبن في حلقي ففتحت عيني قليلا وقلت لهم : أقرب المواضع منكم أين ، قالوا : جبل الشراة فحملوني إلى الشراة .

قال المصنف رحمه الله : قلت : ويحكى أن رجلا من المجانين أنحل من السلسلة فأخذ سكيناً وجعل يشرح لحم نفسه ويقول : أنا ما رأيت مثل هذا الجنون لصدق على هذا : وإلا فانظروا إلى حال هذا المسكين وبما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قربة نسأل الله العافية . أخبرنا أحمد بن ناصر نا أحمد بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت أبا بكر الداري يقول : سمعت أبا الحسين الريحاني يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول : رأيت شيخاً من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوما على سبب في البرية فنهاه شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب قلت هذا قد أراد أن يصبر عن القوت أكثر من هذا وليس الصبر إلى هذا الحد وإن أطيق بفضيلة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين . قال : سمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول : دخل إبراهيم الهروي مع شبة[1] البرية . فقال : يا شبة اطرح ما معك من العلائق قال : فطرحتها كلها وأبقيت ديناراً فخطا خطوات ثم قال : اطرح كل ما معك لا تشغل سري . قال : فأخرجت الدينار ودفعته إليه فطرحه ثم خطا خطوات وقال : اطرح ما معك قلت :

(١) في نسخه مع سبانية .

ليس معى شىء . قال : بعدُ سرى مشتغل ثم ذكرت أن معى دستجة شسوع فقلت : ليس معى إلا هذه . قال : فأخذها فطرحها ثم قال : امشى فمشينا فما احتجت إلى شبع فى البادية إلا وجدته مطروحا بين يدى فقال لى : كذا من عامل الله بالصدق .

قال المصنف رحمه الله : قلت : كل هذه الأفعال خطأ ورمى المال حرام والعجب ممن يرمى ما يملكه ويأخذ ما لا يدرى من أين هو وهل يحل أخذه أم لا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال : سمعت نصر بن أبى نصر العطار يقول : سمعت على بن محمد المصرى قال : سمعت أبا سعيد الخراز يقول : دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابتنى فاقة فرأيت المرحلة من بعد فسررت بوصولى ثم فكرت فى نفسى أنى شكيت وأنى توكلت على غيره فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا ان حملت إليها فحفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعت صوتا فى نصف الليل عاليا : يا أهل المرحلة إن لله وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فألحقوه فجاء جماعة فأخرجونى وحملونى إلى المرحلة .

قال المصنف رحمه الله : قلت : لقد تطبع هذا الرجل على طبعه فأراد منه ما لم يوضع عليه لأن طبع ابن آدم أن يهش إلى ما يحب ولا لوم على العطشان إذا هش إلى الطعام فكذلك كل من هش إلى محبوب له وقد كان النبى ﷺ : إذا قدم من سفر فلاحت له المدينة أسرع السير حبا للوطن : ولما خرج من مكة تلفت إليها شوقا . وكان بلال يقول : لعن الله عتبة وشيبة إذا أخرجونا من مكة ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   بواد وحولى إذخر وجليل

فنعوذ بالله من الاقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل . ثم حبسه نفسه عن صلاة الجماعة قبيح . وأى شىء فى هذا من التقرب إلى الله سبحانه إنما هو محض جهل . أنبأنا ابن ناصر نا جعفر بن أحمد السراج نا عبـــد العزيز ابن على بن أحمد ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا بكر بن محمد قال : كنت عند أبى الخير النيسابورى فبسطنى بمحادثته لى فذكر باديته إلى أن سألته عن سبب قطع يده . فقال : يد جنت فقطعت . ثم اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك . فقال : سافرت حتى بلغت اسكندرية فأقمت بها اثنتى عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخا فكنت أجىء إليه من ليل إلى ليل وأفطر على

ما ينفضه المرابطون وإذا حم الكلاب على قمامة السفر وآكل من البردى فى الشتاء فنوديت فى سرى يا أبا الخير تزعم انك لا تشارك الخلق فى أقواتهم وتشير إلى التوكل وأنت فى وسط القوم جالس فقلت : إلهى وسيدى وعزتك لا مددت يدى إلى شىء مما تنبته الأرض حتى تكون الموصل إلى رزقى من حيث لا أكون فيه فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض وأتنفل ثم عجزت عن النافلة فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض والسنة ثم عجزت عن السنة فأقمت اثنى عشر يوما أصلى الفرض لا غير ثم عجزت عن القيام فأقمت اثنى عشر يوما أصلى جالسا لا غير ثم عجزت عن الجلوس فرأيت ان طرحت نفسى ذهب فرضى فلجأت إلى الله بسرى وقلت إلهى وسيدى افترضت علىّ فرضا تسألنى عنه وقسمت لى رزقا وضمنته لى فتفضل علىّ برزقى ولا تؤاخذنى بما عقدته معك فوعزتك لا جتهدن ان لا حللت عقداً عقدته معك فإذا بين يدى قرصان بينهما شىء فكنت أجده على الدوام من الليل إلى الليل ثم طولبت بالمسير إلى الثغر فسرت حتى دخلت الفرما فوجدت فى الجامع قاصا يذكر قصة زكرياء والمنشار وإن الله تعالى أوحى اليه حين نشر فقال إن صعدت إلى منك أنه لأمحونك من ديوان النبوة فصبر حتى قطع شطرين . فقلت لقد كان زكريا صباراً إلهى وسيدى لئن ابتليتنى لأصبرن . وسرت حتى دخلت انطاكية فرآنى بعض إخوانى وعلم أنى أريد الثغر فدفع إلى سيفا وترسا وحربة فدخلت الثغر وكنت حينئذ أحتشم من الله تعالى أن أتوارى وراء السور خيفة من العدو فجعلت مقامى فى غابة أكون فيها بالنهار وأخرج بالليل إلى شاطىء البحر فأغرز الحربة على الساحل واسند الترس اليها محرابا وأتقلد سيفى وأصلى إلى الغداة فإذا صليت الصبح غدوت إلى الغابة فكنت فيها نهارى أجمع فبدوت فى بعض الأيام فعثرت بشجرة فاستحسنت ثمرها ونسيت عقدى مع الله وقسمى به إنى لا أمد يدى إلى شىء مما تنبت الأرض فمددت يدى فأخذت بعض الثمرة فبينا أنا أمضغها ذكرت العقد فرميت بها من فمى وجلست ويدى على رأسى فدار بى فرسان وقالوا لى قم فأخرجونى إلى الساحل فإذا أمير وحوله خيل ورجالة وبين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق وقد أخذهم وافترقت الخيل فى طلب من هرب منهم فوجدونى أسود معى سيف وترس وحربة فلما قدمت إلى الأمير قال إيش أنت قلت

عبد من عبيد الله فقال للسودان تعرفونه قالوا لا ، قال : بلى هو رئيسكم وإنما تفدونه بأنفسكم لأقطعن أيديكم وأرجلكم فقدموهم ولم يزل يقدم رجلا رجلا ويقطع يده ورجله حتى انتهى إلى فقال تقدم مديدك فددتها فقطعت ثم قال مد رجلك فددتها ورفعت رأسى إلى السماء وقلت إلهى وسيدى يدى جنت ورجلى ايش عملت فاذا بفارس قد وقف على الحلقة ورمى بنفسه إلى الأرض وصاح ايش تعملون تريدون أن تنطبق الخضراء على الغبراء . هذا رجل صالح يعرف بأبى الخير فرمى الأمير نفسه وأخذ يدى المقطوعة من الأرض وقبلها وتعلق بى يقبل صدرى ويبكى ويقول سألتك بالله أن تجعلنى فى حل . فقلت قد جعلتك فى حل من أول ما قطعتها هذه يد قد جنت فقطعت .

قال المصنف رحمه الله : فانظروا رحمكم الله إلى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل وقد كان من أهل الخير ولو كان عنده علم لعلم أن ما فعله حرام عليه وليس لإبليس عون على العباد والزهاد أكثر من الجهل . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعيد ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن أحمد الفارسى قال سمعت محمد ابن داود الدينورى يقول سمعت ابن حديق يقول دخلنا المصيصة مع حاتم الأصم فعقد أنه لا يأكل فيها شيئا إلا حتى يفتح فمه ويوضع فى فيه وإلا ما يأكل فقال لأصحابه . تفرقوا وجلس فأقام تسعة أيام لا يأكل فيها شيئا فلما كان فى اليوم العاشر جاء اليه إنسان فوضع بين يديه شيئا يؤكل فقال كل فلم يجبه فقال له ثلاثا فلم يجبه فقال هذا مجنون فأصلح لقمة وأشار بها إلى فمه فلم يفتح فمه ولم يتكلم فأخرج مفتاحا كان معه فقال كل وفتح فمه بالمفتاح ودس اللقمة فى فمه فأكل ثم قال له إن أحببت أن ينفعك الله به فأطعم أولئك وأشار إلى أصحابه أنبأنا محمد بن أبى طاهر نا على بن المحسن التنوحى عن أبيه ثنى محمد بن هلال بن عبد الله ثنى القاضى أحمد بن سيار . قال حدثنى رجل من الصوفية قال صحبت شيخا من الصوفية أنا وجماعة فى سفر فجرى حديث التوكل والأرزاق وضعف اليقين فيها وقوته فقال الشيخ وحلف على إيمانا عظيمه لاذقت ما كولا أو يبعث لى بجام فالوذج حار لا آكله إلا بعد أن يحلف على قال وكنا نمشى فى الصحراء فقالت له الجماعة الا أنك غير جاهد ومشى ومشينا فانتهينا إلى قربة وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شيء ففارقته الجماعة غيرى نطرح نفسه فى مسجد القرية مستسلما للموت ضعفا . فأقمت

عليه فلما كان فى ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد الشيخ يتلف . إذا بباب المسجد قد فتح وإذا بجارية سوداء معها طبق مغطى . فلما رأتنا قالت أنتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت الطبق وإذا بجام فالوذج يفور لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له كل فقال لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لأصفعنك هكذا إلى أن تأكل . فقال كل معي فأكلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ما خبرك وخبر هذا الجام ؟ فقالت أنا جارية لرئيس هذه القرية ، وهو رجل حاد ، طلب منا منذ ساعة فالوذج فقمنا نصلحه له فطال الأمر عليه فاستعجلنا فقلنا نعم ! فعاد فاستعجل فقلنا نعم ، فحلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد ممن هو داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله إلا رجل غريب ، فخرجنا نطلب فى المساجد رجلا غريباً فلم نجد إلى أن انتهينا إليكم ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته ضرباً إلى أن يأكل لئلا تطلق سيدتى من زوجها ، قال : فقال الشيخ : كيف تراه إذا أراد أن يرزق .

قال المصنف رحمه الله : ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة وما فعله الرجل من أقبح القبيح فانه يجرب على الله ويتألى عليه ويحمل على نفسه من الجوع ما لا يجوز له وهذا لا يجوز له ولا ينكر أن يكون لطف به إلا أنه فعل ضد الصواب وربما كان إنفاذ ذلك رديئاً لأنه يعتقد أنه قد أكرم وإن ذلك منزلة . وكذلك حكاية حاتم التى قبلها فانها إن صحت دلت على جهل بالعلم وفعل لما لا يجوز لأنه ظن أن التوكل إنما هو ترك التسبب فلو عمل بمقتضى دعواه لم يمضغ الطعام ولم يبلعه فانه تسبب وهل هذا إلا من تلاعب إبليس بالجهال إذ لقنهم بالشيء تراه قربة فى هذا العمل البادر وما أظن غالبه إلا من المالبخوليا . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على ابن الحسن قال حدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبرى قال : قال لى جعفر الخلدى . وقفت بعرفة ستاً وخمسين وقفة منها إحدى وعشرون على المذهب . فقلت لأبى إسحق : وأى شىء أراد بقوله ـ على المذهب ـ فقال يصعد إلى قنطرة القادسية فينفض كميه حتى يعلم أنه ليس معه زاد ولا ماء ويلبى ويسير .

قال المصنف رحمه الله : وهذا مخالف للشرع فان الله تعالى يقول : « وتزودوا »

ورسول الله ﷺ قد تزود ، ولا يذكر أن يقال إن هذا الآدمى لا يحتاج إلى شيء فى مدة أشهر فإن احتاج ولم يتزود فطلب أثم وإن سأل الناس أو تعرض لهم لم يف ذلك بدعوى التوكل وإن ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره إلى أنه مستحق لذلك محنة ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان اصلح له على كل حال . وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد ابن طاهر قال : أخبرنى أبى عن بعض الصوفية ، أنه قدم عليه من مكة جماعة من المتصوفة فقال لهم من صحبتم فقالوا حاج اليمن فقال أوه التصوف قد صار إلى هذا أو التوكل قد ذهب . أنتم ما جئتم على الطريقة والتصوف وإنما جئتم من مائدة اليمن الى مائدة الحرم ، ثم قال : وحق الأحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين فى هذا الطريق نخرج إلى زيارة قبر النبى ﷺ على التجريد و نتعاهد بيننا أن لا نلتفت إلى مخلوق ولا نستند إلى معلوم ، فجئنا إلى النبى ﷺ ومكثنا ثلاثة أيام لم يفتح لنا بشيء فخرجنا حتى بلغلنا الجحفة ونزلنا وبحذائنا نفر من الأعراب فبعثوا إلينا بسويق فأخذ بعضنا ينظر إلى بعض ويقول : لو كنا من أهل هذا الشأن لم يفتح لنا بشيء حتى ندخل الحرم فشربناه على الماء وكان طعامنا حتى دخلنا مكة .

قلت : إسمعوا إخوانى إلى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فأحوجهم إلى أخذ صدقات الناس . ثم ظنهم أن ما فعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب . ومن عجب ما بلغنى عنهم فى أسفارهم ما أخبرنا به محمد بن أبى القاسم البغدادى نا أبو محمد التميمى عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : بلغنى أن أبا شعيب المقفع وكان قد حج سبعين حجة راجلا أحرم فى كل حجة بعمرة وحجة من عند صخرة بيت المقدس ودخل بادية تبوك على التوكل فلما كان فى حجته الأخيرة رأى كلباً فى البادية يلهث عطشاً ، فقال : من يشترى حجة بشربة ماء ، قال : فدفع إليه إنسان شربة ماء فسقى الكلب ثم قال هذا خير لى من حجة لأن النبى ﷺ قال : « فى كل ذات كبد حراء اجر » . أخبرنا عبد الأول ابن عيسى نا ابن ابى المكارم قال ثنا أبو محمد الحسن بن محمد الخبوسانى نا أبو نصر عبد الله ابن على الطوسى المعروف بابن السراج قال : سمعت الوجيهى يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول : كان فى البادية جماعة معنا أبو الحسين الدملوفى فربما كانت تلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق وكان ابو الحسين يصعد تلا فيصيح صياح الذئب حتى تسمع كلاب الحى

فينبحون فيمر على بيوتهم ويحمل إلينا من عندهم معونة ، قلت : وإنما ذكرت مثل هذه الأشياء ليتنزه العاقل فى مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره ويرى مخالفتهم لأوامر الشرع وليت شعرى كيف يصنع من يخرج منهم ولا شىء معه بالوضوء والصلاة وإن تخرق ثوبه ولا إبرة معه فكيف يفعل . وقد كان بعض مشايخهم يأمر المسافر بأخذ العدة قبل السفر . فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيرى قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت الفرغانى يقول : كان إبراهيم الخواص مجرداً فى التوكل يدقق فيه وكان لا تفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا إسحاق لم تجمع هذا وأنت تمنع من كل شىء ، فقال : مثل هذا لا ينقض التوكل لأن لله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتخرق ثوبه وان لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلواته وإن لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته وإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط فاتهمه فى صلاته .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا قدموا من السفر ﴾

قال المصنف رحمه الله قلت : من مذهب القوم أن المسافر إذا قدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضة فاذا توضأ جاء وصلى ركعتين ثم سلم على الجماعة وهذا ما ابتدعه متأخرهم على خلاف الشريعة لأن فقهاء الإسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة أو لم يكن إلا أن يكونوا أخذوا هذا من مذهب الأطفال فإنه إذا قيل للطفل لم لا تسلم علينا قال ما غسلت وجهى بعد أو لعل الأطفال علموه من هؤلاء المبتدعين . أخبرنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير » أخرجاه فى الصحيحين ومن مذهب القوم تغميز القادم من السفر مساء . أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه . قال باب السنة فى تغميزهم القادم من السفر أول ليلة لتعبه واحتج بحديث عمر رضى الله عنه دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وغلام له حبشى يغمز ظهره فقلت ما شأنك يارسول الله قال إن الناقة قد اقتحمتنى .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إخوانى إلى فقه هذا المحتج فانه كان ينبغى أن يقول باب السنة فى تغميز من رمت به ناقته ، وتكون السنة تغميز الظهر لا القدم ومن أين له أنه كان فى سفر وأنه غمز أول ليلة ثم يجعل تغميز النبي صلى الله عليه وسلم كما اتفق لأجل ألم الظهر [illegible] [illegible] هذا الفقه الدقيق أحسن من ذكره ومن مذهبهم عمل [illegible] للقادم . قال ابن طاهر : باب اتخاذهم العتيرة(١) للقادم واحتج بحديث عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ سافر سفراً ونذرت جارية من قريش أن الله تعالى رده أن تضرب فى بيت عائشة رضى الله عنها بدف فلما رجع فقال ﷺ إن كنت نذرت فاضربى .

قال المصنف رحمه : قد بينا أن الدف مباح ولما نذرت هذه المرأة مباحاً أمرها أن تفى فكيف يحتج بهذا على الغناء والرقص عند قدوم المسافر .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا مات لهم ميت ﴾

له فى ذلك تلبيسان الأول : أنهم يقولون لا يبكى على هالك ومن بكى على هالك خرج عن طريق اهل المعارف قال ابن عقيل : وهذه دعوى تزيد على الشرع فهى حديث خرافة وتخرج عن العادات والطباع فهى انحراف عن المزاج المعتدل فينبغى ان يطالب لها بالعلاج بالادوية المعتدلة للمزاج فان الله تعالى أخبر عن نبى كريم فقال: (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وقال : (يا أسفى على يوسف) . وبكى رسول الله ﷺ عند موت ولده وقال : « إن العين لتدمع » وقال : « واكرباه » وقالت فاطمة رضى الله عنها واكرب أبتاه فلم ينكر وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه متمماً يندب أخاه ويقول :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر رضى الله عنه ليتنى كنت أقول الشعر فأندب أخى زيداً فقال متمم لو مات أخى كما مات أخوك مارثيته ، وكان مالك مات على الكفر وزيد قتل شهيداً فقال عمر : ماعزانى أحد فى أخى كمثل ما عزانى ، ثم لا تزال الإبل الفاقدة الأكباد تحن إلى مآلفها

---

(١) العتيرة بوزن الذبيحة شاة وكانت الجاهلية تذبح للاصنام فيصب دمها على رأسها نهى الشرع عن ذلك [illegible] [illegible] بالمشركين أيضا

من الأعطان والأشخاص وترغوا للفصلان وحمام الطير ترجع . وكل مأخوذ من البلاء فلا بد أن يتضرع ومن لم تحركه المسار والمطربات وتزعجه المخزيات فهو إلى الجماد به أقرب . وقد أبان النبي عليه الصلاة والسلام عن العيب فى الخروج عن سمت الطبع فقال للذى قال : لم أقبل أحداً من ولدى — وكان له عشرة من الولد — فقال « أو أملك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك » وجعل يلتفت إلى مكة لما خرج فالطالب لما يخرج عن الشرائع وينبو عن الطباع جاهل يطالب بجهل . وقد قنع الشرع منا أن لانلطم خداً ولانشق جيباً فاما دمعة سائلة وقلب حزين فلا عيب فى ذلك . التلبيس الثانى : أنهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسا ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت إذ وصل إلى ربه ، والتلبيس فى هذا عليهم من ثلاثة أوجه أحدها إن المسنون أن يتخذ لأهل الميت طعام لاشتغالهم بالمصيبة عن إعداد الطعام لأنفسهم ولبس من السنة أن يتخذه أهل الميت ويطعمونه إلى غيرهم والأصل فى اتخاذ الطعام لأجل الميت . ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخى نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر العورجى قال أخبرنا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا أحمد بن منيع وعلى بن حجر قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : لما جاء نعى جعفر فقال النبي ﷺ « اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد جاءهم ما يشغلهم » قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح . والثانى إنهم يفرحون للميت ويقولون وصل إلى ربه ولا وجه للفرح لأنا لا نتيقن أنه غفر له ومايؤمنا أن نفرح له وهو فى المعذبين . وقد قال عمر بن زر لما مات ابنه لقد شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك . أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن عين ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهرى نى خارجة بن زيد الانصارى عن أم العلاء قالت : لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السايب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبي ﷺ : « وما يدريك ان الله أكرمه » . والثالث انهم يرقصون ويلعبون فى تلك الدعوة فيخرجون بهذا الطباع السليمة التى يؤثر عندها الفراق . ثم إن كان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وإن كان معذباً فأين أثر الحزن .

﴿ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك التشاغل بالعلم﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم لأن العلم نور فاذا أطفأ مصابيحهم خبطهم فى الظلم كيف شاء . وقد دخل على الصوفية فى هذا الفن من أبواب . أحدها : أنه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم انه يحتاج إلى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة . أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندى نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهانى ثنا أبو حامد بن حيان ثنا أبو الحسن البغدادى ثنا ابن صاعد قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : أسس التصوف على الكسل . وبيان ما قاله الشافعى أن مقصود النفس اما الولايات واما استجلاب الدنيا بالعلوم يطول ويتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لايحصل . والصوفية قد تعجلوا الولايات فانهم يرون بعين الزهد . واستجلاب الدنيا فانها اليهم سريعة .

أخبرنا عبد الحق نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الطناجيرى ثنا أبو حفص ابن شاهين قال : ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى ان الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا : إن علومنا بلا واسطة وإنما رأوا بعد الطريق فى طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد .

والثانى : أنه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير فى كثرته فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الإسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وإن للنفس فى ذلك لذة . وكشف هذا التلبيس أنه ما من مقام عال إلا وله فضيلة وفيه مخاطرة فإن الإمارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك فى جوار الورد فينبغى أن تطلب الفضائل ويتقى ما فى ضمنها من الآفات . فأما ما فى الطبع من حب الرياسة فإنه إنما وضع لتجتلب هذه الفضيلة كما وضع حب النكاح ليحصل الولد وبالعلم يتقوم قصد العالم كما قال يزيد بن هرون : طلبنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله . ومعناه أنه دلنا على الإخلاص ومن طالب نفسه بقطع ما فى طبعه لم يمكنه ، والثالث : انه أوهم قوماً منهم أن المقصود العمل وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الأعمال ثم إن العالم وإن قصر سير عمله فإنه على الجادة والعابد بغير علم

على غير الطريق . والرابع : أنه أرى خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حى إن أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول : حدثنى قلبى عن ربى . وكان الشبلى يقول :

إذا طالبونى بعلم الورق   برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواحس النفوس العلم الباطن واحتجوا له بما أخبرنا به عبد الحق بن عبد الخالق نا الحسين بن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين ثنا على بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عنبسة العسكرى ثنى دارم بن قبيصة بن بهشل الصنعانى قال : سمعت يحي بن الحسين بن زيد بن على قال : سمعت يحي بن عبدالله ابن حسين عن يحي بن زيد بن على عن أبيه عن جده عن الحسن بن على عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى ﷺ أنه قال : « علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل فى قلوب من يشاء من أوليائه » .

قال المصنف رحمه الله : قلت : وهذا حديث لا اصل له عن النبى ﷺ : وفى إسناده مجاهيل لا يعرفون . أنبأنا محمد بن ناصر ا أبو الفضل محمد بن على السهلكى نا أبو على عبد الله بن إبراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على ابن عبد الله بن جهضم ثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن ثنا على بن جعفر عن أبى موسى قال : كان فى ناحية أبى يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصد أبا يزيد وقال له : قد حكى لى عنك عجايب . فقال أبو يزيد : ومالم تسمع من عجايبى أكثر . فقال له : علمك هذا يا أبا يزيد عن من ومن أين ومن من . فقال أبو يزيد علمى من عطاء الله تعالى . ومن حيث قال ﷺ : « من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم » ومن حيث قال ﷺ : « العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع » وعلمك ياشيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمى من الله إلهام من عنده . فقال له الشيخ : علمى عن الثقات عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه عز وجل . فقال له أبو يزيد : يا شيخ كان للنبى ﷺ علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل . قال : نعم . ولكن أريد أن يصح لى علمك الذى تقول هو من عند الله ، قال : نعم أبينه لك قدر مايستقر فى قلبك معرفته ثم قال : يا شيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليما كلم محمداً ﷺ ورآه كفاحا . وإن حلم الأنبياء وحى . قال نعم قال : أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء

بإلهام منه وفوائده من قلوبهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة . ومما يؤكدماقلت ما ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقى موسى فى التابوت فألقته ، وألهم الخضر فى السفينة والغلام والحائط قوله موسى : (ومافعلته عن أمرى) وكما قال أبو بكر لعائشة رضى الله عنهما : إن ابنة خارجة حاملة بينت ، وألهم عمر رضى الله عنه فنادى : يا سارية الجبل أنبأنا ابن ناصر أنبأنا أبو الفضل السهلكى قال : سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت إبراهيم سبتية يقول : حضرت مجلس أبى يزيد والناس يقولون : فلان لقى فلانا وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقى فلانا . فقال أبو يزيد : مساكين أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت .

قال المصنف رحمه الله : هذا الفقه فى الحكاية الأولى من قلة العلم إذ لو كان عالماً لعلم أن الإلهام للشىء لا ينافى العلم ولا يتسع به عنه ولا ينكر أن الله عز وجل يلهم الإنسان الشىء كما قال النبى ﷺ « إن فى الأمم محدثين وإن يكن فى أمتى فعمر » والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه ، وأما الخضر فقد قيل أنه نبى ولا ينكر للأنبياء الاطلاع بالوحى على العواقب وليس الإلهام من العلم فى شىء إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد فاما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشىء إذ لولا العلم النقلى ما عرفنا ما يقع فى النفس أمن الالهام للخير أو الوسوسة من الشيطان . واعلم أن العلم الالهامى الملقى فى القلوب لا يكفى عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفى عن العلوم الشرعية فإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا وأما قوله أخذوا علمهم ميتاً عن ميت أصلح ما ينسب إليه هذا القائل أنه ما يدرى ما فى ضمن هذا القول وإلا فهذا طعن على الشريعة . أنبأنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو حفص بن شاهين . قال : من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا نحن علومنا بلا واسطة . قال وما كان المتقدمون فى التصوف إلا رؤساً فى القرآن والفقه والحديث والتفسير ولكن هؤلاء أحبوا البطالة . وقد جاء أبو حامد الطوسى اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الالهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة

العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون . بل قالوا : الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه فى زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى نفسه ، ولا يكتب حديثاً ولا غيره ولا يزال يقول الله الله الله إلى أن ينتهى إلى حال يترك تحرك اللسان ثم يمحى عن القلب صورة اللفظ .

قال المصنف رحمه الله قلت : عزيز علىّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه فانه لا يخفى قبحه فإنه على الحقيقة طى لبساط الشريعة التى حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم . وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضلاء من علماء الأمصار فإنهم ما سلكوا هذا الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولا . وعلى ما قد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم ما يطرد ذلك فيلعب بها إبليس أي لعب فيريها الوسوسة محادثة . ومناجاة ولا تنكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله إلا أنه ينبغى أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه فان الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان فى التخيلات أمور ينهى الشرع عنها فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء ينسب[1] إلى ما نهى عنه كما لا تستباح الرخص فى سفر قد نهى عنه . ثم لا تنافى بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها . وإنما تلاعب الشيطان بأقوام ابعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم والعلم بعيد عنهم فتارة يفعلون الفعل المنهى عنه وتارة يؤثرون ما غيره أولى منه وإنما كان يفتى فى هذه الحوادث العلم وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان أنبأنا ابن ناصر عن أبى على بن البنا قال : كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول القرآن حجاب ، والرسول حجاب ليس إلا عبد ورب فافتتن جماعة به فأهملوا العبادات واختفى مخافة القتل . أنبأنا محمد بن عبد الملك نا أحمد بن على بن ثابت نا أبو الحسن محمد ابن عبيد الله بن محمد الجبائى ثنا أحمد بن سليمان النجاد ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا هشام بن يونس ثنا المحاربى عن بكر بن حنش عن ضرار بن عمرو قال إن قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى

(١) فى النسخة الثانيه سبب قد نهى عنه الخ .

يبس جلد أحدهم على عظمه وخالفوا السنة فهلكوا فوالله الذى لا إله غيره ماعمل عامل قط على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

(فصل) وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة . وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق فإن كانو يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة . وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم فى إعراضهم عن ظواهر الشرع . وعن أبى الحسن غلام شعوانه بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم يقول جاء رجل إلى سهل بن عبدالله وبيده محبرة وكتاب فقال لسهل جئت أن أكتب شيئاً ينفعنى الله به . فقال أكتب ، ان استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل : قال يا أبا محمد أفدنى فائدة . فقال : الدنيا كلها جهل إلا ما كان علماً ، والعلم كلها حجة إلا ما كان عملا ، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة . وتقوم السنة على التقوى وعن سهل ابن عبد الله أنه قال احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق وعن سهل بن عبد الله انه قال ما من طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت فى الظلام أربعين صباحاً وعن أبى بكر الدقاق قال : سمعت أباسعيد الخراز يقول : كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل . وعن أبى بكر الدقاق انه قال : كنت ماراً فى تيه بنى إسرائيل فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بى هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهى كفر .

قال المصنف رحمه الله : وقد نبه الإمام أبو الغزالى فى كتاب الاحياء فقال : من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان . وقال ابن عقيل جعلت الصوفية الشريعة إسما وقالوا المراد منها الحقيقة قال وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع فى النفس من القاء الشياطين وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فغرور مخدوع .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على جماعة من القوم فى دفنهم كتاب العلم وإلقائها فى الماء ﴾

قال المصنف رحمه الله : قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم ثم لبس عليهم إبليس وقال ما المقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم . فقد روى أن أحمد ابن أبى الحوارى

رمى كتبه فى البحر ، وقال : نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال . ولقد طلب أحمد بن أبى الحوارى الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها . وقال : يا علم لم أفعل بك هذا تهاوناً ولا استخفافاً بحقك ولكنى كنت أطلبك لأهتدى بك إلى ربى فلما اهتديت بك استغنيت عنك . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم عن أبى عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ قال أحمد ابن محمد ابن إسماعيل . أبو الحسين بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث وأنه كان يتصوف ويرمى بالحديث مدة ثم يرجع ويكتب . ولقد أخبرت أنه رمى بجملة من سماعاته القديمة فى دجلة . فأول ماسمع على أبى العباس الأصم وطبقته وكتب الكثير . أنبأنا زاهر بن طاهر نا أحمد بن الحسين البيهقى قال : سمعت أبا عمرو بن أبى جعفر يقول سمعت أباطاهر الجنابذى يقول : لقد كان موسى بن هرون يقرأ علينا فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله فى دجلة ويقول قد أديته .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبدالرحمن السلمى قال سمعت أبا نصر الطوسى يقول : سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون : ورث أبو عبدالله المقرى عن أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن جميع ذلك وأنفقها على الفقراء قال . فسألت أبا عبد الله عن ذلك فقال : أحرمت وأنا غلام حدث وخرجت إلى مكة على الوحدة حين لم يبق لى شىء أرجع اليه . وكان اجتهادى أن أزهد فى الكتب وما جمعت من العلم والحديث أشد علىّ من الخروج إلى مكة والتقطع فى الأسفار والخروج عن ملكى . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا إسماعيل الحيرى ثنا محمد ابن الحسين السلمى قال سمعت أبا العباس بن الحسين البغدادى يقول سمعت الشبلى يقول : أعرف من لم يدخل فى هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق فى هذه الدجلة سبعين قطراً مكتوباً بخطه وحفظ وقرأ بكذا وكذا رواية يعنى بذلك نفسه .

قال المصنف رحمه الله . قد سبق القول بأن العلم نور وإن إبليس يحسن للإنسان إطفاء النور ليتمكن منه فى الظلمة ولا ظلمة كظلمة الجهل . ولما خاف إبليس أن يعاود

هؤلاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على مكايده حسن لهم دفن الكتب وإتلافها وهذا فعل قبيح محظور وجهل بالمقصود بالكتب وبيان هذا أن أصل العلوم القرآن والسنة فلما علم الشرع أن حفظهما يصعب أمر بكتابة المصحف وكتابة الحديث فأما القرآن فان رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية دعى بالكاتب فأثبتها وكانوا يكتبونها فى العسب والحجارة وعظام الكتف ثم جمع القرآن بعده فى المصحف أبو بكر صوناً عليه ثم نسخ من ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقية الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شيء . وأما السنة . فإن النبى ﷺ قصر الناس فى بداية الإسلام على القرآن وقال لا تكتبوا عنى سوى القرآن فلما كثرت الأحاديث ورأى قلة ضبطهم أذن لهم فى الكتابة . فروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ قلة الحفظ فقال : ابسط رداءك فبسط رداءه وحدثه النبى عليه الصلاة والسلام وقال ضمه اليك . فقال أبو هريرة فلم أنس بعد ذلك شيئاً بما حدثنيه رسول الله ﷺ . وفى رواية أنه قال استعن على حفظك بيمينك يعنى بالكتابة . وروى عنه ﷺ عبد الله بن عمرو أنه قال « قيدوا العلم فقلت يارسول الله وما تقييده . قال الكتابة » . وروى عنه أيضاً رافع بن خديج قال قلنا يارسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها ، قال : اكتبوا ولا حرج .

قال المصنف رحمه الله : واعلم أن الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله ﷺ وحركاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا . وقد قال رسول الله ﷺ بلغوا عنى : وقال نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها وتأدية الحديث كما يسمع لا يكاد يحصل إلا من الكتابة لأن الحفظ خوان . وقد كان أحمد بن حنبل رضى الله عنه يحدث بالحديث فيقال له . إمله علينا . فيقول لا بل من الكتاب . وقد قال على بن المدينى . أمرنى سيدى أحمد بن حنبل أن لا احدث إلا من الكتاب فإذا كانت الصحابة قد روت السنة وتلقتها التابعون وسافر المحدثون وقطعوا شرق الأرض وغربها لتحصيل كلمة من ههنا وكلمة من ههنا وصححوا ماصح وزيفوا مالم يصح وجرحوا الرواة وعدلوا وهذبوا السنن وصنفوا ثم من بعد ذلك فيضيع التعب ولا يعرف حكم الله فى حادثة فما عرفت الشريعة بمثل هذا ، وهل لشريعة من الشرائع قبلنا إسناد

الى نبيهم وإنما هـذه خصيصة لهذه الأمة . وقد روينا عن الإمام أحمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب فى طلب الحديث أنه قال لابنه ما كتبت عن فلان ؟ فذكر له أن النبي عليه الصلاة والسلام «كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من أخرى» فقال الإمام أحمد بن حنبل إنا لله سنة من سنن رسول الله ﷺ لم تبلغنى وهذا قوله مع اكثاره وجمعه فكيف بمن لم يكتب وإذا كتب غسل أفترى إذا غسلت الكتب ودفنت على م يعتمد فى الفتاوى والحوادث على فلان الزاهد أو فلان الصوفى أو على الخواطر فيما يقع لها نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى .

(فصل) قال المصنف رحمه الله : ولا تخلو هذه الكتب التى دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل . فإن كان فيها باطل فلا لوم على دفنها وإن كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذراً فى إتلافها فإن أقواماً كتبوا عن ثقات وعن كذا بين واختلط الأمر عليهم فدفنوا كتبهم . وعلى هذا يحمل ما يروى عن دفن الكتب عن سفيان الثورى وإن كان فيها الحق والشرع فلايحل إتلافها بوجه لكونها ضابطة العلم وأموالا وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده فإن قال : تشغلنى عن العبادة . قيل له : جوابك من ثلاثة أوجه . أحدها : انك لو فهمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات . والثانى : أن اليقظة التى وقعت لك لا تدوم فكأنى بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات . واعلم أن القلوب لا تبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج إلى جلاء وجلاؤها النظر فى كتب العلم . وقد كان يوسف بن أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط ، والثالث : أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها والغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدىء من الطلاب ممن لم يصل إلى مقامك أو وقفتها على المنتفعين بها أو بعتها وتصدقت بثمنها ، أما إتلافها فلا يحل بحال . وقد روى المروزى عن أحمد بن حنبل : أنه سئل عن رجل أوصى أن تدفن كتبه فقال : ما يعجبنى أن يدفن العلم . وأنبأنا محمد بن عبد الملك ويحى بن على قال : أنبأنا أحمد بن على بن ثابت نا عبيد الله بن عبد العزيز البرادعى نا محمد عبد الله السجير ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن النحاس قال : سمعت المروزى يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول : لا أعرف لدفن الكتب معنى .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى إنكارهم من تشاغل بالعلم ﴾

قال المصنف رحمه الله : لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم وبين ظان أن العلم هو ما يقع فى النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك العلم : العلم الباطن نهواً عن التشاغل بالعلم الظاهر .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على نا على بن أبى على البصرى ثنا أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى قال : سمعت جعفرا الخلدى يقول : لو تركنى الصوفية لجئتكم بإسناد الدنيا لقد مضيت إلى عباس الدورى وأنا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً وخرجت من عنده فلقينى بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال : إيش هذا معك . فأريته إياه فقال : ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق . ثم خرق الأوراق فدخل كلامه فى قلبى فلم أعد إلى عباس .

قال المصنف رحمه الله : وبلغنى عن أبى سعيد الكندى قال : كنت أنزل رباط الصوفية وأطلب الحديث فى خفية بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة يوماً من كمى فقال لى بعض الصوفية : استر عورتك .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبوالقاسم هبة الله بن عبد الله الواسطى نا أبوبكر الخطيب نا أبوالفتح بن أبى الفوارس نا الحسين بن أحمد الصفار قال : كان بيدى محبرة فقال لى الشبلى : غيب سوادك عنى يكفينى سواد قلبى .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال : سمعت عبد الله العزال المذكر قال : سمعت على بن مهدى يقول : وقفت ببغداد على حلقة الشبلى فنظر إلى ومعى محبرة فانشأ يقول :

تسربلت للحرب ثوب الغرق وجبت البلاد لوجد القلق
ففيك هتكت قناع الغوى[1] وعنك نطقت لدى من نطق
إذا خاطبونى بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

قال المصنف رحمه الله : قلت : من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سبل الله العلم لأنه دليل على الله وبيان لأحكام الله وشرعه وإيضاح لما يحبه

(١) فى النسخة الثانية : ففيك قناع العزاء .

يكرهه فالمنع منه معاداة لله ولشرعه ولكن الناهين عن ذلك ما تفطنوا لما فعلوا .
أخبرنا ابن حبيب قال : نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول : اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرنكم كلام الصوفية فإني كنت أخبئ محبرتي في جيب مرقعتي والكاغد في حجزة سراويلي و[illegible] أذهب [illegible] إلى أهل العلم فإذا علموا بي خاصموني وقالوا : لا تفلح ثم احتاجوا إلى بعد ذلك [illegible] أحمد بن حنبل يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول : هذه سرج الإسلام [illegible] هو يحمل المحبرة على كبر سنه فقال له رجل : إلى متى يا أبا عبد الله . فقال : المحبرة إلى المقبرة . وقال في قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » فقال أحمد : إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم . وقال أيضاً إن لم يكن أصحاب الحديث الأبدال فمن يكون . وقيل له : إن رجلا من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ . وقال : يوسف بن أسباط بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الأرض .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن علي ثنا ابن جهضم ثنا محمد بن جعفر ثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : رأيت كأن القيامة قد قامت والخلق مجتمعون إذ نادى منـــاد : الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفا فأتاني ملك فتأملته فإذا بين عينيه مكتوب جبريل أمين الله فقلت . أين النبي ﷺ فقال : مشغول بنصب الموائد لإخوانه الصوفية . فقلت : وأنا من الصوفية . فقيل : نعم . ولكن شغلك كثرة الحديث .

قال المصنف رحمه الله : معاذ الله أن ينكر جبريل التشاغل بالعلم . وفي إسناده هذه الحكاية ابن جهضم وكان كذاباً ولعلها عمله . وأما ابن مسروق فأخبرني القزاز نا أبو بكر الخطيب حدثني علي بن محمد بن نصر قال : سمعت حمزة بن يوسف قال : سمعت الدارقطني يقول : أبو العباس بن مسروق ليس بالقوي يأتي بالمعضلات .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في كلامهم في العلم ﴾

قال المصنف رحمه الله اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا بالرياضات على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن الكلام في العلوم فتكلموا بواقعاتهم فرفعت الأغاليط

القبيحة منهم فتارة يتكلمون فى تفسير القرآن وتارة فى الحديث وتارة فى الفقه وغير ذلك ويسوقون العلوم إلى مقتضى علمهم الذى انفردوا به والله سبحانه لا يخلى الزمان من أقوام قوام بشرعه يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين .

﴿ ذكر نبذة من كلامهم فى القرآن ﴾

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على ابن ثابت نا أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان البجلى قال سمعت جعفر ابن محمد الخلدى قال حضرت شيخنا الجنيد وقد سأله كيسان عن قوله عز وجل (سنقرئك فلا تنسى) فقال الجنيد لا تنس العمل به ، وسأله عن قوله تعالى (ودرسوا مافيه) فقال له الجنيد تركوا العمل به ، فقال لا يفضض الله فاك قلت : أما قوله ـ لا تنس العمل به ـ فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر . لأنه فسره على أنه نهى وليس كذلك إنما هو خبر لانهى وتقديره ـ فاتنس ـ إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسيره على خلاف إجماع العلماء وكذلك قوله (ودرسوا ما فيه) إنما هو من الدرس الذى هو التلاوة من قوله عز وجل (وبما كنتم تدرسون) . لا من دروس الشيء الذى هو اهلاكه . أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن أحمد ثنا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أحمد بن محمد ابن مقسم يقول : حضرت أبا بكر الشبلى . وسئل عن قوله عز وجل . (إن فى ذلك لذكرى له قلب) . فقال : لمن كان الله قلبه . وأخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن على نا ابن جهضم ثنا محمد بن جرير قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله : (فنجيناك من الغم) . قال نجيناك من الغم بقومك وفتناك بنا عن من سوانا .

قال المصنف رحمه الله : وهذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة الكليم إلى الافتتان بمحبة الله سبحانه . وجعل محبته تفتن غاية فى القباحة . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على الحافظ نا أبو حازم عمر ابن إبراهيم العبدرى قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول فى قوله عز وجل : (وأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) فقال الروح النظر إلى وجه الله عز وجل . والريحان الاستماع لكلامه . وجنة نعيم : هو أن لا يحجب فيها عن الله عز وجل . قلت : هذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين وقد جمع

أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هذيان لايحل نحو مجلدين سماها حقائق التفسير فقال فى فاتحة الكتاب عنهم أنهم قالوا إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت بذلك وإلا حرمت لطائف ما بعده .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل . وقال فى قول الإنسان (آمين) أى قاصدون نحوك .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قبيح لأنه ليس من أم لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة . وقال فى قوله : (وان يأتوكم أسارى) قال قال أبو عثمان : غرقى فى الذنوب . وقال الواسطى : غرقى فى رؤية أفعالهم . وقال الجنيد . أسارى فى أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق . قلت . وإنما الآية على وجه الإنكار ومعناها إذا أسرتموهم فديتموهم وإذا حاربتموهم قبلتوهم وهؤلاء قد فسروها على مايوجب المدح . وقال محمد بن على . (يحب التوابين) من توبتهم وقال النورى : (يقبض ويبسط) . أى يقبضك باياه ويبسطك لاياه . وقال فى قوله : (ومن دخله كان آمنا) أى من هواجس نفسه ووساوس الشيطان . وهذا غاية فى القبح لأن لفظ الخبر ومعناه الأمر وتقديرها من دخل الحرم فأمنوه . وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصح لهم لأنه كم من داخل الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوساوس وذكر فى قوله (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) . قال أبو تراب هى الدعاوى الفاسدة (والجار ذى القربى) قال سهل هو القلب (والجار الجنب) النفس (وابن السبيل) الجوارح . وقال فى قوله : (وهمّ بها) . قال أبو بكر الوراق الهمان لها ويوسف ما هم بها . قلت : هذا خلاف لصريح القرآن وقوله . (ما هذا بشرا) . قال محمد بن على ما هذا بأهل أن يدعى إلى المباشرة . وقال الزنجانى الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم وقال فى قوله . (ولله المكر جميعا) قال الحسين لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم ان لهم سبيلا اليه بحال . أو للحدث اقتران مع القدم .

قال المصنف رحمه الله : ومن تأمل معنى هذا علم انه كفر محض لأنه يشير إلى أنه كالهزء واللعب . ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليق بذلك . وقال فى قوله (لعمرك) أى بعمارتك سرك بمشاهدتنا . قلت . وجميع الكتاب من هذا الجنس ولقد

هممت أن أثبت منه هاهنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع فى كتابة شىء بين الكفر والخطأ والهذيان . وهو من جنس ماحكينا عن الباطنية ، فمن أراد أن يعرف جنس مافى الكتاب فهذا أنموذجه . ومن أراد الزيادة فلينظر فى ذلك الكتاب. وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال : للصوفية استنباط منها قوله : « ادعو إلى الله على بصيرة » قال الواسطى : معناه لا أرى نفسى ، وقال الشبلى : لو اطلعت على الـ ... سواناً لوليت منهم فراراً إلينا . قلت : هذا لا يحل لأن الله تعالى إنما أراد أهل الكهف . وهذا السراج يسمى هذه الأقوال فى كتابه مستنبطات . وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب ذم المال فى قوله عز وجل « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام » قال : إنما عنى الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والأصنام ، وإنما عنى بعبادته حبه والاغترار به .

قال المصنف رحمه الله : وهذا شىء لم يقله أحد من المفسرين ، وقد قال شعيب « وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » ومعلوم أن ميل الأنبياء إلى الشرك أمر ممتنع لأجل العصمة لا أنه مستحيل ، ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور فى حقه الإشراك والكفر فجاز أن يدخل نفسه معهم ، فقال « واجنبنى وبنى » ومعلوم أن العرب أولاده وقد عبد أكثرهم الأصنام .

أخبرنا عبدالحق بن عبدالخالق نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين بن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين قال : وقد تكلمت طائفة من الصوفية فى نفس القرآن بما لا يجوز فقالت فى قوله : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) فقال هم لآيات لى ، فأضافوا إلى الله تعالى ما جعله لأولى الألباب ، وهذا تبديل للقرآن وقالوا (ولسليمان الريح) قالوا : ولى سليمان .

وأخبرنا ابن ناصر نا أحمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال : قال أبو حمزة الخراسانى : قد يقطع بأقوام فى الجنة فيقال : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية » فشغلهم عنه بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا وفقكم الله إلى هذه الحماقة وتسمية المنعم به مكراً ، وإضافة المكر بهذا إلى الله سبحانه وتعالى . وعلى مقتضى قول هذا أن الأنبياء لا يأكلون ولا يشربون بل يكونون مشغولين بالله عز وجل . فما أجرأ هذا القائل على مثل هذه الألفاظ القباح . وهل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على ما نعقله من معنى المكر . وإنما معنى مكره وخداعه أنه مجازى الماكرين والخادعين . وإنى لأتعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا فى تفسير القرآن إلى ما هذا حده . وقد أخبرنا على بن عبيد الله وأحمد بن الحسن وعبد الرحمن ابن محمد قالوا : حدثنا عبد الصمد بن المأمون نا على بن عمر الحربى ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ثنا بشر بن الوليد ثنا سهيل أخو حزم ثنا أبو عمران الجونى عن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « من قال فى القرآن برأيه فقد أخطأ » . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا وكيع عن الثورى عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله ﷺ « من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » .

قال المصنف رحمه الله . وقد رويت لنا حكاية عن بعضهم فيما يتعلق بالمكر إنى لأقشعر من ذكرها لكنى أنبه بذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهلة . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا أبو عبد الله ابن باكويه قال : أخبرنا أبو عبد الله بن خفيف قال سمعت رويما يقول : اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ فقالوا ما يشهدنا مثل هذه الليلة وطيبها فتعالوا نتذاكر مسألة لئلا تذهب ليلتنا فقالوا : نتكلم فى المحبة فإنها عمدة القوم فتكلم كل واحد من حيث هو . وكان فى القوم عمرو بن عثمان المكى فوقع عليه الزمع ولم يكن من عادته فقام وخرج إلى صحن الدار فإذا ليلة مقمرة وحمد دجاجة من تكموسه فأخذه وجاء إليهم وقال : يا قوم اسكتوا فإن هذا حوانكم . أنظروا ما فى هذه الرسالة فإذا فيها مكتوب مكار مكار وكلكم تدعون حبه وأحرم البعض وافترقوا فما جمعهم إلا الموسم .

قال المصنف رحمه الله ، قلت : هذه بعيدة الصحة وابن خفيف لا يوثق به وإن

صحف فان شيطاناً ألقى ذلك الرق ، وإن كانوا قد ظنوا أنها رسالة من الله بظنونهم الفاسدة . وقد بينا أن معنى المكر منه المجازاه على المكر ، فاما أن يقال عنه مكار فوق الجهل وفوق الحماقة .

وقد أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأزجي ثنا ابن جهضم ثنا الخلدي قال سمعت رويما يقول : إن الله غيب أشياء في أشياء غيب مكره في علمه وغيب خداعه في لطفه وغيب عقوباته في باب كراماته . قلت : وهذا تخليط من ذلك الجنس وجراة . أخبرنا محمد بن ناصر أبو الفضل السهلكي قال سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت خالي يقول قال الحسن بن علويه . خرج أبو يزيد لزيارة أخ له فلما وصل إلى نهر جيحون التقى له حافتا النهر . فقال سيدي : إيش هذا المكر الخفي وعزتك ما عبدتك لهذا ثم رجع ولم ولم يعبر . قال السهلكي وسمعت محمد بن أحمد المذكر يذكر أن أبا يزيد قال من عرف الله عز وجل صار للجنة بوابا وصارت الجنة عليه وبالا .

قلت : وهذه جرأة عظيمة في إضافة المكر إلى الله عز وجل وجعل الجنة التي هي نهاية المطالب وبالا وإذا كانت وبالا للعارفين فكيف تكون لغيرهم . وكل هذا منبعه من قلة العلم وسوء الفهم . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا أبو الفرج الورثاني ثنا أحمد بن الحسن بن محمد ثني محمد بن جعفر الوراق ثنا أحمد بن العباس المهلبي قال سمعت طيفور وهو أبو يزيد يقول العارفون في زيارة الله تعالى في الآخرة على طبقتين طبقة تزوره متى شاءت وطبقة تزوره مرة واحدة ثم لا تزوره بعدها ابداً فقيل كيف ذلك قال . إذا رآه العارفون أول مرة جعل لهم سوقا ما فيه شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء فمن دخل منهم السوق لم يرجع إلى زيارة الله أبداً قال : وقال أبو يزيد : في الدنيا يخدعك بالسوق وفي الآخرة يخدعك بالسوق فأنت أبداً عبد السوق .

قال المصنف رحمه الله : تسميته ثواب الجنة خديعة وسبباً للانقطاع عن الله عز وجل قبيح إنما يحمل الأمر على ثوابا لا خديعة فاذا أذن لهم في أخذ ما في السوق ، ثم عوقبوا بمنع الزيارة فقد صارت الشربة عقوبة . ومن أين له أن من اختار شيئاً ذلك السوق ولم يعد إلى زيارة الله تبارك وتعالى ولا يراه أبداً نعوذ بالله من دنيا

التخليط والتحكم فى العلم والاخبار من هذه المغيبات التى لا يعلمها إلا نبى فمن أين له علمها وكيف يكون كما قاله أبو هريرة راوى الحديث لسعيد بن المسيب : جمعنى الله وإياك فى سوق الجنة أفتراه طلب ترك العقوبة بالبعد عن الله عز وجل لكن بعد هؤلاء عن العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط وليعلم أن الخواطر والواقعات إنما هى ثمرات علمه فمن كان عالماً كانت خواطره صحيحة لأنها ثمرات علمه ومن كان جاهلا فثمرات الجهل كلها حظه . ورأيت بخط ابن عقيل : جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال ماهؤلاء حتى تعذبهم كف عظام جرت عليهم القضايا أعف عنهم .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قلة علم وهو أن قوله - كف عظام - احتقار للآدمى فإن المؤمن إذا مات كان كف عظام : وقوله - جرت عليهم القضايا - فكذلك جرى على فرعون ، وقوله : أعف عنهم ، جهل بالشريعة لان الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافراً فلو قبلت شفاعته فى كافر لقبل سؤال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه فى ابيه ، ومحمد ﷺ فى أمه فنعوذ بالله من قلة العلم .

أنبأنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى نا أبو بكر أحمد بن أبى نصر الكوفانى ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن قورى الحوبيانى نا أبو نصر عبد الله بن على الطوسى المعروف بالسراج قال كان ابن سالم يقول عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود . فقال : معذورين : ومر بقبر المسلمين . فقال مغرورون .

قال المصنف رحمه الله : وفسره السراج فقال كأنه لما نظر إلى ما سبق لهم من الشقاوة . من غير فعل كان موجوداً فى الأزل وأن الله عز وجل جعل نصابهم السخط فذلك عذر .

قال المصنف رحمه الله : وتفسير السراج قبيح لأنه يوجب ان لا يعاقب فرعون ولا غيره .

ومن كلامهم فى الحديث وغيره . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا الأزهرى نا أحمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال : جاء

أبو تراب النخشبي إلى أبي لجعل أبي يقول : فلان ضعيف وفلان ثقة فقال أبو تراب ياشيخ لاتغتب العلماء فالتفت أبي إليه وقال له : ويحك هذه نصيحة ليست هذه غيبة . أنبأنا يحيي بن على المدبر نا أحمد بن على بن ثابت نا رضوان بن محمد بن الحسن الدينوري قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابوري يقول سمعت أبا الحسن على بن محمد البخاري يقول سمعت محمد بن الفضل العباسي يقول : كنا عند عبد الرحمن ابن أبي حاتم وهو يقرأ علينا كتاب الجرح والتعديل فقال اظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة . فقال له يوسف بن الحسين . استحييت اليك يا أبا محمد كم من هؤلاء القوم قد حطوا رواحلهم في الجنة منذ مائة سنة أو مائتين سنة وأنت تذكرهم وتغتابهم على أديم الأرض . فبكى عبد الرحمن وقال يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفي هذا الكتاب لم أصنفه . قلت عفا الله عن ابن أبي حاتم فانه لو كان فقيها لرد عليه كما رد الإمام أحمد على أبي تراب . ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل ثم كون القوم في الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم وتسمية ذلك غيبة حديث سوء . ثم من لايدري الجرح والتعديل كيف هو يزكي كلامه وينبغي ليوسف أن يشتغل بالعجائب التي تحكى عن مثل هذا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله بن يزيد الأردبلي يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه إليه لما علم أنه العالم بأحواله . قلت هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم

أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خيرون نا أحمد بن الحسن الشاهد قال قرىء على محمد بن الحسن الاهوازي وأنا أسمع أبا بكر الديف الصوفي وقال سمعت الشبلي وقد سأله شاب يا أبا بكر لم تقول ا ولا تقول لا إله إلا الله . فقال الشبلي . استحي أن أوجه إثباتاً بعد نفي . فقال الشاب أريد حجة أقوى من هذه فقال أخشى أن أؤخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الاقرار

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إلى هذا العلم الدقيق فان رسول الله ﷺ كان يأمر بقول لا إله إلا الله ويحث عليها . وفي الصحيحين عنه أنه كان يقول في دبر كل

صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكان يقول إذا قام لصلاة الليل لا إله إلا أنت وذكر الثواب العظيم لمن قال لا إله إلا الله فانظروا إلى هـــذا التعاطى على الشريعة واختيار مالم يختره رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى ثنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل نا سهل ابن على الحساب نا عبد الله بن على السراج قال بلغنى أن أبا الحسن النورى، شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال طعنه سم الموت وسمع نباح كلب فقال لبيك وسعديك فقيل له فى ذلك فقال : إن الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ويأخذ عليـــه الأجرة ولولاها ما أذن فلذلك قلت طعنه سم الموت والكلب يذكر الله عز وجل بلا رياء فانه قد قال (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) .

قال المصنف رحمه الله . انظروا إخوانى عصمنا الله وإياكم من الزلل إلى هـذا الفقه الدقيق والاستنباط الطريف .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا أبو يعقوب الخراط نا النورى أنه رأى رجلا قابضا على لحية نفسه قال فقلت له نح يدك عن لحية الله فرفع ذلك إلى الخليفة فطلبت وأخذت فلما دخلت عليه قال بلغنى أنه نبح كلب فقلت لبيك ونادى المؤذن فقلت طعنه قال نعم قال الله عز وجل (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) فقلت لبيك لأنه ذكر الله . فأما المؤذن فانه يذكر الله وهو متلوث بالمعاصى غافل عن الله تعالى قال وقولك للرجل . نح يدك عن لحية الله . قلت نعم . أليس العبد لله ولحيته لله وكل مافى الدنيا والآخرة له . قلت عدم العلم أوقع هؤلاء فى هذا التخبيط وما الذى أحوجه إلى أن يوهم أن صفة الملك صفة الذات .

أخبرنا ابن حبيب قال ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت أحمد ابن محمد ابن عبد العزيز قال سمعت الشبلى يقول : وقد سئل عن المعرفة فقال : ويحك ماعرف الله من قال الله . والله لو عرفوه قال ابن باكويه وسمعت أبا القاسم أحمد بن يوسف البرادانى يقول سمعت الشبلى يقول يوماً لرجل يسأله ما اسمك ؛ قال آدم قال ويلك . أتدرى ماصنع آدم ؟ باع ربه بلقمه . ثم كان يقول سبحان من عذرنى بالسوداء قال ابن باكويه وسمعت بكران بن أحمد الجيلى يقول كان للشبلى حال وأعاه أنه

يريد التوبة فقال : بع مالك ، واقض دينك ، وطلق امرأتك ففعل . فقال : أيتم أولادك بأن تؤيسهم من التعلق بك فقال قد فعلت فجاء بكسر قد حملها فقال اطرحها بين يدى الفقراء وكل معهم .

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبى . قال . سمعت بعض الفقراء يقول سمعت أبا الحسن الحرمانى يقول لا إله إلا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا ابن باكويه قال أخبرنا أحمد بن الخلفاى قال : رأى الشبلى فى الحمام غلاماً شاباً بلا مئزر . فقال له ياغلام ألا تغطى عورتك فقال له : اسكت يابطال : إن كنت على الحق فلا تشهد إلا الحق ، وإن كنت على الباطل فلا تشهد إلا الباطل . لأن الحق مشتغل بالحق ، والباطل مشتغل بالباطل .

أنبأنا أبو بكر محمد بن أبى طاهر نا علي بن المحسن التنوخى عن أبيه ثنى أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرافى . قال حضرت بشيراز عند قاضيها أبى سعيد بشر ابن الحسن الداردى — وقد ارتفع صوفى وصوفيه — قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً حتى يقال إن عددهم ألوف فاستعدت الصوفية على زوجها إلى القاضى فلما حضرا قالت له . أيها القاضى ، إن هذا زوجى يريد أن يطلقنى وليس له ذلك فإن رأيت أن تمنعه . قال : فأخذ القاضى أبو سعيد يتعجب — وحنق على مذاهب الصوفية — ثم قال لها : وكيف ليس له ذلك قالت لأنه تزوج بى ومعناه قائم فى والآن هو يذكر أن معناه قد انقضى منى وأنا معناى قائم فيه ما انقضى فيجب عليه أن يصبر حتى ينقضى معناى منه كما انقضى معناه منى فقال لى أبو سعيد . كيف ترى هذا الفقه ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق . وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب الأحياء ان بعضهم قال : للربوبية سر لو أظهر بطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم . وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام

قال [illegible] فانظر [illegible] إلى هذا التخليط القبيح [illegible] على الشريعة أن ظاهرها يخالف باطنها [illegible] حامد . [illegible] بعض الصوفية [illegible]

الله أن يرده عليك فقال : اعتراضى عليه فيما يقضى أشد على من ذهاب ولدى .

قلت : لقد طال تعجبي من أبي حامد كيف يحكى هذه الأشياء فى معرض استحسان والرضى عن قائلها وهو يدرى أن الدعاء والسؤال باعتراض وقال أحمد الغزالى : دخل يهودى إلى أبى سعيد بن أبى الخير الصوفى . فقال له أريد أن أسلم على يديك قال : لاترد فاجتمع الناس وقالوا : ياشيخ تمنعه من الإسلام فقال له : تريد بلا بد قال : نعم . قال له برئت من نفسك ومالك قال : نعم قال : هذا الاسلام عندى احملوه الآن إلى الشيخ أبى حامد يعلم لا لا المنافقين . يعنى لا إله الا الله قلت : وهذا الكلام أظهر عيباً من أن يعاب فإنه فى غاية القبح . ومما يقارب هذه الحكاية فى دفع من أراد الاسلام . ما أخبرنا به أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت أخبرنى محمد ابن أحمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت أبا على الحسين بن محمد بن أحمد الماسرخسى يحكى عن جده وغيره من أهل بيته قال كان الحسن والحسين ابنا عيسى ابن ماسرخس أخوين يركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما فاتفقا على أن يسلما فقصدا حفص بن عبد الرحمن ليسلما على يده فقال لهما حفص أنتما من أجل النصارى وعبد الله بن المبارك خارج فى هذه السنة الحج وإذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين فإنه شيخ أهل المشرق والمغرب فانصرفا فمرض الحسين ومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك فلما تقدم أسلم الحسن قلت : وهذه المحنة إنما جلبها الجهل فليعرف قدر العلم لأنه لو كان عنده حظ من علم لقال أسلما الآن ولا يجوز تأخير ذلك لحظة وأعجب من هذا أبو سعيد الذى قال لليهودى ما قال لأنه يريد الإسلام . وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع لمع المتصوفة قال : كان سهل ابن عبد الله إذا مرض أحد من أصحابه يقول له : إذا أردت أن تشتكى فقل أوه فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح إليه المؤمن ولا تقل أفرج فإنه اسم من اسماء الشيطان . فهذه بذة من كلام القوم وفقهم نبهت على علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم . وقد سمعت أبا عبد الله حسين بن على المقرى يقول سمعت أبا محمد عبدالله ابن عطاء الهروى يقول سمعت عبد الرحمن ابن محمد بن المظفر يقول سمعت أبا عبد الرحمن بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن الحسين السلامى يقول سمعت

على بن محمد المصرى يقول سمعت أيوب بن سليمان يقول سمعت محمد بن محمد ابن ادريس الشافعى يقول سمعت أبى يقول : صحبت الصوفية عشرة سنين ما استفدت منه إلا هذين الحرفين : الوقت سيف ، وأفضل العصمة أن لا تقدر .

﴿ ذكر تلبيس إبليس فى الشطح والدعاوى ﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت وإذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبو بكر : ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن . وقال عمر عند موته الويل لعمر إن لم يغفر له وقال ابن مسعود : ليتنى إذا مت لا أبعث وقالت عائشة رضى الله عنها : ليتنى كنت نسياً منسياً . وقال سفيان الثورى لحماد بن سلمة عند الموت ترجو أن يغفر لمثلى .

قال المصنف رحمه الله . وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية . قال الله عز وجل : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال ﷺ : « أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » . فلما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى يقول : ثنا أبو بكر عمر بن يمن ثنا أبو عمر الرهاوى ثنا أحمد بن محمد الجزرى قال : سمعت أبا موسى الدئيلى يقول : سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : وددت إن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتى على جهنم فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد فقال : إنى أعلم أن جهنم إذا رأتنى تخمد فأكون رحمة للخلق . أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا ابن باكويه نى إبراهيم ابن محمد نى حسن بن علوية نى طيفور بن عيسى نى أبو موسى الشبلى قال : سمعت أبا يزيد يقول : إذا كان يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فاسأله أن يدخلنى النار فقيل له : لم . قال : حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه فى النار مع أوليائه .

قال المصنف رحمه الله : هذا الكلام من أقبح الأقوال لأنه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فإنه عز وجل بالغ فى وصفها فقال : (واتقوا النار التى وقودها

الناس والحجارة) وقال : (إذ رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) إلى غير ذلك من الآيات . وقد أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن أعين ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا إسماعيل ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ إن ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم . قالوا له الصحابة : والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها » أخرجاه في الصحيحين . وفي أفراد مسلم من من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » . أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا أبو علي التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا بهز بن أسد ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن زيد عن مطرف عن كعب قال : قال عمر بن الخطاب : يا كعب خوفنا فقال : يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدريت عملك مما ترى فأطرق عمر رضي الله عنه ملياً ثم أفاق قال : زدنا يا كعب قلت : يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فأطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال : زدنا يا كعب . قلت : يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مصطفى إلا خر جاثيا على ركبتيه [illegible] غير نفسي . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ ثنا أبي ثنا أحمد بن محمد بن الحسن البغدادي ثنا إبراهيم بن عبد الله الجنيد ثنا عبد الله ابن محمد بن عائشة ثنا سالم الخواص عن فرات بن السائب عن زاذان قال : سمعت كعب الأحبار يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ونزلت الملائكة فصارت صفوفاً فيقول : يا جبرائيل ائتني بجهنم فيأتي بها جبريل فتقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرئ إلى عمله حتى أن إبراهيم الخليل يقول : بخلتي لا أسألك إلا نفسي [illegible] لا أسألك

إلا نفسي . وإن عيسى ليقول : بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني
قلت : وقد روينا أن النبي ﷺ قال : يا جبرائيل مالي أرى ميكائيل لا يضحك فقال :
ماضحك ميكائيل مذ خلقت النار وما جفت لي عين مذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله
فيجعلني فيها . وبكى عبد الله بن رواحة يوماً فقالت امرأته : مالك تبكي . قال : أنبئت
أني وارد ولم أنبأ أني صادر .

قال المصنف رحمه الله : فاذا كانت هذه حالة الملائكة والأنبياء والصحابة وهم
المطهرون من الأدناس وهذا انزعاجهم لأجل النار فكيف هانت عند هذا المدعي ثم
انه يقطع لنفسه بمالايدري به من الولاية والنجاة وهل قطع بالنجاة إلا لقوم مخصوصين
من الصحابة . وقد قال ﷺ « من قال إني في الجنة فهو في النار » وهذا محمد بن واسع
يقول عند موته يا أخوتاه أتدرون أين يذهب بي يذهب بي والله الذي لا إله إلا هو
إلى النار أو يعفو عني . قلت وهذا إن صح عن هذا المدعي فهذا غاية من تلبيس إبليس .
وقد كان ابن عقيل يقول : قد حكي عن أبي يزيد أنه قال : وما النار والله لئن رأيتها
لأطفأتها بطرف مرقعتي أو نحو هذا قال . ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب
قتله فان الاهوان للشيء ثمرة الجحد لأن من يؤمن بالجن يقشعر في الظلمة ومن لا يؤمن
لا ينزعج وربما قال ياجن خذوني . ومثل هذا القائل ينبغي أن يقرب إلى وجهه شمعة
فاذا انزعج قيل له هذه جذوة من نار . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكي قال
سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد قال سمعت الحسن
ابن علوية يقول : سمعت طيفور الصغير يقول سمعت عمي خادم أبي يزيد يقول :
سمعت أبا يزيد يقول سبحاني سبحاني ما أعظم شأني . ثم قال حسبي من نفسي حسبي .
قلت هذا إن صح عنه فربما يكون الراوي لم يفهم لأنه يحتمل أن يكون قد ذكر تمجيد
الحق نفسه فقال فيه . « سبحاني » . حكاية عن الله لا عن نفسه . وقد تأوله له الجنيد
بشيء إن لم يرجع إلى ما قلته فليس بشيء . فأنبأنا ابن ناصر نا السهلكي نا محمد بن القاسم
الفارسي سمعت الحسن بن علي المذكر سمعت جعفر الخلدي يقول : قيل للجنيد إن أبا يزيد
يقول سبحاني سبحاني أنا ربي الأعلى . فقال الجنيد : إن الرجل مستهلك في شهود
الجلال فنطق بما استهلكه ، أذهله الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق فنعته .

قلت وهذا من الخرافات . أنبأنا الحسن عن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب ، وأنبأنا أبو الوقت عبد الأول نا أحمد بن أبى نصر الكوفانى نا الحسن بن محمد بن فوزى نا عبد الله ابن على السراج قال سمعت أحمد بن سالم البصرى بالبصرة يقول فى مجلسه يوماً : فرعون لم يقل ماقال أبو يزيد لأن فرعون قال « أنا ربكم الأعلى» والرب يسمى به المخلوق يقال رب الدر . وقال أبو يزيد سبحانى سبحانى لا يجوز إلا لله . فقلت قد صح عندك هذا عن أبى يزيد فقال قد قال ذلك . فقلت يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات يحكى بأن الله يقول سبحانى لأنا لو سمعنا رجلا يقول « لا إله إلا أنا » علمنا أنه يقرأ . وقد سألت جماعة من أهل بسطام من بيت أبى يزيد عن هذا فقالوا لا تعرف هذا . أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت عامر بن أحمد قال سمعت الكتانى يقول حدثنى أبو موسى الدئيلى قال سمعت أبا يزيد يقول . كنت أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت اليه رأيت البيت يطوف حولى . قال الشيرازى . وحدثنا إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علوية يقول سمعت طيفور الصغير يقول سمعت أبو يزيد يقول حججت أول حجة فرأيت البيت ، وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت ، وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت . قال الشيرازى . وسمعت محمد بن داودية يقول . سمعت عبد الله بن سهل يقول : سمعت أبا موسى الدئيلى يقول : سمعت أبا يزيد « وسئل عن اللوح المحفوظ » . قال : أنا اللوح المحفوظ . قال الشيرازى : وسمعت المظفر بن عيسى المراغى يقول : سمعت سعيد بن يقول سمعت أبا موسى الدئيلى يقول : قلت لأبى يزيد بلغنى أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل قال أنا أولئك الثلاثة فقلت كيف . قال قلبى واحد . وهمى واحد . وروحى واحد . قلت وبلغنى أن واحداً قلبه على قلب إسرافيل . وقال وأنا ذلك الواحد مثلى مثل بحر مصطلم لا أول له ولا آخر . قال السهلكى وقرأ رجل عند أبى يزيد « إن بطش ربك لشديد » فقال أبو يزيد وحياته إن بطشى أشد من بطشه . وقيل لأبى يزيد : بلغنا إنك من السبعة . قال : أنا كل السبعة . وقيل له . إن الخلق كلها تحت لواء سيدنا محمد ﷺ فقال : والله ان لوائى أعظم من لواء محمد لوائى من نور تحته الجن والإنس

كلهم مع النبيين ، وقال أبو يزيد : سبحانى سبحانى ما أعظم سلطانى ليس مثلى فى السماء يوجد ولا مثلى صفة فى الأرض تعرف أنا هو وهو أنا وهو هو . أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد ابن أبى عمران ثنا منصور بن عبد الله . قال سمعت أبى يقول قيل لأبى يزيد إنك من الابدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض ، فقال : أنا كل السبعة ، أنبأنا ابن ناصر نا ابو الفضل السهلكى قال سمعت أبا الحسين محمد بن القسم الفارسى قال سمعت ابا نصر بن محمد بن إسماعيل البخارى يقول سمعت أبا الحسن على بن محمد الجرجانى يقول سمعت الحسن بن على ابن سلام يقول دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت اليهم فقال « إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى » . فقالوا : جن أبو يزيد فتركوه ، قال : الفارسى وسمعت أبا بكر أحمد بن محمد النيسابورى قال : سمعت أبا بكر احمد بن إسرائيل قال سمعت خالى على بن الحسين يقول سمعت الحسن بن على بن حياة يقول سمعت عمى وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخى أبى يزيد قال سمعت أبى يقول قال أبو يزيد : رفع بى مرة حتى قمت بين يديه فقال لى : ياأبايزيد إن خلقى يحبون أن يروك . قلت ياعزيزى وأنا أحب أن يرونى . فقال يا أبا يزيد إنى أريد أريكهم . فقلت ياعزيزى إن كانوا يحبون أن يرونى وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك . فزينى بوحدانيتك ، وألبسنى ربانيتك ، وارفعنى إلى أحديتك . حتى إذا رآنى خلقك . قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بى ذلك وأقامنى وزيننى ورفعنى . ثم قال اخرج إلى خلقى فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً فلما كان من الخطوة الثانية غشى على فنادى ردوا حبيبى فإنه لا يصبر عنى ساعة . أنبأنا ابن ناصر نا السهلكى . قال سمعت محمد بن إبراهيم الواعظ . يقول سمعت محمد بن محمد الفقيه يقول سمعت أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت أبا موسى يقول حكى عن أبى يزيد أنه قال أراد موسى عليه الصلاة والسلام أن يرى الله تعالى وأنا ما اردت أن أرى الله تعالى هو أراد ان يرانى . اخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا ابو سعد بن ابى صادق الحيرى ثنا أبو عبد الله ابن باكويه ثنا أبو الطيب بن الفرغانى قال سمعت الجنيد بن محمد يقول : دخل على أمس رجل من أهل بسطام فذكر أنه سمع أبا يزيد البسطامى يقول :

اللهم ان كان فى سابق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقى حتى لا تسع [illegible] غيرى .

قال المصنف رحمه الله [illegible] وأما هذا القول [illegible] من ثلاثه أوجه أحدها [illegible] سابق علمك وقد علمنا قطعاً أنه لابد من تعذيب [illegible] بالنار [illegible] الله عز وجل [illegible] خلفاً . كفرعون وأبى لهب فكيف يجوز أن يقال بعد [illegible] كان . والثانى قوله تعظم خلقى فلو قال لادفع عن المؤمنين ولكنه قال حتى [illegible] على الكفار أيضاً وهذا تعاط على رحمة الله عز وجل والثالث أن [illegible] هذه النار أو واثقاً من نفسه بالصبر وكلا الأمرين [illegible] قال والله لقد تكلمت أمس مع الحضر فى المسألة : وكان [illegible] والله عز وجل يسمع كلامى فلم يعب علىّ ولو عاب على [illegible] قد نسب إلى التغير لكان ينبغى أن يرد عليه . [illegible] تستحسن قوله . وكم من قول [illegible] أنه كان يسمى نفسه الكذاب [illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible] يريده قارورة يقطر منها [illegible]

قال المصنف [illegible] على [illegible]

هذه ثمرة الجهل [illegible] إلا لعامه . وقد قال من [illegible]

الله كل لسانه . [illegible]

سمعت محمد [illegible]

هذه [illegible]

قال : [illegible]

أرطال [illegible]

من [illegible]

دعوت فقال : قلت وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتاً فيها ثلاث أرطال وثلاث أواق لأغرقن نفسى فى دجلة : أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر ابن ثابت قال أخبرنى عبد الصمد بن الخطيب ثنا الحسن بن الحسين الهمدانى قال سمعت جعفراً الخلدى سمعت الجنيد يقول سمعت النورى يقول : كنت بالرقة فجاءنى المريدون الذين كانوا بها . وقالوا : نخرج ونصطاد السمك . فقالوا لى يا أبا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لاتزيد ولاتنقص . فقلت لمولاى إن لم تخرج إلى الساعة سمكة فيها ما ذكروا لأرمين بنفسى فى الفرات فأخرجت سمكة فوزنتها فإذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان . قال الجنيد : فقلت له يا أبا الحسين لو لم تخرج كنت ترمى بنفسك قال نعم . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الخراط . قال : قال لى أبو الحسين النورى كان فى نفسى من هذه الكرامات شىء فأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص لا آكل شيئاً [illegible] قال فبلغ ذلك الجنيد فقال كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين ابن أحمد الفارسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت على بن محمد بن أبان قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : أكثر ذنبى إليه معرفتى إياه .

قال المصنف رحمه الله : [illegible] لم [illegible] بمقتضى معرفته فعظم ذنبى كما يعظم جرم من [illegible] أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنى أحمد [illegible] سمعت الشبلى يقول [illegible] أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك [illegible] أبى القاسم [illegible] بن محمد ابن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب [illegible] أبى نصر نا الحسن بن محمد بن [illegible] قالا [illegible] عبد الله أحمد بن محمد الهمدانى يقول : دخلت [illegible] معى إلى أن خرجنا من الدار [illegible] نا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر محمد بن أحمد [illegible]

نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت منصور بن عبد الله يقول : دخل قوم على الشبلي في مرض موته الذي مات فيه . فقالوا كيف نجدك يا أبا بكر فأنشأ يقول :

إن سلطان حبه قال لاأقبل الرشا
فسلوه فديته ما لقتلي تحرشا

قال ابن عقيل وقد حكى عن الشبلي أنه قال أن الله سبحانه وتعالى . قال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) . والله لا رضى محمد ﷺ وفي النار من أمته أحد . ثم قال إن محمداً يشفع في أمته وأشفع بعده في النار حتى لا يبقى فيها أحد قال ابن عقيل والدعوى الأولى على النبي ﷺ كاذبة فإن النبي ﷺ يرضى بعذاب الفجار . كيف وقد لعن في الخمر عشرة . فدعوى أنه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة وإقدام على جهل بحكم الشرع . ودعواه بأنه من أهل الشفاعة في الكل وأنه يزيد على محمد ﷺ كفر لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه على مقام النبوة بل يزيد على المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى . قال ابن عقيل . الذي يمكنني في حق اهل البدع لساني وقلبي ولو اتسعت قدرتي في السيف لرويت الثرى من ماء خلق .

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أخبرنا جعفر بن أحمد ثنا أبو طاهر محمد ابن علي العلاف سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبدالله العلفي صاحب أباالعباس بن عطاء سمعت ابا العباس بن عطاء يقول . قرأت القرآن فما رايت الله عزوجل ذكر عبداً فأثنى عليه حتى ابتلاه . فسألت الله تعالى أن يبتليني فما مضت الأيام والليالي حتى خرج من داري نيف وعشرون ميتاً ما رجع منهم أحد قال : وذهب ماله ، وذهب عقله ، وذهب ولده وأهله فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها . وكان أول شيء قاله بعد صحوه من غلبته :

حقاً أقول لقد كلفتني شططا حملي هواك وصبري إن ذا عجب

قلت : قلة علم هذا الرجل أثمر ان سأل البلاء . وفي سؤال البلاء معنى التقاوي وذاك من أقبح القبيح . و الشطط - الجور ولا يجوز أن ينسب إلى الله تعالى . وأحسن ما حمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت في زمان التغير ، أخبرنا محمد بن ناصر أبأنا أحمد ابن علي بن خلف نا محمد بن الحسين السلمي سمعت أبا الحسن علي بن إبراهيم المقرى

يقول دعونى وبلائى ألستم أولاد آدم الذى خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه . وأسجد له ملائكته ، وأمره بأمره فخالفه ، إذا كان اول الدن دردى كيف يكون آخره . قال : وقال الحصرى كنت زمانا إذا قرأت القرآن لا أستعيذ من الشيطان وأقول الشيطان حتى يحضر كلام الحق .

قال المصنف رحمه الله قلت : أما القول الأول فإنه بتسلط على الأنبياء جرأة قبيحة وسوء أدب . أما الثانى فخالف لما أمر الله عز وجل به فإنه قال ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ﴾ ، اخبرنا أبو بكر بن ابى طاهر نا عباد بن إبراهيم النسوى نا محمد ابن الحسين السلمى قال وجدت فى كتاب أبى بخطه سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الدينورى يقول : قد نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامى أحدثوها سموا الطمع زيادة ، وسوء الأدب إخلاصا ، والخروج عن الحق شطحاً ، والتلذذ بالمذموم طيبة وسوء الخلق صولة ، والبخل جلادة ، واتباع الهوى ابتلاء ، والرجوع إلى الدنيا وصولا والسؤال عملا وبذاءة اللسان ملامة وما هذا طريق القوم . وقال ابن عقيل صرفت الصوفية من المراءين عبارات غيروا لها الأسماء مع حصول المعنى فقالوا فى الاجتماع على الطيبة والغناء والخسكرة . أوقات . وقالوا فى المردان شاهد وفى المعشوقة أخت وفى المحبة مريدة وفى الرقص والطرب وجد . وفى مناخ اللهو والبطالة رباط . وهذا التغيير للاسماء لا يباح

﴿ بيان جملة مروية على الصوفية من الأعمال المنكرة ﴾

قلت : قد سبق ذكر أفعال كثيرة لهم كلها منكرة وإنما نذكر ههنا من أمهات الأفعال وعجائبها . أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد ابن الفضل الكرمانى نا أبو الحسن سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن على السراج قال : ذكر عن أبى الكرتى — وكان أستاذ الجنيد — أنه أصابته جنابة . وكان عليه مرقعة ثخينة فجاء إلى شاطىء دجلة والبرد شديد فحزنت نفسه عن الدخول فى الماء لشدة البرد فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج وقال : عقدت أن لا أنزعها عن بدنى حتى تجف على فلم تجف عليه شهراً .

أخبرنا عبد الرحمن ابن محمد القزاز نا احمد نا ابن على ابن ثابت ثنا عبد العزيز ابن على ثنا على بن عبدالله الهمدانى ثنا الخلدى ثنى جنيد قال سمعت أبا جعفر ابن الكريتى يقول أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت فى نفسى تأخراً وحدثتنى نفسى لو تركت حتى تسبح يسخن لك الماء . أو تدخل حماماً . والا اعبأ على نفسك . فقلت واعجبا أنا أعامل الله تعالى فى طول عمرى . يجب له على حق لأجد المسارعة اليه . وأجد الوقوف والتباطؤ والتأخر . آليت لا أغتسل إلا فى نهر . وآليت لااغتسلت إلا فى نهر . وآليت لا اغتسلت إلا فى مرقعتى هذه . وآليت لا أعصرنها وآليت لأجففنها فى شمس . أو كما قال . قلت قد سبق فى ذكر المرقعات وصف هذه المرقعة لابن الكريتى وأنه وزن أحد كميها فكان فيه أحد عشر رطلا وإنما للناس ليبين أنى فعلت الحسن الجميل . وحكوه عنه ليبين فضله وذلك جهل محض لأن هذا الرجل عصى الله سبحانه وتعالى بما فعل . وإنما يعجب هذا الفعل العوام الحمقى لا العلماء ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسه فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنوناً من التعذيب : إلقاؤها فى الماء البارد ، وكونه فى مرقعة لايمكنه الحركة فيها كما يريد ولعله قد بقى من مغابنه مالم يصل اليه الماء لكثافة هذه المرقعة ، وبقاءها عليه مبتلة شهراً وذلك يمنعه لذة النوم . وكل هذا الفعل خطأ وإثم وربما كان ذلك سبباً لمرضه أو قتله .

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قال أخبرنا حمد بن أحمد بن عبد الله الاصبهانى ، قال : كانت أم على زوجة أحمد بن حضروية قد أحلت زوجها أ ... من صداقها على أن يزور بها أبا يزيد البسطامى فحملها اليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها . فلما قال لها أحمد : رأيت منك عجبا . أسفرت عن وجهك بين يدى أبى يزيد : قالت لأنى لما نظرت اليه فقدت حظوظ نفسى . وكلما نظرت اليك رجعت إلىّ حظوظ نفسى . فلما أراد أحمد الخروج من عند أبى يزيد قال له أوصنى . قال تعلم الفتوة من زوجتك . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا بن باكويه سمعت أبا بكر الفازى « وفاز قرية بطرسوس » سمعت أبا بكر السباك سمعت يوسف ابن الحسين يقول : كان بين أحمد بن أبى الحوارى وبين أبى سليمان عقد أن لا يخالفه فى شىء يؤمره به فجاءه يوماً وهو يتكلم فى المجلس فقال ان التنور قد

سجرناه فما تأمرنا فما أجابه فأعاد مرة أو مرتين فقال له فى الثالثة اذهب واقعد فيه ففعل ذلك . فقال أبو سليمان ألحقوه فان بيني وبينه عقداً أن لا يخالفني فى شيء آمره به فقام وقاموا معه فجاؤا إلى التنور فوجدوه قاعداً فى وسطه فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية بعيدة الصحة ولو صحت كان دخوله النار معصية . وفى الصحيحين من حديث على رضى الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليها رجلا من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم فى شيء فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعونى قالوا بلى قال فاجمعوا حطباً فجمعوا ثم دعا بنار فأضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم أن يدخلوها فقال لهم شاب إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبى ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا فرجعوا إلى النبى ﷺ فاخبروه فقال لهم رسول الله ﷺ « لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً إنما الطاعة فى المعروف » . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد ابن على بن ثابت الخطيب الحافظ أخبرنى الحسن بن جعفر بن على أخبرنى عبد الله بن إبراهيم الخزرى حدثنا أبو الخير الديلمى كنت جالساً عند خير النساج فأتته امرأة وقالت له اعطنى المنديل الذى دفعته إليك قال نعم فدفعه اليها قالت كم الاجرة قال درهمان قالت ما معى الساعة شيء وأنا قد ترددت اليك مراراً فلم أراك وانا آتيك به غداً إن شاء الله تعالى فقال لها خير إن اتيتنى بهما ولم تجدينى فارمى بهما فى دجلة فإنى إذا جئت أخذتهما فقالت المرأة كيف تأخذ من دجلة فقال لها خير هذا التفتيش فضول منك افعلى ما أمرتك . قالت إن شاء الله فمرت المرأة قال أبو الحسين فجئت من الغد وكان خير غائباً وإذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تجده فرمت بالخرقة فى دجلة وإذا بسرطان قد تعلق بالخرقة وغاص وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ وإذا بسرطان قد خرج من الماء يسعى نحوه والخرقة على ظهرها فلما قرب من الشيخ أخذها . فقلت له رأيت كذا وكذا فقال أحب أن لا تبوح به فى حياتى فأجبته إلى ذلك .

قال المصنف رحمه الله : صحة مثل هذا بعيد ، ولو صح لم يجز هذا الفعل من

مخالفة الشرع لأن الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا إضاعة . وفي الصحيح أن النبي ﷺ « نهى عن إضاعة المال » ولا تلتفت إلى قول من يزعم أن هذا كرامة لأن الله عز وجل لا يكرم مخالفاً لشرعه . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ سمعت أباالفرج الورثاني سمعت علي بن عبد الرحيم يقول : دخلت على النوري ذات يوم فرأيت رجليه منتفختين فسألته عن أمره فقال طالبتني نفسي بأكل التمر فجعلت أدافعها فأبي علي فخرجت فاشتريت فلما إن أكلت قلت لها قومي فصلي فأبت علي فقلت لله علي ان قعدت إلى الارض أربعين يوماً إلا في تشهد فما قعدت قلت من سمع هذا من الجهال يقول ما أحسن هذه المجاهدة ولا يدري أن هذا الفعل لا يحل لأنه حمل على النفس ما لا يجوز ومنعها حقاً من الراحة وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الأحياء قال كان بعض الشيوخ في بداية إرادته يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع قال وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر إذا خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل . قال وحكي ان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ليعود نفسه الحلم قال وكان آخر يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً .

قال المصنف رحمه الله . أعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء [illegible] معرض التعليم [illegible] وروده [illegible] كان يرى [illegible] عن [illegible] حتى لا يلتفت اليه . وإن رأى الكبر [illegible] الأسواق للكدية ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك . وإن رأى البطالة غالبة عليه استخدمه في بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان . وإن رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم . وإن رآه عزباً ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً .

قلت : وإني لأتعجب من أبي حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة

وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضاً شديداً كيف يحل . مي المال في البحر وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال . وهل يحل سب مسلم بلا سبب وهل يجوز للمسلم ان يستأجر على ذلك وكيف يجوز [illegible] ذلك زمان قد سقط فيه الخشاب بأداء [illegible] كيف [illegible] فما [illegible] عن الى السعه [illegible]

أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى نا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا أبو صالح الدامغانى عن [illegible] ابن على الدامغانى . قال . كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد لا يفارقه فقال له ذات يوم يا أستاذ أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد فى قلبى من هذا الذى تذكره شيئاً البتة فقال له أبو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على ما أراك لا تجد من هذا العلم ذرة . قال ولم يا أستاذ . قال : لأنك محجوب بنفسك فقال له : أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال : نعم ولكنك لم تقبل قال : بلى أقبل واعمل ما تقول . قال أبو يزيد اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة واملأها جوزاً واجمع حولك صبياناً وقل بأعلى صوتك يا صبيان من يصفعنى صفعة أعطيته جوزة وادخل الى سوقك الذى تعظم فيه فقال يا أبا يزيد سبحان الله تقول لى مثل هذا ويحسن أن أعمل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها فقال يا أبا يزيد هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ولكن دلنى على غيره حتى أفعله فقال أبو يزيد ابتدر هذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك قال : لا أطيق هذا . قال : انك لا تقبل .

قال المصنف رحمه الله قلت : ليس فى شرعنا محمد الله من هذا شيء بل فيه تحريم ذلك والمنع منه وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام ليس للمؤمن أن يذل نفسه وقد [illegible] الجمعه حديثه مراق [illegible] ترى يعبد الناس فى قصة

الصلاة . وهل طالب الشرع أحداً بمحو أثر النفس وقد قال ﷺ « من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله » كل هذا للابقاء على جاه النفس . ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحاً فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التي تطالب المبتدىء بما لا يرضاه الشرع فينفر .

وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الاحياء عن يحيى بن معاذ أنه قال قلت لأبي يزيد هل سألت الله تعالى المعرفة بقال عزت عليه أن يعرفها سواه . فقلت هذا إقرار بالجهل فإن كان يشير إلى معرفة الله تعالى في الجملة وأنه موجود وموصوف بصفات وهذا لا يسمع أحداً من المسلمين جهله وإن تخايل له أن معرفته هي اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به .

وحكى أبو حامد : أن أبا تراب النخشبي قال لمريد له : لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة ، قلت : وهذا فوق الجنون بدرجات .

وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكريني أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب في قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي وخرجت فجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي . قال أبو حامد : فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا في الحمام . قلت سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الاحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحل ، والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمي أصحابه أرباب أحوال وأي حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة في النهي عنه ، وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي وقد علم في الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل ما لا يحل فيها وهذا من جنس ما تفعله الأمراء الجهلة من قطع من لا يجب قطعه وقتل من لا يجوز قتله ويسمونه سياسة ومضمون ذلك أن الشريعة ما تفي بالسياسة . وكيف يحل

الصلاح [illegible] ذلك

عند شهداء الله فى الأرض ولو أن رجلا وقف مع امرأته فى طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصياً بذلك ، ثم كيف يجوز التصرف فى مال الغير بغير إذنه . ثم فى نص مذهب أحمد والشافعى أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه . فعجبى من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبى من هذا المستلب الثياب .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا بن باكويه : سمعت محمد ابن احمد النجارى يقول : كان على بن بابويه من الصوفية فاشترى يوماً من الأيام قطعة لحم فأحب أن يحمله إلى البيت فاستحيا من أهل السوق فعلق اللحم فى عنقه وحمله إلى بيته .

قلت : واعجبا من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع وذلك أمر لا يمكن ولا هو مراد الشرع وقد ركز فى الطباع أن الإنسان لا يحب أن يرى إلا متجملا فى ثيابه وأنه يستحيي من العرى وكشف الرأس . والشرع لا ينكر عليه هذا . وما فعله هذا الرجل من الإهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح فى الشرع والعقل فهو إسقاط مروءة لا رياضة كما لو حمل نعليه على رأسه .

وقد جاء فى الحديث « الأكل فى السوق دناءة » فان الله قد أكرم الآدمى وجعل لكثير من الناس من يخدمه . فليس من الدين إذلال الرجل نفسه بين الناس . وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامتية فاقتحموا الذنوب فقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبلها . فقيل له : لم تعزل . فقال بلغنى أن العزل مكروه . فقيل له : وما بلغك أن الزنا حرام . وهؤلاء الجهلة قد أسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله فى الأرض .

أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا بن باكويه قال سمعت أبا احمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف سمعت أبا الحسن الدينى يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية وكان فى إحدى قرى ذلك النهر رجل يميل إلى أصحابنا فبينا أنا أمشى على شاطىء النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلا وخرقة فجمعتها وقلت هذه ثياب فقير . ومشيت قليلا فسمعت همهمة وتخبيطاً فى الماء فنظرت فإذا أبو الحسن النورى قد ألقى نفسه فى الماء

والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء ، فلما رأيته علمت أن الثياب له فنزلت اليه فنظر إلى ، وقال يا أبا الحسن أما ترى ما يعمل بي . قد أماتني موتات وقال لي مالك منا إلا الذكر الذي لسائر الناس . وأخذ يبكي ويقول ترى ما يفعل بي . فما زلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجل . فأقمنا عنده إلى العصر ثم خرجنا إلى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا . السباع بالليل تدخل القرية . وكان حوالى القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين . فلما سمع النوري هذا الحديث قام فرمى بنفسه في الأجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول : أين أنت يا سبع . فما شككنا أن الأسد قد افترسه أو قد هلك في أصول القصب ، فلما كان قريب الصبح . جاء فطرح نفسه وقد هلكت رجلاه فأخذنا بالمنقاش ماقدرنا عليه فبقي أربعين يوماً لا يمشي على رجليه . فسألته أي شيء كان ذلك الحال قال : لما ذكروا السبع وجدت في نفسي فزعاً فقلت لأطرحنك إلى ما تفزعين منه .

قلت : لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع في الماء والطين . وكيف يجوز للانسان أن يلقي نفسه في ماء طين وهل هذا إلا فعل المجانين وأين الهيبة والتعظيم من قوله : ترى ما يفعل بي وما وجه هذا انبساط وينبغي أن تجف الألسن في أفواهها هيبة . ثم ما الذي يريده غير الذكر ولقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع . وهل يجوز في الشرع أن يلقي الإنسان نفسه . أترى أراد منها أن يغير ما طبعت عليه من خوف السباع ليس هـــذا في طوقها ولا طلبه الشرع منها . ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول فأجابه بأجود جواب . أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب نا علي بن أبي صادق نا ابن باكويه نا يعقوب الخواط نا أبو أحمد المغازي قال : رأيت النوري وقد جعل نفسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهو يقول : من الخلق أوحشتني ، ومن النفس والمال والدنيا أفقرتني ويقول ما معك إلا علم وذكر قال فقلت له إن رضيت وإلا فانطح برأسك الحائط . أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن علي الخشاب نا عبدالله بن علي السراج قال سمعت أبا عمرو بن علوان يقول جاء أبو الحسين

النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له : وجلس على قنطرة وجعل يرمى واحداً واحداً منها إلى الماء ويقول حبيبى ـ تريدنى أن تخدعنى منك بمثل هذا . قال السراج : فقال بعض الناس لو نفقها فى سبيل الله كان خيراً له . قلت إن كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين كان الواجب أن يرميها فى الماء دفعة واحدة حتى يكون أسرع لخلاصه من فتنته كما قال الله عز وجل (فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) قلت : لقد أساء هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل . وقد بينا فيما تقدم ان الشرع أمر بحفظ المال وأن لا يسلم إلا إلى رشيد ، وجعله قواماً للآدمى ، والعقل يشهد بأنه إنما خلق للمصالح : فاذا رمى به الإنسان فقد أفسد ماهو سبب صلاحه وجهل حكمة الواضع ، واعتذار السراج له أقبح من فعله لأنه إن كان خاف فتنته فينبغى أن يرميه إلى فقير ويتخلص ، ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لأنه يحتج بمسح السوق والأعناق ، ويظن بذلك جواز الفساد والفساد لا يجوز فى شريعة ، وإنما مسح بيده عليها وقال أنت فى سبيل الله وقد سبق بيان هذا ، وقال أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال أبو جعفر الدارج ، خرج أستاذى يوماً يتطهر فأخذت كتفه ففتشته فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم وكان ليلاوبات لم يأكل شيئاً . فلما رجع قلت له ، فى كتفك كذا وكذا درهما ونحن جياع ، فقال أخذته ؟ رده ، ثم قال لى بعد ذلك : خذه واشتر به شيئاً ، فقلت له ، بحق معبودك ما أمر هذه القطع فقال : لم يرزقنى الله من الدنيا شيئاً غيرها فأردت أن أوصى أن تدفن معى فاذا كان يوم القيامة رددتها إلى الله وأقول هذا الذى أعطيتنى من الدنيا . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا عبد الواحد بن بكر قال سمعت أبا بكر الجوال سمعت أبا عبد الله الحصرى يقول : مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق من الأبواب ما يفطر عليه .

قال المصنف رحمه الله قلت : لو علم هذا الرجل أن المسألة لا تجوز لمن يقدر على الاكتساب لم يفعل ، ولو قدرنا جوازها . فأين انفة النفس من ذل الطلب ، أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد بن حنبل

ثنى أبى ثنا اسماعيل ثنا معمر عن عبد الله بن مسلم أخى الزهرى عن حمزة بن عبد الله ابن عمر عن أبيه . قال قال رسول الله ﷺ . لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه مزعة لحم . قال أحمد وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير ابن العوام قال : قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ الرجل حبلا فيحتطب ثم يجىء فيضعه فى السوق فيبيعه ثم يستغنى به فينفقه على نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

قلت : انفرد به البخارى واتفقا على الذى قبله ، وفى حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ أنه قال : لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى — والمرة — القوة . وأصلها من شدة فتل الحبل يقال أمررت الحبل إذا أحكمت فتله . فمعنى المرة فى الحديث شدة أسر الخلق وصحة البدن التى يكون معها احتمال الكل والتعب . قال الشافعى رضى الله عنه : لا تحل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب . أخبرنا عبدالرحمن ابن محمد القزاز نا أبو بكر ابن ثابت أنبأنا أبو سعد المالينى قال سمعت أبا بكر محمد ابن عبد الواحد الهاشمى سمعت أبا الحسن يونس بن أبى بكر الشبلى يقول قام أبى ليلة فترك فرد رجل على السطح والأخرى على الدار . فسمعته يقول لئن أطرفت الأرمين بك إلى الدار فما زال على تلك الحال حتى أصبح فلما أصبح قال لى : يابنى ما سمعت الليلة داكراً لله عز وجل إلا ديكا يساوى دانقين .

قال المصنف رحمه الله : هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان . أحدهما : مخاطرته بنفسه فلو غلبه النوم فوقع كان معيناً على نفسه ولا شك أنه لو رمى بنفسه كان قد أتى معصية عظيمة فتعرضه للوقوع معصية ، والثانى : أنه منع عينه حظها من النوم . وقد قال ﷺ أن لجسدك عليك حقاً وإن لزوجتك عليك حقاً . وإن لعينك عليك حقا وقال : إذا نعس أحدكم فليرقد . ومر بحبل قد مدته زينب فاذا فترت أمسكت به فأمر بحله . وقال ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد وقد تقدمت هذه الأحاديث فى كتابنا هذا . أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر الأردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا العباس البغدادى يقول : كنا نصحب أبا الحسين بن أبى بكر الشبلى ونحن أحداث ، فأضافنا ليلة فقلنا بشرط أن

لا تدخل علينا أباك ، فقال لا يدخل . فدخلنا داره فلما أكلنا إذا نحن بالشبلى وبين كل أصبعين من أصابعه شمعة ــ ثمان شموع ــ فجاء وقعد وسطنا فاحتشمنا منه ، فقال يا سادة عدونى فيما بينكم طشت شموع ، ثم قال أين غلامى أبو العباس فتقدم اليه فقال غن الصوت الذى كنت تغنى :

ولما بلغ الحيرة حادى جمــلى حارا
فقلت احطط بهـا رحلى ولا تحفل بمن سارا (١)

فغنيته فتغير وألقى الشموع من يده وخرج . أخبرنا ابن ناصر ثنا هبة الله ابن عبد الله الواسطى نا أبو بكر أحمد بن على الحافظ نا محمد بن أحمد بن أبى الفوارس نا الحسين ابن عبد الرحمن الصفار قال خرج الشبلى يوم عيد وقد حلق اشفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة وهو يقول :

للنـاس فطر وعيـد انى فريد وحيــد

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن على بن ثابت نا التنوخى ثنا أبو الحسن على ابن محمد أبى صابر الدلال قال : وقفت على الشبلى فى قبة الشعراء فى جامع المنصــور والناس يجتمعون عليه فوقف عليه فى الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد فى ذلك الوقت أحسن وجها منه يعرف بابن مسلم فقال له : تنح فلم يبرح فقال له الثانية تنح ياشيطان عنا فلم يبرح فقال له فى الثالثة تنح وإلا والله خرقت كل ما عليك وكانت عليه ثياب فى غاية الحسن تساوى جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلى :

طرحوا اللحم للبزا ه على دروتى عــدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا منهم الرســن
لو أرادوا صـلاحنا ستروا وجهك الحسن

قال ابن عقيل من قال هذا فقد أخطأ طريق الشرع . لأنه يقول ما خلق الله عز وجل هذا الإنسان إلا للافتتان به . وليس كذلك وإنما خلقه للاعتبار والامتحان فان الشمس خلقت لا لتعبد . وباسناد عن أحمد بن محمد النهاوندى يقول مات للشبلى ابن وله كان

(١) كذا فى النسخة وسقطت هذه الحكاية وما بعدها فى النسخة الثانية

اسمه علياً فجزّت أمه شعرها عليه ، وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلقها جميعها فقيل له : يا أستاذ ما حملك على هذا فقال . جزت هذه شعرها على مفقود ، ألا أحلق أنا لحيتي على موجود . وباسناد عن عبد الله بن على السراج قال : ربما كان الشبلي يلبس ثياباً مثمنة ثم ينزعها فيضعها فوق النار ، قال : وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ... قال بعضهم : دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار قال السراج : إنما أحرقه بالنار لأنه كان يشغله عن ذكر الله قلت : اعتذار السراج عنه أعجب من فعله ، قال السراج وحكى عنه أنه باع عقاراً ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع اليهم شيئاً ، وسمع قارئاً يقرأ واخسئوا فيها ، فقال ليتني كنت واحداً منهم . قلت وهذا الرجل ظن ان الذى يكلمهم هو الله تعالى والله لايكلمهم ثم لو كلمهم كلام إهانة فأى شيء هذا حتى يطلب ، قال السراج ، وقال الشبلي يوماً فى مجلسه إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفؤها ، وهذا من جنس ما ذكرناه عن أبي يزيد وكلاها من إناء واحد . وباسناد عن أبي على الدقاق يقول : بلغنى أن الشبلي اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم .

قال المصنف رحمه الله وهذا فعل قبيح لا يحل لمسلم أن يؤذى نفسه وهو سبب للعمى ولا تجوز إدامة السهر لأن فيه إسقاط حق النفس والظاهر أن دوام السهر والتقلل من الطعام أخرجه إلى هذه الاحوال والأفعال . وباسناد عن أبي عبد الله الرازى قال ، كسانى رجل صوفاً فرأيت على رأس الشبلي قلنوسة تليق بذلك الصوف فتمنيتها فى نفسى . فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إلى ، فتبعته ، وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلى . فلما دخل داره فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنوسة عليه ودعى بنار فأحرقهما ، قلت ، وقد حكى أبو حامد الغزالى ان الشبلي أخذ خمسين ديناراً فرماها فى دجلة وقال ، ما أعزك أحد إلا أذله الله ، وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبى من الشبلي لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكار فأين أثر الفقه . وباسناد عن حسين بن عبد الله القزوينى قال . حدثني من كان مجالساً لبنان أنه قال أنه : تعذر على قوتى يوماً ولحقنى ضرورة فرأيت قطعة ذهب مطروحة فى الطريق فأردت أخذها فقلت لقطة فتركتها ، ثم ذكرت الحديث الذى روى ولو أن الدنيا كانت دما عبيطاً

لكان قوت المسلم منها حلالا ، فأخذتها وتركتها فى فى ومشيت غير بعيد فإذا أنا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم ، فقال له واحد ، متى يجد العبد حقيقة الصدق ، فقال إذا رمى القطعة من الشدق فأخرجتها من فى ورميتها .

قال المصنف رحمه الله : لا تختلف الفقهاء إن رميه إياها لا يجوز ، والعجب أنه رماها بقول صبي لا يدرى ما قال ، وقد حكى أبو حامد الغزالى ان شقيقا البلخى جاء إلى ابو القاسم الزاهد وفى طرف كسائه شيء مصرور فقال له أى شيء معك قال : لوزات دفعها إلى أخ لى وقال : أحب أن تفطر عليها فقال : يا شقيق وانت تحدث نفسك أن تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً فاغلق الباب فى وجهى ودخل

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إلى هذا الفقيه الدقيق كيف هجر مسلماً على فعل جائز بل مندوب لأن الإنسان مأمور أن يستعد لنفسه بما يفطر عليه واستعداد الشيء قبل مجيء وقته حزم ، ولذلك قال الله عز وجل : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقد ادخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله وادخر الباقى ولم ينكر عليه فالجهل بالعلم أفسد هؤلاء الزهاد ، وبإسناد أحمد بن إسحاق العبادى قال : رأيت بالهند شيخاً وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض إحدى عينيه فقلت له : يا صابر ما بلغ من صبرك قال : إنى عوتبت النظر إلى زينة الدنيا فلم أحب أن أشتفى منها فغمضت عينى منذ ثمانين سنة فلم أفتحها ، وقد حكى لنا عن [illegible] أحد [illegible] وقال : النظر إلى الدنيا يوجب إسراف القلب كأن قصده ان ينظر إلى الدنيا بعين [illegible] ونحن نسأل الله سلامة العقول . وقد حكى يوسف بن أيوب الهمدانى عن شيخه عبد الله الجونى أنه كان يقول هذه اليد ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الحلاوة وقال كنت أخدم فى الجبلاء فبينما أنا يوما أكنسه وأنظفه قالت لى نفسى [illegible] أما تأنف من خدمة عباد الله [illegible] أمر البئر [illegible] وحملت [illegible] فى فمى . فجاءوا وأخرجونى وغسلونى . قلت : أنظروا إلى هذا المسكين كيف اعتقد [illegible] الاصحاب [illegible] وأن [illegible] إنما [illegible] فى فمه وقد نال بذلك فضيلة [illegible] عليها [illegible] الأصحاب وهذا الذى فعله معصية توجب العقوبة

وفى الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخبيطهم . وبإسناد عن محمد بن على الكتانى يقول : دخل الحسين بن منصور مكة فى ابتداء أمره فجهدنا حتى أخذنا مرقعته قال السوسى : أخذنا منها قملة فوزناها فإذا فيها نصف دانق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته قلت : أنظروا إلى هذا الجاهل بالنظافة التى حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المحرم لأجل تأذيه من القمل وجبر الحظر بالفدية وأجهل من هذا من اعتقد هذا رياضته .

وبإسناد عن أبى عبد الله بن ملقح يقول : كان عندنا فقير صوفى فى الجامع فجاع مرة جوعاً شديداً فقال : يا رب إما أن تطعمنى وإما أن ترمينى بشرف المسجد ، فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم ويقول : إيش تبالى بقتل العالم ، قلت : قتل الله هذا ولا أحياه فى مقابلته هذا الاستنباط . هلا قام إلى الكسب أو إلى الكدية . وبإسناد عن غلام خليل قال : رأيت فقيراً يعدو ويلتفت ويقول : اشهدكم على الله هو ذا يقتلنى ، وسقط ميتاً .

(فصل) وفى الصوفية قوم يسمون الملامتيه اقتحموا الذنوب وقالوا : مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع قال : وفى القوم طائفة يطلبون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء ولقد قال رسول الله ﷺ من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وقال فى حق ماعز هلا سترته بثوبك يا هزال ، واجتاز على رسول الله ﷺ بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفية زوجته ، فقال له : أنها صفية وقد علم الناس التجافى عن ما يوجب سوء الظن فإن المؤمنين شهداء الله فى الأرض وخرج حذيفة إلى الجمعة ففاتته فرأى الناس وهم راجعون فاستتر لئلا يسوء ظن الناس به وقد قدمنا هذه . وقال أبو بكر الصديق لرجل قال له : إنى لمست امرأة وقبلتها ، فقال : تب إلى الله ولا تحدث أحداً بذلك وجاء رجل إلى النبى ﷺ وقال : إنى أتيت من امرأة أجنبية ما دون الزنا يا رسول الله قال : ألم تصل معنا قال : بلى يا رسول الله . قال أما تعلم أن الصلاتين تكفران ما بينهما وقال رجل لبعض الصحابة : إنى فعلت كذا وكذا من الذنوب فقال لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك . فهؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ما جبلت عليه النفوس .

(فصل) وقد اندس فى الصوفية أهـل الإباحة فتشبهوا بهم حفظاً لدمائهم وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول ، كفار فمنهم قوم لايقرون بالله سبحانه وتعالى ومنهم من يقر به ولكن يجحد النبوة ويرى أن ما جاء به الأنبياء محال وهؤلاء لما أرادوا أمراح أنفسهم فى شهواتها لم يجدوا شيئا يحقنون به ماءهم ويستترون به وينالون فيه أغراض النفوس ، كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهراً وهم فى الباطن كفرة وليس لهؤلاء إلا السيف لعنهم الله ، والقسم الثانى قوم يقرون بالإسلام إلا أنهم ينقسمون قسمين : القسم الأول يقلدون فى أفعالهم لشيوخهم من غير اتباع دليل ولا شبهة فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوهم عليه ، القسم الثالث قوم عرضت لهم شبهات فعملوا بمقتضاها . والأصل الذى نشأت منه شبهاتهم أنهم لما هموا بالنظر فى مذاهب الناس لبس عليهم إبليس فأراهم أن الشبهة تعارض الحجج وأن التمييز يعسر وأن المقصود أجل من أن ينال بالعلم وإنما الظفر به رزق يساق إلى العبد لابالطلب فسد عليهم باب النجاة الذى هو طلب العلم فصاروا يبغضون إسم العلم كما يبغض الرافضى اسم أبى بكر وعمر ويقولون العلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم فان أنكر عليهم عالم قالوا لأتباعهم هذا موافق لنا فى الباطن وإنما يظهر ضد مانحن فيه للعوام الضعاف العقول فان جد فى خلافهم قالوا : هـذا أبله مقيد بقيود الشريعة محجوب عن المقصود ، ثم عملوا فى شبهات وقعت لهم ولو فطنوا لعلموا أن عملهم بمقتضى شبهاتهم علم ، فقد بطل إنكارهم العلم ، وأنا أذكر شبهاتهم وأكشفها إن شاء الله تعالى وهى ست شبهات :

الشبهة الأولى — أنهم قالوا إذا كانت الأمور مقدرة فى القدم وأن أقواما خصوا بالسعادة ، وأقواما بالشقاوة ، والسعيد لايشقى ، والشقى لايسعد ، والأعمال لاتراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة ، وقد سبقنا وجود الأعمال فلا وجه لاتعاب النفس فى عمل ولا كفها عن ملذوذ لأن المكتوب فى القدم واقع لامحالة .

والجواب فى هذه الشبهة ، أن يقال لهم هذا رد جميع الشرائع وإبطال جميع أحكام الكتب وتبكيت للأنبياء عليهم فيما جاءوا به لأنه إذا قال فى القرآن أن أقيموا الصلاة قال القائل لماذا إن كنت سعيداً فمصيرى إلى السعادة وإن كنت شقياً فمصيرى إلى

الشقاوة فما تنفعني إقامة الصلاة وكذلك إذا قال ولا تقربوا الزنا يقول القائل لماذا أمنع نفسي ملذوذها والسعادة والشقاوة مقضيتان قد فرغ منهما ، وكان لفرعون أن يقول لموسى حين قال له (هل لك إلى أن تزكى) مثل هذا الكلام ثم يترقى إلى الخالق فيقول : ما فائدة ارسالك الرسل وسيجرى ما قدرته . وما يفضى إلى رد الكتاب وتجهيل الرسل محال باطل ، ولهذا كان رد الرسول ﷺ على أصحابه حين قالوا ألا نتكل . فقال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) واعلم أن للآدمى كسباً هو اختياره فعليه [illegible] فاذ [illegible] تبين لنا أن الله عز وجل قضى في السابق بأن يخالفه [illegible] لا عن قضائه ولهذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالعذر ، وإنما [illegible] الرسول من [illegible] إلى العمل لأن الأمر والنهى حال ظاهر والمقدر من ذلك أمر باطن وليس لنا [illegible] ما عرفناه من تكليف ما لا نعلمه من وقول « فكل ميسر لما خلق له » إشارة إلى أسباب القدر ، فانه من قضى له بالعلم يسر له طلبه وحبه وفهمه . ومن حكم له بالجهل نزع حب العلم من قلبه . وكذلك من قضى له بولد يسر له النكاح ، ومن لم تقض له بولد لم ييسر له .

الشبهة الثانية . أنهم قالوا إن الله عز وجل مستغن عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو طاعة فلا ينبغى ان نتعب أنفسنا في غير فائدة .

وجواب هذه الشبهة أن نجيب اولا [illegible] بالجواب الأول . ونقول هذا رد على الشرع فيما أمر به [illegible] الرسول [illegible] لا فائدة فيما أمرنا [illegible] تكلم [illegible] الشبهة [illegible] من يتوهم أن الله جل وعلا ينتفع بطاعة أو يتضرر بمعصية أو ينال بذلك غرضاً فما عرف الله جل جلاله لأنه مقدس عن الاعراض والاغراض ومن انتفاع أو ضرر وإنما نفع الأعمال [illegible] قال عز وجل (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه) وإنما يأمر الطبيب المريض بالحمية لمصلحة المريض لا لمصلحة الطبيب [illegible] مصالح من الأغذية [illegible] مصالح من العلم والجهل والارشاد . العمل والشرع كالطبيب فهو أعرف بما [illegible] به من المصالح . هذا مذهب [illegible] أكثر العلماء قالوا أفعاله لا تعلل ، وجواب آخر وهو أنه إذا كان خفيا من أعمالنا كان خفياً عن معرفتنا له [illegible] أوجب علينا معرفته ،

فكذلك أوجب طاعته ، فينبغي أن تنظر إلى أمره لا إلى الغرض بأمره[١] .

الشبهة الثالثة : قالوا قد ثبت سعة رحمة الله سبحانه وتعالى وهى لاتعجز عنا فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها .

فالجواب كالجواب الأول ، لأن هذا القول يتضمن إطراح ما جاء به الرسل من الوعيد وتهوين ما شددت فى التحذير منه فى ذلك وبالغت فى ذكر عقابه ومما يكشف التلبيس فى هذا ان الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب ونحن نرى الأولياء والأنبياء يبتلون بالأمراض والجوع ويأخذون بالزلل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة ، فالخليل يقول يوم القيامة نفسى نفسى ، والكليم يقول نفسى نفسى ، وهذا عمر رضى الله عنه يقول الويل لعمر ان لم يغفر له واعلم أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها فى أسبابها التوبة من الزلل كما أن من رجا أن يحصد زرع وقد قال الله عز وجل ، (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) يعنى أن الرجاء بهؤلاء يليق وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» وقد قال معروف الكرخى رجاؤك لرحمة من لاتطيعه حذلان وحمق . واعلم أنه ليس فى الأفعال التى تصدر من الحق سبحانه وتعالى ما يوجب أن يؤمن عقابه إنما فى أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن اليأس لما يظهر من لطفه فى خلقه لايحسن الطمع لما يبدو من أخذانه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو بربع دينار لايؤمن أن يكون عقابه غداً هكذا .

الشبهة الرابعة : أن قوما منهم وقع لهم أن المراد رياضة النفوس لتخلص من أكدارها المردية فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء قالوا : مالنا نتعب أنفسنا فى أمر لا يحصل لبشر فتركوا العمل . وكشف هذا التلبيس أنهم ظنوا أن المراد قمع ما فى البواطن من الصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك ، وليس هذا

(١) الجواب الأخير لم يرد فى النسخة الثانية .

راد الشرع ولا يتصور إزالة ما فى الطبع بالرياضة وإنما خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهوة الطعام هلك الإنسان، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل، ولولا الغضب لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يؤذيه وكذلك حب المال مركوز فى الطباع لأنه يوصل إلى الشهوات المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذى من جميع ذلك وردها إلى الاعتدال فيه، وقد مدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهوى وإنما تنتهى عما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الإنسان إلى نهيها، وقد قال الله عز وجل: (والكاظمين الغيظ) وما قال: والفاقدين الغيظ، والكظم رد الغيظ يقال: كظم البعير على جرته إذا ردها فى حلقه فمدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ فمن ادعى أن الرياضة تغير الطباع ادعى المحال وإنما المقصود بالرياضة كسر شرة شهوة النفس والغضب لا إزالة أصلها والمرتاض كالطبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه وعادم الرياضة كالصبي الجاهل يأكل ما يشتهى ولا يبالى بما جنى.

الشبهة الخامسة: أن قوما منهم داموا على الرياضة مدة فرأوا أنهم قد تجوهروا فقالوا: لا نبالى الآن ما عملنا وإنما الأوامر والنواهى رسوم للعوام ولو تجوهروا لسقطت عنهم قالوا: وحاصل النبوة ترجع إلى الحكمة والمصلحة والمراد منها ضبط العوام ولسنا من العوام فندخل فى حجر التكليف لأنا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة وهؤلاء قد رأوا أن من أثر جوهرهم ارتفاع الحمية عنهم حتى أنهم قالوا: أن رتبة الكمال لا تحصل إلا لمن رأى أهله مع أجنبي فلم يقشعر جلده فإن أقشعر جلده فهو ملتفت إلى حظ نفسه ولم يكمل بعد إذ لو كمل لماتت نفسه فسموا الغيرة نفسا وسموا ذهاب الحمية الذى هو وصف المخانيث كمال الإيمان. وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه إلى الريوندية كانوا يستحلون المحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة إلى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته.

وكشف هذه الشبهة أنه مادامت الأشباح قائمة فلا سبيل إلى ترك الرسوم الظاهرة من التعبد فإن هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس، وقد يغلب صفاء القلب على كدر إلا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد فأقل شيء يحركه كالمدرة تقع فى الماء الذى تحته حمأة وما مثل هذا الطبع إلا كالماء يجرى بسفينة النفس والعقل مداد ولو أن المداد مد عشرين فرسخاً ثم أهمل عادت السفينة تنحدر ومن ادعي تغير

طبعه كذب ومن قال إنى لا أنظر إلى المستحسنات بشهوة لم يصدق ، كيف وهؤلاء
لو فاتهم لقمة أو شتمهم شاتم تغيروا فأين تأثير العقل والهوى يقودهم ، وقد رأينا
أقواما منهم يصاخون النساء وقد كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم لا يصافح المرأة
وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يؤاخون النساء ويخلون بهن ثم يدعون السلامة وقد رأوا
أنهم يسلمون من الفاحشة وهيهات فأين السلامة من إثم الخلوة المحرمة والنظر الممنوع
منه وأين الخلاص من جولان الفكر الردىء وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
لو خلا عظمان نخران لهم أحدهما بالاخر ، يشير إلى الشيخ والعجوز . وباسناد عن
ابن شاهين قال ومن الصوفية قوماً أباحوا الفروج بادعاء الاخوة فيقول أحدهم
للمرأة تؤاخينى على ترك الإعتراض فيما بيننا قلت وقد روى لنا أبو عبد الله محمد بن
على الترمذى الحكم فى كتاب رياضة النفوس قال روى لنا أن سهل بن على المروزى
كان يقول لامرأة أخيه وهى معه فى الدار استترى منى زماناً ثم قال لها كونى كيف
شئت قال الترمذى ، وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت ، أما موت الشهوة هذا
لا يتصور مع حياة الآدمى وإنما يضعف والإنسان قد يضعف عن الجماع ولكنه
يشتهى اللمس والنظر ، ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه أليس نهى الشرع عن النظر
والنظر باق وهو عام وقد أخبرنا ابن ناصر باسناد عن أبى عبد الرحمن السلمى قال قيل
لأبى نصر النصراباذى أن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم فى رؤيتهن
فقال ما دامت الأشباح قائمة فان الأمر والنهى باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن
يجترىء على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات وقد قال أبو على الروزبارى وسئل
عمن يقول وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الأحوال فقال قد وصل ولكن
إلى سقر . وباسناد عن الجريرى يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة
فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله
عز وجل فقال الجنيد أن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال وهذه عندى عظيمة
والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا ، وأن العارفين بالله أخذوا
الأعمال عن الله واليه رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام أنقص من أعمال البر ذرة إلا
أن يحال بى دونها لأنه أوكد فى معرفتى به وأقوى فى حالى . وباسناد عن أبى محمد المرتعش

يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعى فلا تقربنه ومن رأيته يدعى حالة باطنة لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه .

الشبهة السادسة : أن أقواما بالغوا فى الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة فاعتقدوا أنهم قد وصلوا إلى المقصود وقد وصلنا فما يضرنا شيء ومن وصل إلى الكعبة انقطع عن السير فتركوا الأعمال إلا أنهم يزينون ظواهرهم بالمرقعة والسجادة والرقص والوجـــد ويتكلمون بعبارات الصوفية فى المعرفة والوجد والشوق وجوابهم هو جواب الذين قبلهم .

قال ابن عقيل اعلم أن الناس شردوا على الله عز وجل وبعدوا عن وضع الشرع الى أوضاعهم المخترعة . فمنهم من عبد سواه تعظيما له عن العبادة وجعلوا تلك وسائل على زعمهم ومنهم من وحد إلا أنه أسقط العباداب وقال : هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف وهذا نوع شرك لأن الله عزوجل لما عرف أن معرفته ذات قعر بعيد وجو عال وبعيد أن يتقى من لم يعرف خوف النار لأن الخلق قد عرفوا قدر لذعها وقال لأهل المعرفة « ويحذركم الله نفسه » وعلم أن المتعبدات أكثرها تقتضى الإنس بالأمثال ووضع الجهات والأمكنه والأبنية والحجارة للانساك والاستقبال فأبان عن حقائق الإيمان به فقال : « وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله » وقال « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها » فعلم أن المعول على المقاصد ولا يكفى بجرد المعارف من غير امتثال كما تعول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية .

وباسناد عن أبى القاسم بن على بن المحسن التنوخى عن أبيه . قال : أخبرنى جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجل يعرف بابن خفيف البغدادى شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه ويتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته ألوف من الناس وأنه فاره فهم حاذق . فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب قال : فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط

بمأتمهن غيرهن ، فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير إلى الدار وأخذ يعزى المرأة بكلام الصوفية إلى أن قالت . قد تعزيت . فقال لها ههنا غير . فقالت لا غير قال فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم ، وتعذيبها بعذاب الهموم ، ولأى معنى نترك الامتزاج لتلتقى الأنوار ، وتصفو الأرواح ويقع الاخلافات وتنزل البركات . قال فقلن النساء إذا شئت . قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحر خرجوا . قال المصنف . قوله ههنا غير أى ههنا غير موافق المذهب . فقالت لا غير أى ليس مخالف وقوله نترك الامتزاج كناية عن الممازجة فى الوطء وقوله لتلتقى الأنوار عندهم أن فى كل جسم نوراً إلهياً . وقوله الاخلافات أى يكون لكنّ خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن . قال المصنف وهذا عندى عظيم ولولا أن جماعة يخبرونى يبعدون عن الكذب ما حكيته لعظمه عندى واستبعاد مثله أن يجرى فى دار الإسلام ، قال : وبلغنى أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا .

(فصل) ولما قل علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال والأقوال ما لا يحل مثل ما ذكرنا ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم وصدر عنهم مثل ما قد حكينا وكان الصالح منهم نادراً ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشائخهم .

وباسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبى . قال : كنا عند مالك فذكرت له صوفيين فى بلادنا فقلت له : يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا . قال ويحك ومسلمين هم قال فضحك حتى استلقى قال فقال لى بعض جلسائه : ياهذا ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأيناه ضاحكا قط .

وباسناد عن يونس بن عبد الأعلى قال سمعت الشافعى يقول : لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتى الظهر حتى يصير أحمق وعنه أيضاً أنه قال : مالزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله إليه أبداً وأنشد الشافعى :

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

وبإسناد عن حاتم قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى . قال : قال أبو سليمان ما رأيت صوفياً فيه خير إلا واحداً عبد الله بن مرزوق . قال وأنا أرق لهم .

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول : ما رأيت صوفياً عاقلا إلا إدريس الخولانى . قال السلمى . هو مصرى من قدماء مشايخهم قبل ذى النون .

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى : يقول صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلا إلا مسلم الخواص . وبإسناد عن أحمد بن أبى الحوارى يقول حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول سمعت عاصماً يقول : مازلنا نعرف الصوفية بالحاق إلا أنهم يستترون بالحديث . وباسناد عن سفيان عن عاصم يقول : قال لى وكيع لم تركت حديث هشام . قلت صحبت قوماً من الصوفية وكنت بهم معجباً . فقالوا . إن لم تمح حديث هشام قاطعنساك فأطعتم : قال إن فيهم حمقاً . وبإسناد عن يحي بن يحي قال الخوارج أحب إلىّ من الصوفية . وباسناد عن يحي بن معاذ يقول اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين ، والفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين . وقد ذكرنا فى أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب . أن الفقهاء بمصر أنكروا على ذى النون ما كان يتكلم به وببسطام على أبى يزيد وأخرجوه ، وأخرجوا أبا سليمان الدارانى ، وهرب من أيديهم أحمد بن أبى الحوارى وسهل التسترى . وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكا بالسنة ولقد حدثنى أبو الفتح بن السامرى . قال : جلس الفقهاء فى بعض الأربطة للعزاء بفقيه مات فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذانى الفقيه متوكئاً على يدى حتى وقف بباب الرباط وقال . يعز علىّ لو رآنى بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وأنا أدخل هذا الرباط . قلت : على هذا كان أشياخنا .

فأما فى زماننا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم قال ابن عقيل : نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها ، منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهى الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات فى المساجد فلا هى مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء ، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسين تلميحاً والمشاوذ بألوان مخصوصة اوقع فى نفوس العوام والنسوة من تلميع السقلاطون بألوان الحرير ، واستمالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس فما دخلوا بيتاً فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبى الأموال

كالعدد والأجناد وأرباب المكوس ، ويستصحبون المرادن فى السماعات يجبلونهم فى الجوع مع ضوء الشموع ، ويخالطون النسوة الأجانب ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة ، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثيـاب من طرب فسقط ثوبه ، ويسمون الطرب وجداً ، والدعوة وقتاً ، واقتسام ثياب الناس حكما ، ولا يخرجون عن بيت دعوا اليه إلا عن إلزام دعوة أخرى يقولون أنها وجبت واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق . ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حـدو الحادى وعند حضور المخدة مجاب اعتقاداً منهم أنه قربة وهذا كفر أيضا لأن من اعتقد المكروه والحرام قربة كان بهذا الاعتقادكافراً والناس بين تحريمه وكراهيته ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم(١) فان عولوا إلى مرتبة شيخه قيل الشيخ لا يعترض عليه . فحد من حل رسن ذلك الشيخ وانحطاطه فى سلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحاً وفى الأفعال المعلومة كونها فى الشريعة فسقا . فان قبّل أمرداً قيل رحمة، وإن خلا بأجنبية قيل بنته وقد لبست الخرقة ، وإن قسم ثوبا على غير أربابه من غير رضا مالكه قبل حكم الخرقة . ولبس لنا شيخ نسلم إليه حاله إذ ليس لنـا شيخ غير داخل فى التكليف وأن المجانين والصبيان يضرب على أيديهم وكذلك البهائم . والضرب بدل من الخطاب ، ولو كان لنا شيخ يسلم إليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضى الله عنه . وقد قال : إن اعوججت فقومونى ولم يقل فسلموا إلى . ثم أنظر إلى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه . فهذا عمر يقول : ما بالنا نقصر وقد أمنا . وآخر يقول : تنهانا عن الوصال وتواصل ؟ وآخر يقول : أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ ! ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة : (أتجعل فيها) ويقول موسى : (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) ، وإنما هـــذه الكلمة جعلها الصوفية ترفيها لقلوب المتقدمين ، وسلطنة سلكوها على الأتباع والمريدين كما قال تعالى : (فاستخف قومه فأطاعوه) ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد إذا عرف لم يضره ما فعل . وهذه نهاية الزندقة لأن الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالة ينتهى إليها العارف إلا ويضيق

---

(١) قوله فإن عولوا إلى قوله فى الشريعة فسقـا غير منتظم والمعنى غير خفى على المتأمل وهذا الجمل غير موجودة فى النسختين .

عليه التكليف كأحوال الأنبياء يضايقون فى الصغائر فالله الله فى الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات . وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوف ، وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع . ولم تتجاسر الزنادقة إن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة .

فأول ماوضعوا أسماء وقالوا : حقيقة وشريعة . وهذا قبيح لأن الشريعة ماوضعه الحق لمصالح الخلق . فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع فى النفوس من إلقاء الشياطين . وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع . وإن سمعوا أحداً يروى حديثا قالوا : مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت فمن قال : حدثنى أبى عن جدى . قلت : حدثنى قلبى عن ربى فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار وأنفقت عليهم لأجلها الأموال ، لأن الفقهاء كالأطباء والنفقة فى ثمن الدواء صعبة والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات . وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقة لأن الفقهاء يحظرونهم بتفاويهم عن ضلالهم وفسقهم . والحق يثقل كما تثقل الزكاة . وما أخف البذل على المغنيات وإعطاء الشعراء على المدائح . وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمر ، بشىء سموه الحشيش والمعجون والغناء المحرم ، سموه السماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دهمثة فى اللبس وطيبة فى العيش وخداع بألفاظ معسولة ليس تحتها سوى إهمال التكليف وهجران الشرع ولذلك خفوا على القلوب ولا دلالة على أنهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات .

قال ابن عقيل : فإن قال قائل هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت وأخلاق قال : فقلت لهم : لو لم يضعوا طريقة يجتذبون بها قلوب أمثالكم لم يدع لهم عيش والذى وصفتهم به رهبانية النصرانية ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد ومخانث بغداد ودماثة المغنيات لعلمت أن طريقهم طريقة الفكاهة والخداع وهل يخدع الناس إلا بطريقة أو لسان فإذا لم يكن للقوم قدم فى العلم ولا طريقة فبم ذا يجتذبون به قلوب أرباب الأموال . واعـــلم أن حمل التكليف صعب ولا أسهل على أهل الخلاعة من

مفارقة الجماعة ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدر عن أوامر الشرع ونواهيه وما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين فهؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهيات شبهات العقول وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان يحبون البطالات وسماع الأصوات وما كان السلف كذلك بل كانوا فى باب العقائد عبيد تسليم وفى الباب الآخر أرباب جد . قال : ونصيحتى إلى إخوانى أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغى مسامعهم إلى خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المنتحلة وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح .

قال ابن عقيل : والمتكلمون عندى خير من الصوفية لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه . فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفارة والنبوات . فاذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا : أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . فقد طعنوا فى النبوات وعولوا على الواقع . ومتى أزرى على طريق سقط الآخذ به . ومن قال حدثنى قلبى عن ربى فقد صرح أنه غنى عن الرسول ، ومن صرح بذلك فقد كفر . فهذه كلمة مدسوسة فى الشريعة تحتها هذه الزندقة ومن رأيناه يزرى على النقل علمنا انه قد عطل أمر الشرع . وما يؤمن هذا القائل : حدثنى قلبى عن ربى أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين فقد قال عز وجل : (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) . وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقى فى قلبه الذى لم تثبت حراسته من الوساوس وهؤلاء يسمون مايقربهم خاطراً . قال والخوارج على الشريعة كثير إلا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين عن الشريعة حفظا لأصلها ، وبالفقهاء لمعانيها : وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً ترتفع .

قال ابن عقيل : والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية قال وأنا أقول وخراب دينه لأن الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقة من الرجال الأجانب فاذا حضروا السماع والطرب فربما جرى فى خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الأشخاص ببعض فصارت الدعوة عرساً للشخصين فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومال طبع إلى طبع وتتغير المرأة على زوجها فإن طابت نفس

الزوج سمى بالديوث وإن حبسها طلبت الفرقة إلى تلبس منه المرقعة والاختلاط بمن لايضيق الخناق ولا يحجر على الطباع . ويقال : تابت فلانة وألبسها الشيخ الخرقة وقد صارت من بناته . ولم يقنعوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون وبرد حكم الكتاب والسنة فى القلوب . هذا كله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه فلقد كان ناقداً مجيداً متلمحاً فقيهاً . أنشدنا أبو على عبيد الله الزاغونى فقال : أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى وأبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكبرى قالا : أنشدنا أبو بكر العنبرى لنفسه فى الصوفية :

تأملت اختيبر المدعين ... بين الموالى وبين العبيد
فألفيت أكثرهم كالسراب ... يروقك منظره من بعيد
فناديت ياقوم من تعبدون ... فكل أشار بقدر الوجود
فبعض أشار إلى نفسه ... واقسم ما فوقها من مزيد
وبعض إلى خرقة رقعت ... وبعض إلى ركوة من جلود
وآخر يعبـــد أهواءه ... وما عابد للهوى بالرشيد
ومجتهـــد وقته زيه ... فإن فات بات بليل عنيد
وذو كلف باستماع السما ... ع بين البسيط وبين النشيد
يئن إذا أومضت رنة ... ويزأر منها زئير الأسود
يخرق خلقانه عامـــداً ... ليعتاض منها بثوب جديد
ويرمى بهيكله فى السعير ... لقلع الثريد وبلع العصيد
فيا للرجال ألا تعجبون ... لشيطان إخواننا ذا المزيد
يخبطهم بفنون الجنون ... وما للمجانين غير القيود
وأقسم ما عرفوا ذا الجلال ... وما عرفوه بغير الجحود
ولولا الوفاء لأهل الوفاء ... سلقتهم بلسان حديد
فمالى يطالبنى بالوصال ... من ليس يعلم ما فى الصدود
اضن بودى ويسخو به ... وقد كنت أسخو به للودود
ولكن إذا لم أجد صاحبا ... يسر صديقى ويشجو الحسود

عطفت بودى منى إليه ... فغاب نحوسى وآب السعود
فما بال قومى على جهلهم ... بعز الفريد وأنس الوحيد
اذا أبصرونى بكوا رحمة ... ونيران أحقادهم فى وقود
لأنى بعدت عن المدعين ... ولو صدقوا كنت غير البعيد

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبا الحسين بن عبد الجبار الصيرفى نا أبو عبد الله محمد ابن على الصورى قال أنشدنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبى قال أنشد الحسن بن على بن سيار :

رأيت قوما عليهم سمة الخـ ... ـير بحمل الركاء مبتهلة
اعتزلوا الناس فى جوامعهم ... سألت عنهم فقيل متكله
صوفية للقضاء صابرة ... ساكنة تحت حكمه بزله
فقلت إذ ذاك هؤلاء هم الـ ... ـناس ومن دون هؤلاء رزله
فلم أزل خادماً لهم زمنا ... حتى تبينت أنهم سفله
ان أكلوا كان أكلهم سرفا ... أو لبسوا كان شهرة مثله
سل شيخهم والكبير مختبرا ... عن فرضه لاتخاله عقله
واسأله عن وصف شادن غنج ... مدلل لا تراه قد جهله
علمهم بينهم إذا جلسوا ... كعلم راعى الرعاع والرذله
الوقت والحال والحقيقة والـ ... ـبرهان والعكس عندهم مثله
قد لبسوا الصوف كى يروا صلحا ... وهم شرار الذباب والحثله
وجانبوا الكسب والمعاش لكى ... يستأصلوا الناس شرها أكله
وليس من عفة ولادعة ... لكن تعجيل راحة العطله
فقل لمن مال باختداعهم ... اللهم تب فإنهم بطله
واستغفر الله من كلامهم ... ولا تعاود لعشرة الجهله

قال الصورى وأنشدنى بعض شيوخنا :

أهل التصوف قد مضوا ... صار التصوف مخرقة
صار التصوف صيحة ... وتواجداً ومطبقه

كذبتك نفسك ليس ذا سنن الطريق الملحقة
حتى تكون بعين من منه العيون المحدقة
تجرى عليك صروفه وهموم سرك مطرقة

أنشدنا محمد بن ناصر قال أنشدنا أبو زكريا التبريزى لأبى العلاء المعرى :

زعموا بأنهم صفوا لمليكهم كذبوك ماصافوا ولكن صافوا
شجر الخلاف قلوبهم ويح لهم غرضى خلاف الحق لا الصفصاف

أنشدنا ابن ناصر أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو اسحاق الشيرازى الفقيه لبعضهم:

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لى

﴿ الباب الحادى عشر ﴾

﴿ فى ذكر تلبيس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات ﴾

قد بينا فيما تقدم أن إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه . ومن العباد من يرى ضوء أو نوراً فى السماء فان كان رمضان قال : رأيت ليلة القدر وإن كان فى غيره قال قد فتحت لى أبواب السماء . وقد يتفق له الشيء الذى يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقاً وربما كان اختباراً وربما كان من خدع إبليس . والعاقل لايساكن شيئاً من هذا ولو كرامة . وقد ذكرنا فى باب الزهاد عن مالك ابن دينار وحبيب العجمى أنهما قالا : أن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز ولقد استغوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه مايشبه الكرامة حتى ادعى النبوة فروى عن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى قال : ثنا محمد بن المبارك ثنا الوليد بن مسلم عن عبدالرحمن بن حسان . قال : كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبى الجلاس وكان له أب بالغوطة تعرض له إبليس وكان متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة وكان إذا أخذ فى التحميد لم يسمع السامعون إلى كلام أحسن من كلامه قال : فكتب إلى أبيه يا أباه : عجل علىّ فانى قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشياطين قال : فزاده أبوه غياً ، وكتب إليه : يابنى أقبل على ما أمرت به إن الله

يقول : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) . ولست بأفاك ولا أثيم فامض لما أمرت به . وكان يجيء إلى أهل المساجد رجلا رجلا فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق إن هو رأى يرضى قبل وإلا كتم عليه ، وكان يريهم الأعاجيب ، كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح . وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء ويقول . أخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير المران فيريهم رجالا على خيل ، فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم ابن مخيمرة فقال له إني نبي فقال له القاسم كذبت يا عدو الله فقال له أبو إدريس بئس ما صنعت إذا لم تلن له حتى تأخذه . الآن يفر وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره فبعث عبد الملك في طلبه فلم يقدر عليه . وخرج عبد الملك حتى نزل العنيبرة(١) فاتهم عامة عسكر بالحارث أن يكونوا يرون رأيه وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس واختفى وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ في التحميد وأخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل . فقال : إن كلامك لحسن ولكن لي في هذا نظر . قال فانظر . فخرج البصري ثم عاد اليه فرد عليه كلامه فقال إن كلامك لحسن وقد وقع في قلبي وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم . فأمر أن لا يحجب عنه متى أراد الدخول فأقبل البصري يتردد إليه ويعرف مداخله ومخارجه وأن يهرب حتى صار من أخبر الناس به . ثم قال له : ائذن لي فقال إلى أين قال إلى البصرة فأكون أول داع لك بها . قال فأذن له فخرج مسرعاً إلى عبد الملك وهو بالصنيبرة فلما دنا من سرادقه صاح النصيحة النصيحة . فقال أهل العسكر . وما نصيحتك قال نصيحة لأمير المؤمنين فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه فدخل وعنده أصحابه قال فصاح النصيحة قال وما نصيحتك قال . اخلني لايكن عندك احد فأخرج من في البيت وقال له ادنني قال أدن فدنا وعبد الملك على السرير قال ما عندك قال الحارث فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال أين هو وقال : يا أمير المؤمنين

---

(١) هكذا في نسخة وفي نسخة أخرى الصنيبرة بصاد مهملة وقد ضبطت بيد والصم والله أعلم .

هو ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به فقال أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا ههنا فمرنى بما شئت . قال : ياأمير المؤمنين ابعث معى قوما لا يفهمون الكلام فأمر أربعين رجلا من فرغانة فقال انطلقوا مع هذا فما أمركم به من شيء فأطيعوه ، قال : وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلاناً هو الأمير عليك حتى يخرج فأطعمه فيما أمرك به . فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب فقال مرنى بما شئت . فقال : اجمع لى كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وادفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياه فاذا قلت : أسرجوا أسرجوا جميعا فرتبهم فى أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصرى إلى منزل الحارث فأتى الباب فقال للحاجب استأذن لى على نبى الله قال فى هذه الساعة مايؤذن عليه حتى يصبح قال أعلمه أنى ما رجعت إلا شوقا اليه قبل أن أصل فدخل عليه وأعلمه بكلامه فأمره بفتح الباب . قال : ثم صاح البصرى أسرجوا الشموع فأسرجت حتى كانت كالنهار ثم من مر بكم فاضبطوه كائنا من كان ودخل هو إلى الموضع الذى يعرفه فطلبه فلم يجده فقال أصحاب الحارث هيهات تريدون تقتلون نبى الله قد رفع إلى السماء . قال فطلبه فى شق قد هيأه سربا فأدخل البصرى يده فى ذلك السرب فإذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه إلى خارج ثم قال للفرغانيين اربطوه فربطوه . فبينما هم يسيرون به على البريد إذ قال : أتقتلون رجلاأن يقول ربى الله . فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم هذا كرامتنا فهات كرامتك أنت وساروا به حتى أتوا به عبد الملك فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلا فطعنه فلما صار إلى ضلع من أضلاعه فانكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون . الأنبياء لايجوز فيهم السلاح . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى اليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها فقتله ، قال الوليد : بلغنى أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك ابن مروان فقال لو حضرتك ماأمرتك بقتله . قال ولم . قال إنما كان به المذهب فلو جوعته ذهب عنه . وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء قال لما حمل الحارث على البريد وجعلت فى عنقه جامعة من حديد وجمعت يده إلى عنقه فأشرف على عقبة بيت المقدس تلى هذه الآية (قل ان ضللت فإنما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى إلى ربى) .

فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض فوثب الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليه ثم ساروا به فلما أشرفوا على عقبة.أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الأرض فأعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجالا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصلب . وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت فتكلم الناس وقالوا ما ينبغى لمثل هذا أن يقتل ثم أتاه حرسى برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه . وسمعت من قال: قال عبد الملك للذى ضربه بالحربة لما انثنت أذكرت الله حين طعنته قال نسيت قال فاذكر الله ثم اطعنه فذكر الله ثم طعنه فأنفذها .

(فصل) وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا باسناد عن حسن عن أبى عمر قال : قال لى فرقد . ياأباعمران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضريبتى وهى ستة دراهم وقد أهل الهلال وليست عندى فدعوت فبينما أنا أمشى على شط الفرات إذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزنتها فاذا هى ستة لاتزيد ولا تنقص . فقال تصدق بها فانها ليست لك . قلت : أبو عمران هو إبراهيم النخعى فقيه أهل الكوفة . فانظروا إلى كلام الفقهاء وبعدالاغترار عنهم . وكيف أخبره انها لقطة ولم يلتفت إلى مايشبه الكرامة . وإنمالم يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لايجب التعريف لمادون الدينار . وكأنه إنما أمره بالتصدق لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وإنفاقها . وبإسناد عن إبراهيم الخراسانى أنه قال : احتجت يوما إلى الوضوء فإذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة رأسه ألين من الخز فاستكت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت . قلت : فى هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فإن صحت دلت على قلة علم هذا الرجل إذ لوكان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لايجوز ولكن قل علمه فاستعمله . وإن ظن أنه كرامة والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعا إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان وذكر محمد بن أبى الفضل الهمذانى المؤرخ قال حدثنى أبى قال كان السمرقانى المقرى يقرأ على ابن العلاف وكان يأوى إلى المسجد بدرب الزعفرانى واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم فى وقت مجاعة وقد نزل إلى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمى به أصحابه وجعل يأكله فشق ذلك عليه وأتى إلى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله فتقدم

الى غلام بالقرب إلى المسجد الذى يأوى إليه السرمقانى أن يعمل لبابه مفتاحا من غير أن يعلمه ففعل وتقدم إليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً سميداً ومعها دجاجة وحلوى سكراً ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام . فأتى السرمقانى فى أول يوم فرأى ذلك مطروحاً فى القبلة ورأى الباب مغلقاً فتعجب . وقال فى نفسه : هذا من الجنة ويجب كتمانه وأن لاأتحدث به فإن من شرط الكرامة كتمانها وأنشدنى :

من أطلعوه على سر فباح به   لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

فلما استوت حالته وأخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به وقصد المزاح معه . فأخذ يورى ولا يصرح ، ويكنى ولا يفصح . ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذى يجده فى المسجد كرامة إذ لا طريق لمخلوق عليه . فقال له ابن العلاف : يجب أن تدعو لابن المسلمة فإنه هو الذى فعل ذلك . فنغص عيشه بأخباره وبانت عليه شواهد الإنكسار .

(فصل) ولما علم العقلاء شدة تلبيس إبليس حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة وخافوا أن تكون من تلبيسه . روينا بإسناد عن أبى الطيب يقول : سمعت زهرون يقول : كلمنى الطير وذاك أنى كنت فى البادية فتهت فرأيت طائراً أبيض فقال لى : يا زهرون أنت تائه . فقلت : يا شيطان غر غيرى . فقال لى : أنت تائه . فقلت : يا شيطان غر غيرى فوثب فى الثالثة وصار على كتفى . وقال : ما أنا بشيطان أنت تائه أرسلت إليك ثم غاب عنى . وبإسناد عن محمد ابن عبد الله القرشى قال : حدثنى محمد ابن يحيى بن عمرو قال : حدثتنى زلفى قالت : قلت لرابعة العدوية ياعمة لم لاتأذنين للناس يدخلون عليك قالت : وما أرجو من الناس إن أتونى حكوا عنى ما لم أفعل . قال القرشى : وزادنى غير أبى حاتم أنها قالت : يبلغنى أنهم يقولون إنى أجد الدراهم تحت مصلاى ، ويطبخ لى القدر بغير نار . ولو رأيت مثل هذا فزعت منه . قالت : فقلت لها : إن الناس يكثرون فيك القول . يقولون إن رابعة تصيب فى منزلها الطعام والشراب . فهل تجدين شيئاً فيه . قالت : يابنت أخى لو وجدت فى منزلى شيئاً ما مسسته ولا وضعت يدى عليه . قال القرشى : وحدثنى محمد بن إدريس قال : قال محمد ابن عمرو وحدثتنى زلفى عن رابعة إنها أصبحت يوماً صائمة فى يوم بارد قالت : فنازعتنى نفسى

إلى شيء من الطعام السخن أفطر عليه وكان عندى شحم فقلت : لو كان عندى بصل أو كراث عالجته فإذا عصفور قد جاء فسقط على المثقف فى منقاره بصلة . فلما رأيته أضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان . وبالإسناد عن محمد بن يزيد . قال : كانوا يرون لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه . وقال قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان وبالإسناد عن أبى عثمان النيسابورى يقول : خرجنا جماعة مع أستاذنا أبى حفص النيسابورى إلى خارج نيسابور فتكلم الشيخ علينا فطابت أنفسنا ثم بصرنا فإذا بأيل[1] قد نزل من الجبل حتى برك بين يدى الشيخ فأبكاه ذلك بكاء شديداً . فلما سكن سألناه فقلت : يا أستاذ تكلمت علينا فطابت قلوبنا . فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك ازعجك وأبكاك . فقال : نعم رأيت اجتماعكم حولى وقد طابت قلوبكم فوقع فى قلبى لو أن شاة ذبحتها ودعوتكم عليها . فما تحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدى فخيل لى أنى مثل فرعون الذى سأل ربه أن يجرى له النيل فأجراه . قلت : فما يؤمننى أن يكون الله تعالى يعطينى كل حظ لى فى الدنيا وأبقى فى الآخرة فقيراً لا شيء لى . فهذا الذى أزعجنى .

(فصل) وقد لبس إبليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات فى كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل . أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه قال نا محمد بن محمد الحافظ قال نا عبيد الله بن محمد الفقيه قال أحمد بن عبيد الله بن الحسن الآدمى قال حدثنى أبى قال : قال سهل بن عبد الله قال عمرو بن واصل كذا فى الرواية والصواب قال عمرو بن واصل قال سهل بن عبد الله صحبت رجلا [illegible] فى طريق مكة فنالته فاقة ثلاثة أيام فعدل إلى مسجد فى أصل جبل [illegible] بكرة وحبل ودلو ومطهرة وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمل فأقام فى المسجد إلى المغرب . فلما دخل الوقت إذا بأربعين رجلا عليهم المسوح وفى أرجلهم نعال الخوص قد دخلوا المسجد فسلموا وأذن أحدهم وأقام الصلاة وتقدم فصلى بهم . فلما فرغ من

---

(١) الأيل بضم الهمزة وكسرها والياء فيها مشددا التيس الجبلى .

صلاته تقدم إلى الشجرة فإذا فيها أربعون رمانة غضة طرية فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف . قال وبت على فاقتى فلما كان فى الوقت الذى أخذوا فيه الرمان أقبلوا أجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان قلت يا قوم أنا أخوكم فى الإسلام وبى فاقة شديدة فلا كلمتمونى ولا واسيتمونى فقال رئيسهم إنا لا نكلم محجوباً بما معه فامض واطرح ما معك وراء هذا الجبل فى الوادى وارجع إلينا حتى تنال ما ننال قال فرقيت الجبل فلم تسمح نفسى برمى ما معى فدفنته ورجعت . فقال لى : رميت ما معك . قلت نعم . قال : فرأيت شيئاً قلت . لا ، قال ما رميت شيئاً إذن فارجع فارم به فى الوادى فرجعت ففعلت . فإذا قد غشينى مثل الدرع نور الولاية فرجعت فإذا فى الشجرة رمانة فأكلتها واستقللت بها من الجوع والعطش ولم ألبث دون المضى إلى مكة فإذا أنا بالأربعين بين زمزم والمقام فأقبلوا إلى بأجمعهم يسألونى عن حالى ويسلمون على . فقلت : قد غنيت عنكم وعن كلامكم آخراً كما أغناكم الله عن كلامى أولا فما فى لغير الله موضع .

قال المصنف رحمه الله : عمرو بن واصل ضعفه ابن أبى حاتم . والآدمى وأبوه مجهولان . ويدل على إنها حكاية موضوعة قولهم اطرح ما معك لأن الأولياء لا يخالفون الشرع والشرع قد نهى عن إضاعة المال . وقوله غشينى نور الولاية فهذه حكاية مصنوعة وحديث فارغ ومثل هذه الحكاية لا يغتر بها من شم رائحة العلم إنما يغتر بها الجهال الذين لا بصيرة لهم . أخبرنا محمد بن ناصر قال نا السلكى قال : سمعت محمد ابن على الواعظ قال : وفيما أفادنى بعض الصوفية حاكياً عن الجنيد قال : قال أبو موسى الديبلى ، دخلت على أبى زيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب فقال لى تعالى ثم قال إن رجلا سألنى عن الحياء فتكلمت عليه بشىء من علم الحياء فدار دوراناً حتى صار كذا كما ترى وذاب قال الجنيد وقال أحمد بن حضرويه . بقى منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فصاً فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شىء ، قلت وهذه المحالة القبيحة التى وضعوها الجهال ولولا أن الجهالة يروونها مسندة فيظنونها شيئاً لكان الاضراب عن ذكرها أولى . أنبانا أبو بكر ابن حبيب قال نا ابن أبى صادق قال ثنا ابن باكويه قال ثنا أبو حنيفة البغدادى قال

ثنا عبد العزيز البغدادى قال كنت أنظر فى حكايات الصوفية فصعدت يوما السطح فسمعت قائلا يقول (وهو يتولى الصالحين) فالتفت فلم أر شيئاً فطرحت نفسى من السطح فوقفت فى الهواء .

قال المصنف رحمه الله : هذا كذب محال لا يشك فيه عاقل فلو قدرنا صحته فان طرح نفسه من السطح حرام وظنه أن الله يتولى من فعل المنهى عنه فقد قال تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فكيف يكون صالحاً وهو يخالف ربه وعلى تقدير ذلك فمن أخبره أنه منهم وقد تقدم قول عيسى صلوات الله عليه الشيطان لما قال له الق نفسك . قال إن الله يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه .

(فصل) وقد اندس فى الصوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا فى الكرمات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم وقد روينا عن الحلاج أنه كان يدفن شيئا من الخبز والشواء والحلوى فى موضع من البرية ويطلع بعض أصحابه على ذلك فاذا أصبح قال لأصحابه إن رأيتم أن نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشى والناس معه فاذا جاءوا إلى ذلك المكان قال له صاحبه الذى أطلعه على ذلك نشتهى الآن كذا وكذا فيتركهم الحلاج وينزوى عنهم إلى ذلك المكان فيصلى ركعتين ويأتيهم بذلك . وكان يمد يده إلى الهواء ويطرح الذهب فى أيدى الناس ويمخرق . وقد قال له بعض الحاضرين يوما . هذه الدراهم معروفة ولكن اؤمن بك إذا أعطيتنى درهما عليه اسمك واسم أبيك وما زال يمخرق إلى وقت صلبه .

حدثنا أبو منصور القزاز قال نا أبو بكر بن ثابت نا عبد الله بن أحمد ابن عمار الصيرفى ثنا أبو عمرو بن حيوة . قال : لما أخرج حسين الحلاج للقتل مضيت فى جملة الناس فلم أزل أزاحم حتى رأيته . فقال لأصحابه . لا يهولنكم هذا فانى عائد اليكم بعد ثلاثين يوما . وكان اعتقاد الحلاج اعتقاداً قبيحاً . وقد بينا فى أول هذا الكتاب شيئا من اعتقاده وتخليطه وبينا أنه قتل بفتوى فقهاء عصره . وقد كان فى المتأخرين من يطلى بدهن الطلق ويقعد فى التنور ويظهر أن هذا كرامة . قال ابن عقيل . وكان ابن الشباس وأبوه قبله لهم طيور سوابق أصدقاء فى جميع البلاد فينزل بهم قوم فيرفع طائراً فى الحال إلى قريتهم يخبر بخبر من له هناك ينزولهم ويستعلمه من أحوالهم وما تجدد هناك بعدهم

قبل أن يجتمع عليهم ويستعلم حالهم فيكتب ذلك اليه الجواب ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث ويحدثهم بأحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم فى بلادهم ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفى يومه ذلك فيقول : الساعة تجدد كذا وكذا فيدهشون ويرجعون إلى رستاقهم فيجدون الأمر على ما قال ويتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعى على أنه يعلم الغيب . قال : وما كان يفعله أنه يأخذ طير عصفور ويشد فى رجله تلفكا ويجعل فى التلفك بطاقة صغيرة ويشد فى رجل حمامة تلفكا ويشد فى طرف التلفك كتابا أكبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيد ويأخذ غلاما له فى السطح[1] والحمامة بيد آخر فيه ما فى تلك البطاقة الصغيرة ويطلق الطائر العصفور فينظر الناس الكتاب وهو طائر فى الهواء فيروح الحمام إلى تلك القرية فيأخذه صديقه الذى هناك ثم يخبره بجميع أمور القرية وأصحابها فلما يتكامل مجلسه بالناس يشير وينادى يابارش كأنه يخاطب شيطاناً اسمه بارش ويقول خذ هذا الكتاب إلى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة فاجتهد فى اصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذى فى يده فيرفع الكتاب نحو السماء بحضرة الجماعة يرونه عياناً عن غير أن يرون التلفك فاذا ارتفع الكتاب جذبه الغلام المقيد بالعصفور وقطع التلفك حتى لا يرى ويرسل العصفور إلى تلك القرية ليصلح الأمر وكذلك يفعل بالحمامة ثم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذى فى السطح الذى قد جاءه خبر مافى القرية التى هؤلاء منها ثم يكتب كتابا إلى دهقان تلك القرية فيشد به بلفكا ويجعله فى رجل عصفور كما قدمنا ويطلقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده فى رجل طير حمام فيروح إلى تلك القرية بذلك الكتاب فيصلح بين الناس الذين قد أتاه خبرهم بالمشاجرة فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجدون كتاب الشيخ قد وصل لهم وقد اجتمع دهاقين القرية وأصلحوا بينهم فيجىء ذلك فيخبرهم فلا يشكون فى ذلك أنه يعلم الغيب ويتحقق هذا فى قلوب العوام .

قال ابن عقيل : وإنما أوردت مثل هذا ليعلم أنه قد ارتفع القوم إلى التلاعب

---

(١) الغلام فى بعض النسخ هكذا بالنصب وفى بعض بالرفع وعلى كل المعنى ظاهر وهو أن ابن الشباس كان يتخذ غلاما فى السطح لأجل ما ذكر .

بالدين فأى بقاء للشريعة مع هذا الحال . قلت : وابن الشباس هذا كان يكنى أبا عبد الله والشباس هو أبوه كان يكنى أبا الحسن واسم الشباس علي بن الحسين محمد بن البغدادى توفى بالبصرة سنة أربع وأربعين وأربع مائة وكان الشباس وأبوه وعمه مستقرين بالبصرة . وكانت مذاهبهم تخفى على الناس إلا أن الأغلب أنهم كانوا من الشيعة الإمامية والغلاة الباطنية وقد ذكرت فى التاريخ عن ابن الشباس أن بعض أصحابه اكتشفت له نار بخياته وزخارفه وكانت تخفى على الناس إلى أن كشفها بعض أصحابه من الشيعة الإمامية الباطنية للناس فلما كشفها للناس وبينها فكان مما حدث به عنه أنه قال : حضرنا يوما عنده فأخرج جديا مشويا فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه ولا نهشمها فلما فرغنا أمر بردها إلى التنور وترك على التنور طبقا ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جدياً حياً يرعى حشيشاً ولم نر للنار أثراً ولا للرماد ولا للعظام خبراً . قال : فتلطفت حتى عرفت ذلك وذلك أن التنور يفضى إلى سرداب وبينهما طبق نحاس بلولب فإذا أراد إزالة النار عنه فركه فينزل عليه فيسده وينفتح السرداب وإذ أراد أن يظهر النار أعاد الطبق إلى فم السرداب فترى للناس .

قال المصنف رحمه الله : وقد رأينا فى زماننا من يشير إلى الملائكة ويقول : هؤلاء ضيف مكرمون يوهم أن الملائكة قد حضرت ويقول لهم : تقدموا الى . وأخذ رجل فى زماننا أبريقاً جديداً فترك فيه عسلا فتشرب فى الخزف طعم العسل واستصحب الأبريق فى سفره فكان إذا غرف به الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طعم العسل وما فى هؤلاء من يعرف الله ولا يخاف فى الله لومة لائم نعوذ بالله من الخذلان .

﴿ الباب الثانى عشر فى ذكر تلبيس إبليس على العوام ﴾

قد بينا أن إبليس إنما يقوى تلبيسه على قدر قوة الجهل وقد أفتن فيما فتن به العوام وحصر ما فتنهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرته وإنما نذكر من الأمهات ما يستدل به على جنسه والله الموفق . فمن ذلك أنه يأتى إلى العامى فيحمله على التفكر فى ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تسألون حتى تقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله » قال أبو هريرة : فوالله إنى لجالس يوماً إذ قال لى رجل من أهل

العراق : هـــذا الله خلقنا فمن خلق الله . قال أبو هريرة : فجعلت أصبعى فى أذنى ثم صحت ـ صدق رسول الله ـ الله الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

وباسناد عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك ، فيقول الله ، فيقول ، من خلق السموات والأرض ، فيقول الله فيقول من خلق الله ، فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله .

قال المصنف رحمه الله : وإنما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس وهو أنه ما رأى شيئا إلا مفعولا ، وليقل لهذا العامى ألست تعلم أنه خلق الزمان لا فى الزمان والمكان لا فى المكان فاذا كانت هذه الأرض وما فيها لا فى مكان ولا تحتها شىء وحسك ينفر من هذا لأنه ما ألف شيئا الا فى مكان فلا يطلب بالحس من لا يعرف بالحس . وشاور عقلك فانه سليم المشاورة . وتارة يلبس إبليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه . وتارة يلبس عليهم من جهة العصبية للمذاهب فترى العامى يلاعن ويقاتل فى أمر لا يعرف حقيقته . فمنهم من يخص بعصبيته ابا بكر رضى الله عنه . ومنهم من يخص عليا . وكم قد جرى فى هذا من الحروب وقد جرى فى هذا بين أهل الكوخ وأهل باب البصرة على مر السنين من القتل وإحراق المحال ما يطول ذكره وترى كثيراً ممن يخاصم فى هذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس وأبو بكر وعلى بريئان منهم . وقد يحس العامى فى نفسه نوع فهم فيسول له إبليس مخاصمة ربه فمنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب . ومنهم من يقول لم ضيق رزق المتقى وأوسع على العاصى . ومنهم طائفة تشكر على النعم فاذا جاء البلاء اعترض وكفر . ومنهم من يقول أى حكمة فى هدم هذه الأجساد يعذبها بالفناء بعد بنائها . ومنهم من يستبعد البعث . ومن هؤلاء من يختل عليه مقصوده و يبتلى ببلاء فيكفر ويقول أنا ما أريد أصلى . وربما غلب فاجر نصرانى مؤمناً فقتله أو ضربه فيقول العوام قد غلب للصليب . ولماذا نصلى إذا كان الأمر كذلك . وكل هذه الآفات تمكن بها منهم إبليس لبعدهم عن العلم والعلماء فلو أنهم استفهموا أهل العلم لأخبروهم ان الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبقى مع هذا اعتراض .

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يرضى عن عقل نفسه يبالى بمخالفة العلماء فتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدح فيهم . وقد كان ابن عقيل يقول : قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدى فى صنعة صانع لقال أفسدتها على ، فلو قلت أنا رجل عالم لقال بارك الله فى علمك ليس هذا من شغلك . هذا ، وشغله أمر حسى لو تعاطيته فهمته ، والذى أنا فيه من الأمور أمر عقلى فإذا أفتيته لم يقبل .

(فصل) ومن تلبيسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه خصوصا إذا طأطأ رأسه وتخشع لهم ويقولون ، أين هذا من فلان العالم ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبه ولا رطبه ولا يتزوج قط جهلا منهم بفضل العلم على الزاهد وإيثاراً للمتزهدين على شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله ﷺ إذ لو رأوه يكثر التزويج ويصطفى السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل لم يعظم فى صدورهم .

(فصل) ومن تلبيسه عليهم قدحهم فى العلماء بتناول المباحات وذلك من أقبح الجهل . وأكثر ميلهم إلى الغرباء فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم ممن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته فيميلون إلى الغريب ولعله من الباطنية . وإنما ينبغى تسليم النفوس إلى من خبرت معرفته قال الله عز وجل (فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم) ومنّ الله سبحانه فى إرسال محمد ﷺ إلى الخلق بأنهم يعرفون حاله فقال عز وجل (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) وقال (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) .

(فصل) وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين إلى قبول دعاويهم وإن خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها . فترى المتنمس يقول للعامى : أنت فعلت بالأمس كذا وسيجرى عليك كذا فيصدقه ويقول : هذا يتكلم على الخاطر ولا يعلم أن ادعاء الغيب كفر . ثم يرون من هؤلاء المتنمسين أموراً لا تحل كمؤاخاة النساء والخلوة بهن ولا ينكرون ذلك تسليما لهم أحوالهم .

(فصل) ومن تلبيسه على العوام إطلاقهم أنفسهم فى المعاصى فإذا وبخوا تكلموا

كلام الزنادقة . فمنهم من يقول : لا أترك نقداً لنسيئه . ولو فهموا لعلموا أن هذا ليس بنقد لأنه محرم وإنما يخير بين النقد والنسيئة المباحين فمثلهم كمثل محموم جاهل يأكل العسل فإذا عوتب قال : الشهوة نقد والعافية نسيئة . ثم لو علموا حقيقة الإيمان لعلموا أن تلك النسيئة وعد صادق لا يخلف . ولو عملوا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلموا أن ما تركوه قليل وما يرجونه كثير . ولو أنهم ميزوا بين ما آثروا وما أفاتوا أنفسهم لرأوا تعجيل ما تعجلوا إذا فاتهم الربح الدائم وأوقعهم فى العذاب الذى هو الخسران المبين الذى لا يتلافى . ومنهم من يقول الرب كريم والعفو واسع والرجاء من الدين فيسمون تمنيهم واغترارهم رجاء وهذا الذى أهلك عامة المذنبين . قال أبو عمرو بن العلاء : بلغنى أن الفرزدق جلس إلى قوم يتذكرون رحمة الله فكان أوسعهم فى الرجاء صدرا فقالوا له : لم تقذف المحصنات . فقال : أخبرونى لو أذنبت إلى ولدىّ ما أذنبته إلى ربى عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقذفانى فى تنور مملوءاً جمرا . قالوا : لا إنما كانا يرحمانك . قال : فانى أوثق برحمة ربى منهما . قلت : وهذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم . وبإسناد عن عباد قال الأصمعى : كنت مع أبى نواس بمكة فإذا أنا بغلام أمرد يستلم الحجر الأسود . فقال لى أبى نواس : والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر الأسود . فقلت : ويلك اتق الله عز وجل فإنك ببلد حرام وعند بيته الحرام فقال : مامنه بد . ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يستلمه فبادر أبو نواس فوضع خده على خد الغلام فقبله وأنا أنظر فقلت : ويلك أفى حرم الله عز وجل . فقال : دع ذا عنك فإن ربى رحيم ثم أنشد يقول :

وعاشقان التف خداهما   عند استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأثما   كأنما كانا على موعـــد

قلت : أنظروا إلى هذه الجرأة التى نظر فيها إلى الرحمة ونسى شدة العقاب بانتهاك تلك الحرمة وقد ذكرنا فى أول الكتاب هذا أن رجلا زنى بامرأة فى الكعبة فمسخا حجرين . ولقد دخلوا على أبى نواس فى مرض موته فقالوا له : تب إلى الله عز وجل

فقال : إياى تخوفون حدثنى حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل نبى شفاعتى وإنى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ، أفترى لا أكون أنا منهم » .

قال المصنف رحمه الله : وخطأ هذا الرجل من وجهين . أحدهما : أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب . والثانى : أنه نسى أن الرحمة إنما تكون فسائب كما قال عز وجل : (وإنى لغفار لمن تاب) وقال : (ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) وهذا التلبيس هو الذى يهلك عامة العوام وقد كشفناه فى ذكر أهل الإباحة .

(فصل) ومن العوام من يقول : هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمرى أما قريب وكشف هذا التلبيس أن الجاهل والعالم فى باب التكليف سواء فغلبه الهوى للعالم لا يكون عذراً للجاهل . وبعضهم يقول : ما قدر ذنبى حتى أعاقب . زمن أنا حتى أؤاخذ ، وذنبى لا يضره وطاعتى لا تنفعه وعفوه أعظم من جرمى كما قال قائلهم :

من أنا عند الله حتى إذ أذنبت لا يغفر لى ذنبى

وهذه حماقة عظيمة كأنهم اعتقدوا أنه لا يؤاخذ إلا ضداً أو نداً . ثم ما علموا أنه بالمخالفة قد صاروا فى مقام معاند . وسمع بن عقيل رحمه الله رجلا يقول : من أنا حتى يعاقبنى الله . فقال له : أنت الذى لو أمات الله جميع الخلائق وبقيت أنت لكان قوله تعالى : (يا أيها الناس) خطاباً لك . ومنهم من يقول : سأتوب وأصلح ، وكم من ساكن الأمل من أبله فاختطفه الموت قبله ، وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب . وربما لم تتهيأ التوبة وربما لم تصح وربما لم تقبل ثم لو قبلت بقى الحياء من الجناية أبداً . فرارة خاطر المعصية حتى تذهب أسهل من معاناة التوبة حتى تقبل . ومنهم من يتوب ثم ينقض فيلج عليه إبليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه وبإسناد عن الحسن أنه قال : إذا نظر إليك الشيطان ورآك على غير طاعة الله تعالى فنعاك وإذا رآك مداوما على طاعة الله ملك ورفضك وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك .

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أن يكون لأحدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول أنا من أولاد أبو بكر . وهذا يقول : أنا من أولاد على . وهذا يقول : أنا شريف من أولاد الحسن أو الحسين أو يقول : أنا قريب النسب من فلان العالم أومن فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين . أحدهما أنهم يقولون من أحب إنسانا أحب أولاده وأهله . والثانى : أن هؤلاء : لهم شفاعة وأحق من شفعوا فيه أهلهم وأولادهم وكلا الأمرين غلط أما المحبة فليست محبة الله عز وجل كمحبة الآدميين وإنما يحب من من أطاعه فإن أهل الكتاب من أولاد يعقوب ولم ينتفعوا بآبائهم ولو كانت محبة الأب تسرى لسرى إلى البعض أيضا . وأما الشفاعة فقد قال الله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) ولما أراد نوح حمل ابنه فى السفينة قيل له « إنه ليس من أهلك » ولم يشفع إبراهيم فى أبيه ولا نبينا فى أمه وقد قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضى الله عنها . « لا أغنى عنك من الله شيئاً » ، ومن ظن أنه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه .

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أن يعتمد أحدهم على خلة خير ولا يبالى بما فعل بعدها فنهم من يقول : أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ثم لا يتحاشى عن المعاصى . وكشف هذا التلبيس أن يقال له إن الاعتقاد فرض والكف عن المعاصى فرض آخر فلا يكفى أحدهما عن صاحبه . وكذلك تقول الروافض : نحن يدفع عنا مولاة أهل البيت وكذبوا فإنه إنما يدفع التقوى . ومنهم من يقول أنا ألازم الجماعة وأفعل الخير وهذا يدفع عنى وجوابه كجواب الأول .

(فصل) ومن هذا الفن تلبيسه على العيارين فى أخذ أموال الناس فإنهم يسمون بالفتيان ويقولون : الفتى لا يزنى ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس وينسون ثقل الأكباد على الأموال ويسمون طريقتهم الفتوة . وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون إلباس السراويل للداخل فى مذهبهم كإلباس الصوفية للمريد المرقعة وربما يسمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمة وزر لا تصح وربما كانت من محرض فقتلها ويدعون أن هذه فتوة وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب . وبإسناد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل

.نه كان يقول : كنت كثيراً أسمع والدى أحمد بن حنبل يقول : رحم الله أبا الهيثم . فقلت من أبو الهيثم ؟ فقال أبو الهيثم الحداد : لما مددت يدى إلى العقاب وأخرجت للسياط إذا أنا بإنسان يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى : تعرفنى قلت لا ، قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين إنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت فى طاعة الرحمن لأجل الدين ، قلت : أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد : وكان يضرب المثل بصبره . وقال له المتوكل ما بلغ من جلدك قال املأ لى جرابى عقارب ثم ادخل يدى فيه وأنه ليؤلمنى ما يؤلمك وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط ولو وضعت فى فى خرقة وأنا أضرب لاحترقت من حرارة ما يخرج من جوفى ولكننى وطنت نفسى على الصبر ، فقال له الفتح ويحك مع هذا اللسان والعقل مايدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل . فقال أحب الرياسة . فقال المتوكل نحن خليدية . وقال الفتح أنا خليدى . وقال رجل لخالد ياخالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب . فقال بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم . وقال داود بن على لما قدم بخالد اشتهيت أن أراه فمضيت إليه فوجدته جالساً غير متمكن لذهاب لحم إليتيه من الضرب وإذا حوله فتيان فجعلوا يقولون . ضرب فلان ، وفعل بفلان كذا ، فقال لهم لا تتحدثون عن غيركم افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم غيركم .

قال المصنف رحمه الله : فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الأجر والعجب أنهم يظنون لحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم .

(فصل) ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض . مثل أن يحضر المسجد قبل الأذان ويتنفل فإذا صلى مأموما سابق الإمام . ومنهم من لا يحضر فى أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب . ومنهم من يتعبد ويبكى وهو مصر على الفواحش لايتركها . فإن قيل له قال : سيئة وحسنة والله غفور رحيم وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر مما يصلح ورأيت رجلا منهم قد حفظ القرآن وتزهد ثم حب نفسه وهذا من أفحش الفواحش .

(فصل) وقد لبس إبليس على خلق كثير من العـوام يحضرون مجالس الذكر ويبكون ويكتفون بذلك ظناً منهم أن المقصود الحضور والبكاء لأنهم يسمعون فضل الحضور فى مجالس الذكر . ولو علموا أن المقصود إنما هو العمل وإذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة فى الحجة عليه . وإنى لأعرف خلقاً يحضرون المجلس منذ سنين ويبكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة فى الربا والغش فى البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للسلمين والعقوق للوالدين وهؤلاء قد لبس عليهم إبليس فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه مايلابس من الذنوب . وأرى بعضهم أن مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنكم . وشغل آخرين بالتسويف بالتوبة فطال عليهم مطالهم ، وأقام قوماً منهم للتفرج فيما يسمعونه وأهملوا العمل به .

(فصل) وقد لبس إبليس على أصحاب الأموال من أربعة أوجه . أحدها : من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت وقد فشا الربا فى أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى أن جمهور معاملاتهم خارجة عن الإجماع وقد روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال «ليأتين على الناس زمان لايبالى المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام» والثانى : من جهة البخل بها فمنهم من لايخرج الزكاة أصلا إتكالا على العفو . ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخر فنظر فينظر أن المخرج يدفع عنه . ومنهم من يحتال لاسقاطها مثل أن يهب المـال قبل الحول ثم يسترده . ومنهم من يحتال بإعطاء الفقير ثوباً يقومه عليـــه بعشرة دنانير وهو يساوى دينارين ويظن ذلك الجهل أنه قد تخلص . ومنهم من يخرج الردىء مكان الجنيد ومنهم من يعطى الزكاة لمن يستخدمه طول السنة فهى على الحقيقة أجره . ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغى فيقول له إبليس مابقى عليك فيمنعه أن يتنفل بصدقة حباً للمال فيفوته أجر المتصدقين ويكون المال رزق غيره .

وبإسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال : أول ماضرب الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضعه على عينيه وسرته وقال بك أطغى وبك أكفر . رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدنى ، وعن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : إن الشيطان يرد الإنسان بكل ريبة فإذا أعياه اضطجع فى ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئا . والثالث

من حيث التكثير بالأموال فإن الغنى يرى نفسه خيراً من الفقير وهذا جهل لأن الفضل بفضائل النفس اللازمة لها لابجمع حجارة خارجة عنها كما قال الشاعر :

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل النفس فى الأنفس ليس الفضل فى الحال

والرابع فى إنفاقها . فنهم من ينفقها على وجه التبذير والإسراف ، تارة فى البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور . وتارة فى اللباس الخارج بصباحه إلى الكبر والخيلاء ، وتارة فى المطاعم الخارجة إلى السرف. وهذه الأفعال لايسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مسئول عن جميع ذلك .

وباسناد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ «ياابن آدم لاتزول قدماك يوم القيامة بين يدى الله عز وجل حتى تسأل عن أربع عمرك فيما أفنيته وجسدك فيما أبليته ومالك من أين اكتسبته وأين أنفقته . ومنهم من ينفق فى بناء المساجد والقناطر إلا أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر فيكتب اسمه على مابنى ولو كان عمله لله عز وجل لاكتفى بعلمه سبحانه وتعالى ولو كلف أن يبنى حائطاً من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل . ومن هــــذا الجنس إخراجهم الشمع فى رمضان فى الأنوار طلبا للسمعة ومساجدهم طول السنة مظلمة لأن اخراجهم قليلا من دهن كل ليلة لا يؤثر فى المدح ما يؤثر فى إخراج شمعة فى رمضان ولقد كان أغناء الفقراء بثمن الشمع أولى ولربما خرجت الأضواء الكثيرة السرف الممنوع منه غير ان الرياء يعمل عمله وقد كان أحمد ابن حنبل يخرج إلى المسجد وفى يده سراج فيضعه ويصلى . ومنهم من إذا تصدق أعطى الفقير والناس يرونه فيجمع بين قصده مدحهم وبين إذلال الفقير . وفيهم من يجعل منه الدنانير الخفاف فيكون فى الدينار قيراطان ونحو ذلك وربما كانت رديئة فيتصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقال قد أعطى فلان فلانة ديناراً وبالعكس من هذا كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون فى القرطاس الصغير ديناراً ثقيلا يزيد وزنه على دينار ونصف ويسلمونه إلى الفقير فى سر فاذا رأى قرطاساً صغيراً ظنه قطعة فاذا لمسه وجد تدوير دينار ففرح فاذا فتحه ظنه قليل الوزن فاذا رآه ثقيلا ظنه يقارب الدينار فاذا وزنه فرآه زائداً على الدينار اشتد فرحه فالثواب يتضاعف للمعطى عند

كل مرتبة . ومنهم من يتصدق على الأجانب ويترك بر الأقارب وهم أولى وباسناد عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة » . ومنهم من يعلم فضيلة التصدق على القرابة إلا أن يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى . وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى قال قال رسول الله ﷺ « إن أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح » .

قال المصنف رحمه الله ، وإنما قبلت هذه الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى فان من تصدق على ذى قرابة يحبه فقد اتفق على هواه . ومنهم من يتصدق ويضيق على أهله فى النفقة . وقد روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وأبدأ بمن تعول » وباسناد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تصدقوا فقال رجل عندى دينار فقال تصدق به على نفسك . قال عندى دينار آخر قال تصدق به على زوجتك قال عندى دينار آخر قال تصدق به على ولدك . قال عندى دينار آخر قال تصدق به على خادمك . قال عندى آخر قال أنت أبصر به » . ومنهم من ينفق فى الحج ويلبس عليه إبليس بأن الحج قربة وإنما مراده الرياء والفرجة ومدح الناس . قال رجل لبشر الحافى . واعددت ألفى درهم للحج . فقال : احججت ؟ قال نعم ، قال : اقض دين مدين قال : ماتميل نفسى إلا إلى الحج قال مرادك أن تركب وتجىء ويقال فلان حاجى . ومنهم من ينفق على الأوقات والرقص ويرمى الثياب على المغنى ويلبس عليه إبليس بأنك تجمع الفقراء وتطعمهم وقد بينا أن ذلك إن مما يوجب فساد القلوب ومنهم من إذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الأمر فى ذلك قربة وربما كانت له ختمة فتقدم مجامر الفضة ويحضر هناك قوم من العلماء فلا هو يستعظم ما فعل ولا هم ينكرون اتباعا للعادة ومنهم من يجوز فى وصيته ويحرم الوارث ويرى أنه ماله يتصرف فيه كيف شاء وينسى أنه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به . وباسناد عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « من حاف عند الوصية قذف فى الوباء » والوباء زاد فى جهنم . وعن الأعمش عن خيثمة قال : قال رسول الله ﷺ « ان الشيطان يقول ما غلبنى عليا ابن آدم فلن يغلبنى على ثلاث آمره بأخذ المال من غير حقه وآمره بانفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه » .

(فصل) وقد لبس إبليس على الفقراء فمنهم من يظهر الفقر وهو غنى فان أضاف إلى هذا السؤال والأخذ من الناس فانما يستكثر من نار جهنم . أخبرنا ابن الحصين باسناده عن محمد بن فضيل عن عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «من سأل الناس أموالهم تكثراً فانما يسأل جمراً فليستقل منه أو ليستكثر» وان لم يقبل هذا الرجل من الناس شيئا وكان مقصوده باظهار الفقر أن يقال رجل زاهد فقد رآى . وإن كتم نعمة الله عنده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق فنى ضمن بخلة الشكوى من الله .

وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله ﷺ رأى رجلا بادى الهيئة فقال « هل لك من مال . قال نعم . قال فلتر نعمة الله عليك » . وإن كان فقيراً محقاً فالمستحب له كتمان الفقر وإظهار التجمل فقد كان فى السلف من يحمل مفتاحاً يوهم أن له داراً ولا يبيت إلا فى المساجد .

(فصل) ومن تلبيس إبليس على الفقراء أنه يرى نفسه خيراً من الغنى إذ قد زهد فيما رغب ذلك الغنى فيه وهذا غلط وان الخيرية ليست بالوجود والعدم وإنما هى بأمر وراء ذلك .

(فصل) وقد لبس إبليس على جمهور العوام بالجريان مع العادات وذلك من أكثر أسباب هلاكهم . فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والأسلاف فى اعتقادهم على ما نشئوا عليه من العادة فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ . ومن هذا تقليد اليهود والنصارى والجاهلية أسلافهم وكذلك المسلمون يجرون فى صلاتهم وعباداتهم مع العادة فترى الرجل يعيش سنين يصلى على صورة ما رأى الناس يصلون ولعله لا يقيم الفاتحة ولا يدرى ما الواجبات ولا يسهل عليه أن يعرف ذلك هواناً بالدين ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق فى ذلك البلد . ثم ترى أحدهم يركع قبل الإمام ويسجد قبل الإمام ولا يعلم أنه إذا ركع قبله فقد خالفه فى ركن فاذا رفع قبله فقد خالفه فى ركنين فبطلت صلاته وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الإمام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شىء وذاك أمر لا يحمله الإمام فتكون صلاته باطلة وربما يترك

أحدهم فريضة وزاد فى نافلة . وربما أهمل غسل بعض العضو كالعقب ّوربما كان فى يده خاتم قد حصر الأصبع فلا يديره وقت الوضوء ولا يصل الماء إلى ماتحته فلا يصح وضوؤه وأما بيعهم وشراؤهم فأكثر عقودهم فاسدة ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولا يخف على أحدهم أن يقلد فقيها فى رخصته استقلالا منهم للدخول تحت حكم الشريعة وقل أن يبيعوا شيئاً إلا وفيه غش ويغطيه عيب ، والجلاء يغطى عيوب الذهب الردىء حتى أن المرأة تضع الغزل فى الأنداء وتنديه ليثقل وزنه .

ومن جريانهم مع العادة أن أحدهم يتوانى فى صلاته المفروضة فى رمضان ويفطر على الحرام ، ويغتاب الناس ، وربما لوضرب بالخشب لم يفطر فى العادة لأن فى العادة استبشاع الفطر . ومنهم من يدخل فى الربا بالاستئجار فيقول معى عشرون ديناراً لا أملك غيرها فان أنفقتها ذهبت وأنا أستأجر بها داراً وآكل أجرة الدار ظنا منه إن هذا الأمر قريب . ومنهم من يرهن الدار على شىء ويؤدى ويقول هذا موضع ضرورة وربمـــا كانت له دار أخرى وفى بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستئجار ولكنه يخاف على جاهه أن يقال قد باع داره أوأنه يستعمل الخزف مكان الصفر . ومما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الأكابر فقلّ أن ترى أحداً منهم يسافر أو يفصل ثوبا أو يحتجم إلا سأل المنجم وعمل بقوله ولا تخلو دورهم من تقويم وكم من دار لهم ليس فيها مصحف . وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه سأل عن الكهان « فقال ليسوا بشىء . فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشىء يكون حقاً فقال رسول الله ﷺ . تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن ليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة.

وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال « من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » وروى أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد ﷺ » ومن جريانهم مع العادات كثرة الأيمـان الحانثة التى أكثرها ظهاروهم لايعلمون فأكثر قولهم فى الأيمـان حرام علىّ ان بعت ، ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب وربما

تورع أحدهم عن لبس الحرير ثم لبسه فى وقت كالخطيب يوم الجمعة ، ومن عاداتهم إهمال إنكار المنكر حتى أن الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس ويلبس الحرير فلا ينكر عليه ولا يتغير بل يخالطه مخالطة حبيب ، ومن عاداتهم أن يبنى الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه إزالته وقد أثم بكونه كان سبباً لأذى المسلمين ، ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مئزر وفيهم من إذا دخل بمئزر رمى به على فخذه فيرى جوانب إليتيه ويسلم نفسه إلى المدلك فيرى بعض عورته ويمسها بيده لأن العورة من السرة إلى الركبة ثم ينظر هؤلاء إلى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر . ومن عادتهم ترك القيام بحق الزوجة وربما اضطروها إلى أن تسقط مهرها وينظر الزوج أنه قد تخلص بما قد أسقطته عنه . وقد يميل الرجل إلى إحدى زوجتيه دون الأخرى فيجوز فى القسم متهاونا بذلك ظناً أن الأمر فيه قريب . فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « من كانت له امرأتان يميل إلى إحديهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر إحدى شقيه ساقطاً أو مائلا » ، ومن عاداتهم اثبات الفلس عند الحاكم ويعتقد الذى قد حكم له بالفلس انه قد سقطت عنه بذلك الحقوق وقد يوسر ولا يؤدى حقاً . ومنهم من لا يقوم من دكانه بحجة الفلس إلا وقد جمع مالا من أموال المعاملين فأضربه ينفقه فى مدة استتاره وعنده إن الأمر فى ذلك قريب . ومما جروا فيه على العادات أن الرجل يستأجر ليعمل طول النهار فيضيع كثيراً من الزمان إما بالتثبط فى العمل أو بالبطالة أو بإصلاح آلات العمل مثل أن يحد النجار الفأس والشقاق المنشار ومثل هذا خيانة إلا أن يكون ذلك يسيراً قد جرت العادة بمثله . وقد يفوت أكثرهم الصلاة ويقول أنا فى إجارة رجل ولا يدرى أن أوقات الصلاة لا تدخل فى عقد الإجارة . وقلة نصحهم فى أعمالهم كثير. ومما جروا فيه على العادة دفن الميت فى التابوت وهذا فعل مكروه وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالاة ينبغى أن يكون وسطا . ويدفنون معه حلة من الثياب وهذا حرام لأنه إضاعة للمال ويقيمون النوح على الميت ، وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : « أن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها

سربال من قطران ودرع من جرب » ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصاً النساء . وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : «ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعى بدعوى الجاهلية » وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه لابل ربما أنكروا ترك شق الثوب وقالوا ما أثرت عنده المصيبة . ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب ويبقون على ذلك شهراً أو سنة وربما لم يناموا هذه المدة في سطح . ومن عاداتهم زيارة المقابر في ليلة النصف من شعبان وإيقاد النار عندها وأخذ تراب القبر المعظم . قال ابن عقيل لما التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم كفار عندي بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها يامولاى افعل بى كذا وكذا وأخذ التراب تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ولا تجد في هؤلاء من يحقق مسألة في زكاة فيسأل عن حكم يلزمه ، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكهف ولم يتمسح بآجرة مسجد المأمونية يوم الأربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته أبو بكر الصديق أو محمد وعلي ولم يكن معها نياحة . ولم يعقد على أبيه أزجاً بالجص والآجر ولم يشق ثوبه إلى ذيله ولم يرق ماء الورد على القبر ويدفن معه ثيابه .

(فصل) وأما تلبيس إبليس على النساء فكثير جداً . وقد أفردت كتاباً للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها وأنا أذكر ههنا كلمات من تلبيس إبليس عليهن . فمن ذلك أن المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصلي العصر وحدها وقد وجبت عليها الظهر وهي لاتعلم وفيهن من يؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها وغسلهم ودخول الحمام ، وقد تؤخر غسل الجنابة في الليل إلى أن تطلع الشمس . فإذا دخلت الحمام لم تتزر بمئزر وتقول مادخل إلىّ إلا القيمة . وربما قالت أنا وأختي وأمي وجاريتي وهن نساء مثلي فممن أستتر وهذا كله حرام . فإن تأخير الغسل بغير عذر ، لا يجوز ولا يحل للمرأة أن تنظر من المرأة

ما بين سرتها وركبتها ولو كانت ابنته وأمها إلا أن تكون البنت صغيرة فإذا بلغت سبع سنين استترت واستترمنها وقد تصلى المرأة قاعدة وهى تقدر على القيام فالصلاة حينئذ باطلة . وقد تحتج بنجاسة فى ثوبها من بول طفلها وهى تقدر على غسله ولو أرادت الخروج إلى الطريق لتهيأت واستعارت وإنما هان عندها أمر الصلاة وقد لا تعرف من واجبات الصلاة شيئاً ولاتسأل . وقد ينكشف من الحرة ما يبطل صلاتها وتستهين به . وقد تستهين المرأة بإسقاط الحبل ولاتدرى أنها إذا أسقطت ماقد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلماً وقد تستهين بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل فانه يجب عليها أن تتوب وتؤدى دينه إلى ورثته وهى غرة عبد أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبيه أو عشر دية الأم ولا ترث الأم من ذلك شيئاً ثم تعتق رقبة فان لم تجد صامت شهرين متتابعين . وقد تسيء الزوجة عشرتها مع الزوج وربما كلمته بالمكروه وتقول هذا أبو أولادى وما بيننا هذا وتخرج بغير إذنه وتقول ما خرجت فى معصية ولا تعلم أن خروجها بغير إذنه معصية ، ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة . وفيهن من تلازم القبور وتحد لا على الزوج وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله ورسوله أن تحد على ميت إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً . ومنهم من يدعوها زوجها إلى فراشه فتأبى وتظن هذا الخلاف ليس بمعصية وهى منهية عنه لما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح » أخرجاه فى الصحيحين وقد تفرط المرأة فى مال زوجها ولا يحل لها أن تخرج من بيته شيئاً إلا أن يأذن لها أو تعلم رضاه . وقد تعطى من ينجم لها بالحصى ويسحر ومن تعمل لها نسخة محبة وعقد لسان وكل هذا حرام ، وقد تستجيز ثقب آذان الأطفال وهو حرام فان أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشيخ الصوفى وتصافحه فصارت من بنات المنبر فخرجت إلى عجائب ، وينبغى أن تكف عنان القلم اقتصاراً على هذه النبذة فان هذا الأمر يطول ولو بسطنا النبذ المذكورة فى هذا الكتاب أو شيدنا ردنا على من رددنا عليه بالأحاديث والآثار لاجتمع مجلدات ، وإنما ذكرنا اليسير ليدل

على الكثير وقد اقتنعنا فى ذكر فاحش القبيح من أفعال الغالطين بنفس حكايته دون تعاطى رده لأن الأمر فيه ظاهر والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنه وكرمه .

(الباب الثالث عشر)

(فى ذكر تلبيس إبليس على جميع الناس بطول الأمل)

قال المصنف رحمه الله : كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبطه ويقول لاتعجل وتمهل فى النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوف العاصى بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة كما قال الشاعر :

لا تعجل الذنب لما تشتهى وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوفه ، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه . فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة أوانتبه العابد فى الليل يصلى فقال له عليك وقت ، ولا يزال يحبب الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل فينبغى للحازم أن يعمل على الحزم والحزم تدارك الوقت وترك التسوف والاعراض عن الأمل فإن المخوف لا يؤمن والفوات لا يبعث وسبب كل تقصير فى خير ، أو ميل ان شر طول الأمل فان الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والاقبال على الخير إلا أنه يعد نفسه بذلك ولا ريب أنه من الأمل أن يمشى بالنهار سار سيراً فاتراً ومن أمل أن يصبح عمل فى الليل عملا ضعيفاً ومن صور الموت عاجلا جد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « صل صلاة مودع » وقال بعض السلف : أنذركم سوف فإنها أكبر جنود إبليس : ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كمثل قوم فى سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهباً للرحيل : وقال المفرط سأتأهب فربما أقمنا شهراً ، فضرب بوق الرحيل فى الحال فاغتبط المحترز واغتبط الأسف المفرط فهذا مثل الناس فى الدنيا منهم المستعد المستيقظ فإذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم المغرور والمسوف يتجرع

مرير الندم وقت الرحلة فإذ كان فى الطبع حب التوانى وطول الأمل ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى مافى الطبع صعبت المجاهدة إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه فى صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فإن افتر فى الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كميناً ونحن نسأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وفتن الشيطان وشر النفوس والدنيا انه قريب مجيب جعلنا الله من أولئك المؤمنين .

تم والحمد لله أولا وآخراً

كلمة لمصححه وناشره

للمرة الأولى

• الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله ومن تمسك بهديه وولاه .

أما بعد فيقول مصحح هذا الكتاب وناشره « محمد منير الدمشقي الأزهري » قد تم بحول الله وتوفيقه طبع « كتاب تلبيس إبليس » لعالم الآفاق وواعظ العراق الإمام الحافظ الكبير أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله وجعل الجنة مأواه .

وقد بذلت جهدي في تصحيحه ومراجعة أصوله وكان لدي حين شرعت في طبعه للمرة الأولى نسختان خطيتان مختلفتا التاريخ ووفقت للمرة الثانية بنسخة ثالثة فجاءت هذه الطبعة خيراً من سابقتها بكثير والحمد لله فنشكر الله على جزيل نعمه وسوابغ منته . والله أرجو القبول فإنه خير مسؤول .

فهرس

تلبيس ابليس

صحيفة

صحيفة